

الباب الأول

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

إمام

قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمه الله :

الإمام أصله : القصد^(١) .

(١) الإمام : الذي له الرياسة العامة في الدين والدنيا جميعاً . ينظر التعريفات للجرجاني (أ م م) .
وأما الهزمة والميم فأصل واحد ، يتفرع منه أربع أبواب ، وهي الأصل ، والمرجع ، والجماعة ، والدين ، وهذه الأربعة متقاربة ، وبعد ذلك أصول ثلاثة ، وهي القامة ، والحين ، والقصد ، قال الخليل : الأم الواحد والجمع أمهات ، وربما قالوا أم وأمات . قال شاعرٌ وجمع بين اللَّقَتَيْنِ :

إذا الأمهات قَبَحْنَ الوجوه *** قَرَجَتِ الظَّلَامُ بِأَمَاتِكَا

وتقول العرب : "لا أم له" في المذبح والذم جميعاً . قال أبو عبيدة : ما كنت أمّاً ولقد أمتت أمومةً . وفلانة تؤم فلاناً أي تغذوه ، أي تكون له أمّاً تغذوه وتربيه .

وتقول أم وأمة بالهاء . قال :

تَقَبَّلْتَهَا مِنْ أُمِّ لَكَ طَالَمَا *** تُتَوَنَعُ فِي الْأَسْوَاقِ عَنْهَا خِيارُهَا

قال الخليل : كلُّ شيء يُضَمُّ إليه ما سواه مما يليه فإنَّ العرب تستقي ذلك الشيء أمّاً . ومن ذلك أمُّ الرأس وهو الدماغ . تقول أمتت فلاناً بالسيف والعصا أمّاً ، إذا ضربته ضربةً تصل إلى الدماغ . والأميم : المأموم ، وهي أيضاً الحجارة التي تُشَدَّخُ بها الرؤوس ؛ والشجّة الأمّة : التي تبلغ أمُّ الدماغ ، وهي المأمومة أيضاً . قال :

يُجِجُ مَأْمُومَةٌ فِي قَعْرِهَا لِحْفٌ *** فَاسْتُ الطَّيِّبُ قَدَّاهَا كَالْمَغَارِيدِ

قال الخليل : أمُّ التثائف أشدها وأبعدها . وأمُّ القرى : مكّة ؛ وكلُّ مدينة هي أمُّ ما حولها من القرى ، وكذلك أمُّ رُحِمٍ وأمُّ القرآن : فاتحة الكتاب . وأمُّ الكتاب : ما في اللوح المحفوظ . وأمُّ الرَّمَحِ : لواؤه وما لُفَّ عليه . قال :

وسلبن الرُّفْحَ فِيهِ أُمُّهُ *** مِنْ يَدِ الْعَاصِي وَمَا طَالَ الطُّوْلُ

وتقول العرب للمرأة التي يُتَزَلَّ عليها : أمُّ مَثْوَى ، وللرجل أبو مَثْوَى . قال ابن الأعرابي : أمُّ مِرْزَمِ الشَّهَالِ ، قال :

إذا هو أَمْسَى بِالْحِلَاءِ شَاتِيَا *** تُقَشِّرُ أَعْلَى أَنْفِهِ أُمُّ مِرْزَمٍ

وأم كَلْبِيَّةِ الْحَمَى . ففيه قول النبي صلى الله عليه وسلم لزيد الخليل : "أَبْرَحَ فَنِي إِنْ نَجَا مِنْ أُمِّ كَلْبَةٍ" . وكذلك أمُّ مِلْدَمٍ ، وأمُّ النُّجُومِ : السماء . قال تَابِطُ شَرَأْ .

يرى الْوَحْشَةَ الْأَنْسُ الْأَنْبَسَ وَيَهْتَدِي *** بِحَيْثِ اهْتَدَتْ أُمُّ النُّجُومِ الشَّوَابِكِ

انظر معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس مادة (أ م م) .

فأبتدئ منه بما كان في أوله ألف أصلية أو زائدة ، ثم بما كان في أوله باء ، ثم كذلك إلى آخر الحروف .

والله المعين على ما فيه رضاه ، وهو حسبنا ونعم الحسيب .

بسم الله الرحمن الرحيم

وبِهِ أَسْتَعِينُ ، وَعَلَيْهِ أَتَوَكَّلُ

الحمد لله ذي النعمِ الجليلةِ والمُنَنِ الجزيلةِ ، الداعي إلى الرشادِ ، والهادي إلى السدادِ ، ذي القُضَلِ الجسيمِ والإحسانِ العميمِ ، الشاملِ لطفه ، الكريمِ عطفه ، الغالبِ سلطانه ، الواضحِ برهانه ، المتم نوره : ﴿ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾ [سورة التوبة آية ٣٢] ، المعلي دينه ولو رغم المنافقون .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذي له الأسماء الحسنى والصفات العلى ، ويده الآخرة والأولى ، وما عنده خير وأبقى ، لا يجلب الخير إلا بمعوته ، ولا يدفع الضر إلا بمغوته .

وأشهد أن محمدا عبده المجتبي ورسوله المرتضى ، صلى الله عليه وعلى آله الذين اصطفى ، وبعد

فإنك - سددك الله - ذكرت أنك طالعت الكتب المصنفة في الوجوه والنظائر من كتاب الله جل ثناؤه ، فوجدت فيها تأويلات تطرد على أصول أهل الحق من القائلين بالتوحيد والعدل .

فأردت أن يرد كل شيء منها إلى حقه ، وألفيت في معانيها ما يدخل بعضه في بعض ، فالتمست إيراد كل نوع منها على وجهه ، وتوخيت أن يكون ما تفرق منها مجموعا في كتاب واحد على وجه يقرب استخراج ما يراد منه عند الحاجة إليه ، ويزاد عليه ما كان من جنسه مما لم تتكلم فيه السلف .

فعملت كتابي هذا مشتملا على أنواع هذا الفن ، محمولا على ما طلبت ، ومسلوكا به طريق ما سألت ، قد نفي اللبس عن جميعه ، وبيّن الصواب في صنوفه ، وميزت وجوهه تمييزا صحيحا ، وقسمت أبوابه تقسيما مليحا .

وذكر أصل كل كلمة منه واشتقاقها في العربية ؛ لتكثر فائدتك به ، ونظم على نسق حروف المعجم ؛ ليتيسر الوصول إلى المطلوب من أنواعه ، ويتسهل نيل ما ينبغي من أصنافه .

الله أوبى الخباب فربى والنار أو على العنبر لاله فتوله عليه السلام
 إذا جئتم فاجتنبوا بالله وأصديقاً أو التبريت شرباً يئوس فيه
 الصديق والكذب من الكلام دوزخ غيره وهو في القرآن على
 نكته أوجهه أولها معنى القسم قال تعالى لا تأخذكم
 الله باليقين إيمانكم **والثاني** الفتوة قال تعالى لا تأخذكم
 منه باليمين أي لا تقمنا منه بفوق ومعنى ذلك أنا قادر ونوعلم
 ومنه قول السماخ

إذا ما رأيت رفعت لمين تلقاها عزاً به وباليمين
 ومنه فتوله تعالى والسموات مطويات بيمينه أي بقدرته
 ويجوز أن يكون المعنى باليمين المطاوعة كما قال خلقه في بيوت
والثالث معنى لا تأخذكم منكم أي لا تأخذكم منكم
 فكأنكم يمينكم ما أفاض الله عليكم يعني ما جعل لكم من الغنائم ونحو
 وما يملككم إيمانكم قد أنبنا الأبواب التي قد علمتم بها الشرط في
 أول الكتاب وشرحه من مضمونها ما احتجج بالشرح وغيره
 استنار ولا أقرب ورغبنا إلى الله عز وجل جاب في النفع بها عاجلاً
 وأجلاً وهو ولا آمنه بذلك أرسنا الله وحسبنا الله ولا حول ولا
 قوة إلا بالله على يمينه والله المخلص **والثاني** كعب عبد الله لا تأخذكم
 دوزخ منه في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وأربع مائة
 حامداً لله تعالى وعصداً بيمينه أي إلى الله الطيب الطاهر يرضى عنكم أجمعين

به ولها الألف **ال** لانه متبقة وهو الفين والفين
 ولا يكون إلا علماً بفتح معناه الصدور ولهذا يقال لجمع الفين
 ولافت **ال** لجمع العلم ومن أجل ذلك أيضاً لا توصف الله
 به وهو أبلغ من العلم لأنهم نفس أولوا أعلو وأيقرو ومن عادته
 أن يؤخر الألف وهو في القرآن على ثلاثة أوجه
أجلها العارفة **ال** تعالى وقال لآخره هو نور
 أي عالمون **والثاني الموت** **ال** تعالى حتى ياتيئك
 الفين يعني الموت **ف** **ال** **والثالث**
القرآن **ال** تعالى حتى ياتيئك الفين وأصاف الجوز
 إلى الفين لأخلاف اللطيف وهما وليجد كما قال جيل الوتر
 وهذا سديد بعض أهل الحديث وهو عند طلبة فبينهم
 خصال والصلوات أن **ال** معناه أنه لمحض الفين
 كما نقول هذا خوف السوء ولو كان الفين تعبيراً عن الخوارض
 إليه كما لا يفت **ال** هذا راجل الظرف أي ما هو كقوله
 غير الفين كما قال تعالى لنرونها غير الفين **اليمين** أصلها
 القوة وقيل اليمين اليمين لقونها على السوء واليمين القسم لانه قوة
 يدفع الرجوع وأصلها الرجوع إذا خالفوا نضاف قوا يابا هم قسمي الخلف
 مميتا وهي في اللغة توكيد القول بكثرة عظمه عند القائل
 كقولك يا رب وأنتك وهي في السرعة توكيد القول كثر

[illegible]

الحمد لله

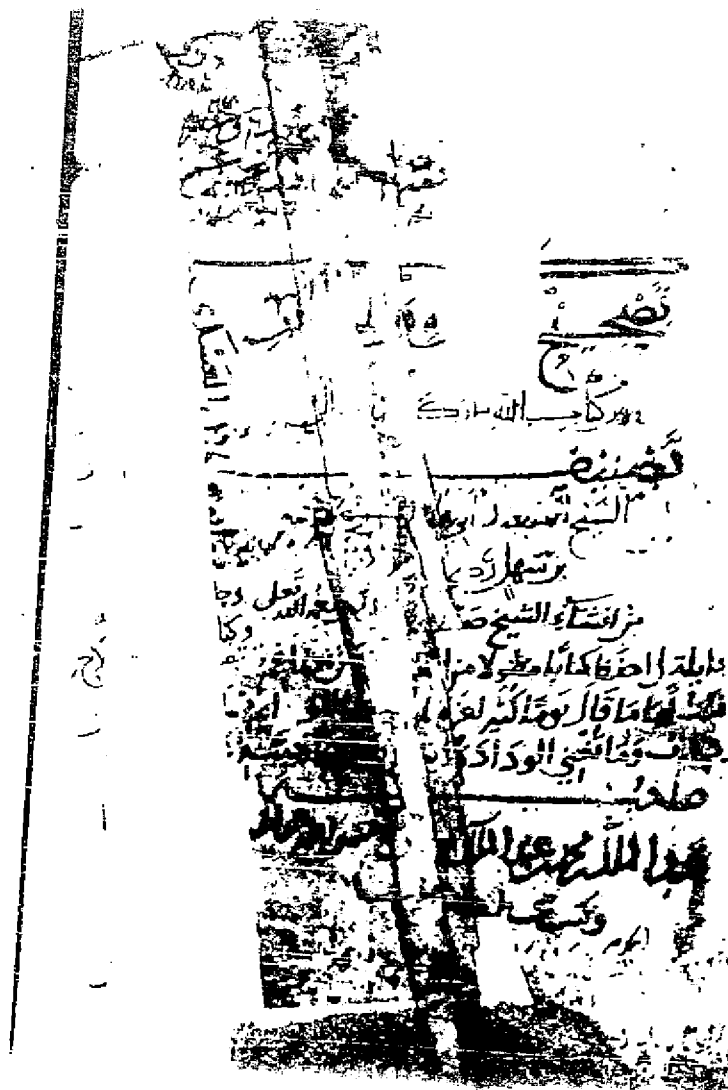
الباب الأول

فَمَا خَابَ الرُّحُومُ وَالنَّظَارُ وَالْوَلَهُ الْفُـ ٥

14

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو هُرَيْرَةَ قَالَ لَمَّا مَرَّ عَنِ اللَّهِ بِرَسُولِهِ
رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ أَلَا مَا أَضَلَّهُ الْقَصْدُ شَيْئًا إِلَّا مَا أَلَامَا الْأَرْكَ
أَقْصَدَ قَصْدَهُ فِي أَعْمَالِهِ وَقِيلَ لِلْخَلِيفَةِ يَا أَبَا لَيْثٍ إِنَّكَ تَقْصِدُ قَصْدًا وَآخِرُ
أَوْ لَيْتَهُ يَتَقَبَّلُ مِنْ فَتْحِ أَرْزُوقِ وَالطَّرِيقُ أَلَامَا لِأَنَّهُ يُقْصَدُ وَقَدْ أَمْسَكَ
إِذَا قُصِدَتْ وَأَصْلُ الشَّيْءِ وَهُوَ تَعَلُّقُ ذَلِكَ بِأَمْرٍ أَوْ قَصْدُ
مَوْجُودٍ مِنَ الْفَرَسِ وَالْبَعِيدِ وَأَمَّا الشَّيْءُ أَضَلَّهُ فَيُرْجَعُ إِلَى هَذَا الْأَمْرِ
كُلُّ مَنْ يَنْتَهِي إِلَى شَيْءٍ فَأَمَّا أَنْ يَشْهَدَ أَحَدٌ لِي فَيَقُولُ لِي مَا أَضَلَّكَ
الْجَلَالَ وَأَمَّا الْإِذَا مَا أَلَامَا لِأَنَّهُ يُقْصَدُ وَالْأَمْرُ أَلَامَا لِأَنَّهُ يُقْصَدُ
أَمَّا أَنْ يَنْتَهِيَ أَحَدٌ لِي فَيَقُولُ لِي مَا أَضَلَّكَ

[illegible]



ورقة اعتلاف من المخطوط

صور المجلد

١٢. معجم المطبوعات .

وصف النسخة الخطية :

نسخة كتبت بخط نسخ جميل مشكول تظهر فيها العناوين بخط أسود بارز ولكن يعيبها في بعض الأحيان سوء التخزين حيث نجد بعض الطمس على جوانبها وفي مواضع متفرقة من صفحاتها .

وتقع النسخة في ١٩١ ورقة ومسطرتها ١٩ سطرا .

وهي نسخة مصورة محفوظة بمعهد المخطوطات بالقوائم غير المفهرسة .

وقد قمنا بنسخ المخطوط ثم مطابقة ما نُسخ على الأصل المخطوط ليتم استدراك ما فات من سهو أو انتقال نظر أثناء النسخ ، ثم عمدنا إلى العمل التحقيقي في الكتاب من إحالة إلى جذور وشرح الكلمات وتخرج الأحاديث والآيات وغير ذلك مما ستجده في الكتاب .

وقدما ذلك كله بدراسة لعلم الوجوه والنظائر مشيرين إلى أهم الكتب التي تحدثت في هذا المجال .

ثم ألحقنا ذلك بترجمة لأبي هلال العسكري وفرقنا بينه وبين خاله أبي أحمد والذي قد يخطأ كثير من المؤرخين فيها كما قدمنا قبل .

وهذا الكتاب كتاب جليل فيه فوائد نسأل الله أن ينفعنا وإياكم بها فيه .

آمين

ومن شعره أيضا :

ما بال نفسك لا تهوى سلامتها وأنت في عرض الدنيا ترغبها
دارٌ إذا جاءت الآمال تعمرها جاءت مقدمة الآجال تخربها
أراك تطلب دنيا لست تدركها فكيف تدرك أخرى لست تطلبها

وفاته :

قال ياقوت : وأما وفاته ؛ فلم يبلغني فيها شيءٌ غير أني وجدت في آخر كتاب الأوائل من تصنيفه : وفرغنا من إملاء هذا الكتاب يوم الأربعاء لعشرٍ خلّت من شعبان سنة خمسٍ وتسعين وثلاثمائة .

وذكر بعض المؤرخين أنه توفي في حدود الأربعمائة . فإله أعلم .

مصادر الدراسة والترجمة :

- ١ . الإتقان في علوم القرآن للسيوطي .
- ٢ . الوافي بالوفيات للصفدي .
- ٣ . طبقات المفسرين للسيوطي .
- ٤ . الطبقات السنية في تراجم الحنفية للتحقي الغزي .
- ٥ . الأعلام للزركلي .
- ٦ . معجم المؤلفين لعمر كحالة .
- ٧ . تاريخ دمشق لابن عساكر .
- ٨ . تاريخ الإسلام للذهبي .
- ٩ . هدية العارفين للباباني .
- ١٠ . دمية القصر وعصرة أهل العصر للباخرزي .
- ١١ . كشف الظنون لحاجي خليفة .

شيء من سيرته :

قال الصفدي في الوافي بالوفيات : وكان يتبرز احترازا من الطمع والدناءة والتبذل .
قلت وقد ذكره الباخري في كتاب : دمية القصر ، فقال : بلغني أن هذا الفاضل كان
يحضر السوق ، ويحمل إليها الوسوق ، ويحلب در الرزق ويمتري ، بأن يبيع الامتعة
ويشتري .

ومن شعره :

جلوسي في سوق أبيع وأشتري	دليل على أن الأناام قــــرود
ولا خير في قوم يذل كرامهم	ويعظم فيهم نذلهم ويســــود
وتهجوهم عني رثاثة ملبسي	هجاء قبيحاً ما عليــــه مزيد

ومنه :

إذا كان مالي مال من يلقط العجم	وحالي فيكم حال من حاك أو حجم
فأين انتفاعي بالأصالة والحجى	وماربحت كفي على العلم والحكم
ومن ذا الذي في الدهر يبصر حالتي	فلا يلعن القرطاس والخبر والقلم

وقال السيوطي في طبقات المفسرين : كان عالماً عفيفاً يتبرز احترازاً من الطمع والدناءة
والتبذل ، وكان الغالب عليه الأدب والشعر .

وقال أبو طاهر السلفي : سألت أبا المظفر الآبيوردي رحمه الله عن أبي هلال العسكري
فأثنى عليه ووصفه بالعلم والعفة معا ، وقال : كان يتبرز احترازا من الطمع والدناءة
والتبذل .

وقال أبو هلال أيضا :

لا يغرنكم علو لثيم	فعلو لا يستحق سفال
فارتفاع الغريق فيه فضوح	وعلو المصلوب فيه نكال

التصحيح ، وراحة الأرواح ، والحكم والأمثال ، وتصحيح الوجوه والنظائر ، والزواجر والمواعظ ، وصناعة الشعر ، والمختلف والمؤتلف .

وذكر الزركلي في الأعلام : من كتبه (الزواجر والمواعظ) و (التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم - ط) و (الحكم والأمثال) و (راحة الأرواح) و (تصحيفات المحدثين - خ) لعله كتابه المطبوع باسم (شرح ما يقع فيه التصحيح والتحريف) و (تصحيح الوجوه والنظائر) و (المصون - ط) في الأدب ، و (صناعة الشعر) وهو خال أبي هلال (الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري) الآتي ذكره ، وأستاذه .

وقال ياقوت الحموي في معجم الأدباء : ومن جملته : كتاب صناعة الشعر رأيته ، كتاب الحكم والأمثال ، كتاب راحة الأرواح ، كتاب الزواجر والمواعظ ، كتاب تصحيح الوجوه والنظائر .

وقال أبو طاهر السفلي : إن أبا أحمد هذا كان من الأئمة المذكورين بالتصرف في أنواع العلوم ، والتبحر في فنون الفهوم ، ومن المشهورين بجودة التأليف وحسن التصنيف ، ومن جملته : كتاب " صناعة الشعر " . كتاب " الحكم والأمثال " . كتاب " التصحيح " . كتاب " راحة الأرواح " . كتاب " الزواجر والمواعظ " . كتاب " تصحيح الوجوه والنظائر " .

والذي جعلنا ننسب الكتاب لأبي هلال ما وجدناه على نسخته المخطوطة وفي بدايته حيث قال الناسخ : قال الشيخ أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل رحمة الله عليه .

وذكر أيضا في متن كتابه عند الكلام على الوجه الرابع في " الجعل " : وكان بعض العرب يذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، فرد الله ذلك بهذا القول ، وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير . وقد كرر ذلك مرارا .

وقال أيضا : وبيان ذلك مشروح في كتابنا في الفروق . وكتاب الفروق معروف لأبي هلال العسكري .

فكان هذا ما دفعنا أن ننسب الكتاب لأبي هلال ، ولعل ما كتبه المفهرسون والمؤرخون كان لبسا منهم بين مصنفات أبي أحمد ومصنفات أبي هلال .. والله أعلم .

الأمة^(١)

راجعة إلى القصد ، وهي : الجماعة التي تقصد الأمر بتضافر وتعاون . وقولنا : أمة محمد صلى الله عليه ، معناه : الجماعة القاصدة لتصديقه ، المتفقة في أصول دينه ، وإن اختلفت في الفروع .

ويجوز أن يكون أصل الكلمة الجمع . فقليل للرجل : أمة ؛ لأنه يسد سد الجماعة . والإمام : إمام ؛ لاجتماع القوم عليه . والأم ؛ لجمعها أمر الولد^(٢) .

والأمة : الدهر ؛ لأنها جماعة شهور وأعوام ، وهو قوله : ﴿وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [سورة يوسف آية ٤٥] . وقيل : يريد بعد حين أمة فحذف .

وأمة : إذا قصد الاجتماع معه . وفلان حسن الأمة ، أي : القامة ؛ وذلك لاجتماع خلقه على الاستواء .

والأمة : قيل : من الأمة الجماعة ، أي : على أصل ما عليه الأمة ، وقيل : هو من الأم . وهي في القرآن على عشرة أوجه :

(١) الأمة : الجماعة ، وتكون واحدا إذا كان يقتدي به في الخير ، ومنه قوله تعالى : " إن إبراهيم كان أمة قانتا لله " ، وقال صلى الله عليه وسلم في زيد بن عمرو بن نفيل : (يبعث أمة وحده) لانه لم يشرك في دينه غيره ، والله أعلم .

وقد يطلق لفظ الأمة على غير هذا المعنى ، ومنه قوله تعالى : " إنا وجدنا آباءنا على أمة " أي على دين وملة ، ومنه قوله تعالى : " إن هذه أمتكم أمة واحدة " . وقد تكون بمعنى الحين والزمان ، ومنه قوله تعالى : " وادكر بعد أمة " أي بعد حين وزمان . ويقال : هذه أمة زيد ، أي أم زيد .

والامة أيضا : القامة ، يقال : فلان حسن الامة ، أي حسن القامة ، قال : وإن معاوية الاكرمين ؟ حسان الوجوه طوال الامم وقيل : الامة الشجة التي تبلغ أم الدماغ ، يقال : رجل مأموم وأميم . [القرطبي ١٢٧/٢] .

(٢) تأويل ذلك كان آدم على الحق إماما لذريته ، فبعث الله النبيين في " ووجهوا معنى "الأمة" إلى طاعة الله ، والدعاء إلى توحيده واتباع أمره ، من قول الله عز وجل (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا) [سورة النحل : ١٢٠] ، يعني بقوله "أمة" ، إماما في الخير يُقتدى به ، وتَّبِعَ عليه . ينظر تفسير الطبري ٢٧٦/٤ .

أولها : الجماعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةٌ مُّسْلِمَةً لَّكَ ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٨] ، أي : جماعة ، ومثله : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾ [سورة البقرة آية ١٢٤] ، وقوله تعالى : ﴿ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٣] ، وقوله : ﴿ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ﴾ [سورة المائدة آية ٦٦] ، وقوله : ﴿ وَمِنْ قَوْمٍ مُّوسَى أُمَّةٌ ﴾ [سورة الأعراف آية ١٥٩] .

الثاني : الملة ، قال الله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٣] .
يعني : أهل أمة واحدة ، أي : ملة ؛ فحذف لبيان المعنى^(١) ، كما قال : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف آية ٨٢] .

وسميت الملة أمة ؛ لاجتماع أهلها عليها ، ويجوز أن يقال : أنها سميت أمة ؛ لأنها تقصد وتتبع .

والمراد أن الناس كانوا على الكفر فيما بين آدم ونوح ، أو فيما بين نوح وإبراهيم ، فبعث الله النبيين عليهم السلام بالأوامر والنواهي والبشارات والزواجر ، : ﴿ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٣] ، أي : الذي فيه الحق ؛ ليكون فصلا بين المختلفين بما فيه من التمييز بين الصواب والخطأ ، وهو مثل قولك : ذهب به ، وخرج به ، وما أشبهه^(٢) .

(١) وأصل "الأمة" ، الجماعة تجتمع على دين واحد ، ثم يكتفى بالخبر عن "الأمة" من الخبر عن "الدين" ، لدلالتها عليه ، كما قال جل ثناؤه : (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً) [سورة المائدة ٤٨: سورة النحل : ٩٣] ، يراد به أهل دين واحد وملة واحدة . فوجه ابن عباس في تأويله قوله : "كان الناس أمة واحدة" ، إلى أن الناس كانوا أهل دين واحد حتى اختلفوا .

(٢) جائز أن يكون كان ذلك حين عرض على آدم خلقه . وجائز أن يكون كان ذلك في وقت غير ذلك - ولا دلالة من كتاب الله ولا خبر يثبت به الحججة على أي هذه الأوقات كان ذلك . فغير جائز أن نقول فيه إلا ما قال الله عز وجل : من أن الناس كانوا أمة واحدة ، فبعث الله فيهم لما اختلفوا الأنبياء والرسل . ولا يضربنا الجهل بوقت ذلك ، كما لا يفتعننا العلم به ، إذا لم يكن العلم به لله طاعة ، غير أنه أي ذلك كان ، فإن دليل القرآن واضح على أن الذين أخبر الله عنهم أنهم كانوا أمة واحدة ، إنما كانوا أمة واحدة على الإيمان ودين الحق دون الكفر بالله والشرك به . وذلك إن الله جل وعز قال في السورة التي يذكر فيها "يونس" : (وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [يونس : ١٩] . فتوعد جل ذكره - الاختلاف لا على الاجتماع ، ولا على كونهم أمة واحدة ، ولو كان اجتماعهم بسبب الاختلاف كان على الكفر ثم كان الاختلاف بعد ذلك ، لم يكن إلا بانتقال بعضهم إلى الإيمان ، ولو كان ذلك كذلك

الثالث : أهل الإسلام بعينه ، قال الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا﴾ [سورة يونس آية ١٩] ، يعني : جادلهم على عهد آدم ، وما كانوا عليه في سفينة نوح . ومثله : ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة النحل آية ٩٣] ، ومثله في المائدة ، أي : لو شاء الله لجعلكم متفقين على الإسلام قهرا ، كما قال تعالى : ﴿فَقُلْتُ أَغْنَاكُمُهَا خَاضِعِينَ﴾ [سورة الشعراء آية ٤] .

الرابع : قوله : ﴿وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ [سورة الأنبياء آية ٩٢] . أي : ملتكم ، فهي هاهنا الملة بعينها ، وفي الأول : الجماعة المتفقة على الملة الواحدة كما بينا .

قال الزجاج : ﴿وَإِنْ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ ، : ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ رفع ؛ لأنه خبر هذه ، المعنى : أن هذه أمتكم في حال اجتماعها على الحق ، فإذا افرقت فليس من خالف الحق داخلا فيها ، فنصب : ﴿أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ على الحال .

وقرى : (أمة واحدة) على أنها خبر بعد خبر ، ومعناه : إن هذه أمة واحدة سورة ليست آية أمّا ، ويجوز أن يكون نصب : ﴿أُمَّتُكُمْ﴾ على التوكيد كأنه قال : إن أمتكم كلها أمة واحدة .

الخامس : قوله تعالى : ﴿وَلَيُنْ أَخْرُنَا عَنْهُمْ الْعَذَابُ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ﴾ [سورة هود آية ٨] . يعني : سنين .

ومثله قوله تعالى : ﴿وَادْكُرْ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾ [سورة يوسف آية ٤٥] . أي : بعد حين .

وسمي الحين أمة ؛ لأنه جماعة أوقات وشهور . وقيل : هو على حذف : أي : بعد حين أمة ، أي : جماعة .

لكان الوعد أولى بحكمته بما ينشأه في ذلك الحال من الوعيد لأنها حال إنابة بعضهم إلى طاعته ، ومحال أن يتوعد في حال التوبة والإنابة ، ويترك ذلك في حال اجتناح الجميع على الكفر والشرك .

وقرئ : بعد أمة ، أي : بعد نسيان . وقيل : ﴿إِلَى أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ﴾ ، أي : جماعة معدودة ، بأنه ليس فيها من يؤمن ، فإذا صارت كذلك أهلكت بالعذاب .

السادس : قوله تعالى : ﴿أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ﴾ [سورة النحل آية ٩٢] ، يعني : قوما يكونون أربى من قوم ؛ أي : أكثر عددا ، ومنه الربا ؛ لأنه زيادة في أصل المال .

ومثله : ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا﴾ [سورة الحج آية : ٣٤] . أراد أنه جعل لكل أمة من الأمم التي خلت فيها الرسل منسكا ؛ وهو الذبائح التي كان أمرهم أن يتقربوا بها إلى الله - ونتكلم في ذلك فيما بعد إن شاء الله - ولم يرد جميع الأمم ؛ لأنه لم يجعل للمجوس وعباد الأصنام مناسك^(١) .

السابع : الإمام ، قال الله تعالى : ﴿إِنْ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ [سورة النحل آية ١٢٠] . أي : إماما يقتدى به في الخير .

وقيل الأمة : الرجل العظيم ، وسمي بذلك ؛ لأنه يؤم في الحوائج ؛ أي : يقصد .

(١) لما ذكر تعالى الذبائح بين أنه لم يخل منها أمة ، والامة القوم المجتمعون على مذهب واحد ، أي ولكل جماعة مؤمنة جعلنا منسكا . والمنسك الذبيح وإراقة الدم ، قاله مجاهد : يقال : نسك إذا ذبح ينسك نسكا . والذبيحة نسيكة ، وجعها نسك ، ومنه قوله تعالى : " أو صدقة أو نسك " (١) [البقرة : ١٩٦] . والنسك أيضا الطاعة .

وقال الأزهري في قوله تعالى : " ولكل أمة جعلنا منسكا " : إنه يدل على موضع النحر في هذا الموضع ، أراد مكان نسك . ويقال : منسك ومنسك ، لغتان ، وقرئ بهما . قرأ الكوفيون إلا عاصما بكسر السين ، الباقيون بفتحها .

وقال الفراء : المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد في خير أو شر . وقيل مناسك الحج لترداد الناس إليها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسعي .

وقال ابن عرفة في قوله : " ولكل أمة جعلنا منسكا " : أي مذهبا من طاعة الله تعالى ، يقال : نسك نسك (٢) قومه إذا سلك مذهبهم . وقيل : منسكا عيدا ، قاله الفراء . وقيل : حجا ، قاله قتادة . والقول الأول أظهر ، لقوله تعالى : (ليذكروا اسم الله على ما رزقهم من بهيمة الانعام) أي على ذبح ما رزقهم .

فأمر تعالى عند الذبيح بذكره وأن يكون الذبيح له ، لانه رازق ذلك .

ثم رجع اللفظ من الخبر عن الامم إلى إخبار الحاضرين بما معناه فالاله واحد لجميعكم ، فكذاك الامر في الذبيحة إنها ينبغي أن تخلص له .

الثامن : أمة كل رسول ؛ يعني : من بعث إليه الرسل من أمثال عاد ، وثمود ، وقوم لوط ؛ وهو قوله تعالى : ﴿ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجْلَهَا ﴾ [سورة الحجر آية ٥ ، المؤمنون ٤٣] ، يعني : من هذه الأمم لم تسبق أجلها في العذاب .

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴾ [سورة فاطر آية ٢٤] . يعني : الأمة من هذه الأمم ؛ لأن الفرس والسند والهند والزنج أمم ولم يبعث فيها نذير ، وإنما كانوا متعبدين بتصديق من بعث في غيرهم من الأنبياء ، على حسب ما يعبدوا بتصديق محمد صلى الله عليه وآله ، ولم يبعث فيهم .

التاسع : قوله : ﴿ كُتِّمَ خَيْرٌ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . يعني : أمة محمد صلى الله عليه وآله خاصة .

وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [سورة البقرة آية ١٤٣] . أي : عدلا . وهو من واسطة القلادة ، وليس من قولهم : هذا شيء وسط . إذا كان بين العالي والمنحط ، ومنه قول النبي صلى الله عليه وآله وعلى آله : " أنا أوسط قريش نسبا " .

وله وجه آخر : وهو أن الوسط : العدل ، وسمي بذلك ؛ لأنه بين غلو الغالي وتقصير المقصر^(١) .

(١) وأما "الوسط" ، فإنه في كلام العرب الخيار . يقال منه : "فلان وَسَطُ الحسب في قومه" ، أي متوسط الحسب ، إذا أرادوا بذلك الرفع في حسبه ، و"هو وَسَطُ في قومه ، وواسطٌ" ، كما يقال : "شاة يابسة اللبن وبسة اللبن" ، وكما قال جل ثناؤه : (فَأَضْرَبَ لَهُمْ طَرِيقًا فِي الْبَحْرِ يَبَسًا) [سورة طه : ٧٧] ، وقال زهير بن أبي سلمى في "الوسط" :

هُمْ وَسَطٌ تَرْضَى الْأَنَامُ بِحُكْمِهِمْ . . . إِذَا نَزَلَتْ إِخْدَى اللَّيَالِي بِمُعْظَمِ

قال أبو جعفر : وأنا أرى أن "الوسط" في هذا الموضع ، هو "الوسط" الذي بمعنى : الجزء الذي هو بين الطرفين ، مثل "وسط الدار" محرك الوسط مثقله ، غير جازئ في "سينه" التخفيف .

وأرى أن الله تعالى ذكره إنما وصفهم بأنهم "وسط" ، لئوسطهم في الدين ، فلا هم أهل غلو فيه ، غلو النصارى الذين غلوا بالترهب ، وقيلهم في عيسى ما قالوا فيه - ولا هم أهل تقصير فيه ، تقصير اليهود الذين بدّلوا كتاب الله ، وقتلوا أنبياءهم ، وكذبوا على ربهم ، وكفروا به ؛ ولكنهم أهل توسط واعتدال فيه . فوصفهم الله بذلك ، إذ كان أحب الأمور إلى الله أوسطها .

وأما التأويل ، فإنه جاء بأن "الوسط" العدل . وذلك معنى الخيار ، لأن الخيار من الناس عدولهم .

في ما جاء من الرجوع والنظائر في أوله ألف

ومعنى الآية على هذا : إنكم لم تغلوا في الأنبياء غلو النصراني في عيسى ، إذ قالوا : إنه إله . ولم تقصروا فيهم تقصير اليهود ، إذ قالوا : إنه كذاب .

ومن الأول قولهم : فلان وسيط في حسبه ، أي : هو الكامل المنتهي .

وفي الآية دليل على أن الأمة لا تجتمع على الباطل .

والوسط بالإسكان : الموضع .

والوسط بالتحريك : ما بين طرفي كل شيء ، وأصل الكلمة العدل ، فالمكان لا يمتد إلى

المسافة إلى أطرافه .

والرجل الأوسط في قومه : الذي تكلله الشرف من نواحيه .

العاشر : قوله تعالى : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهَا أُمَمٌ ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . يعني : الكفار من أمة محمد صلى الله عليه ، وقد تقدم ذكر الأمم والرسول في القرآن ، فعطف قوله : ﴿ كَذَلِكَ أَرْسَلْنَاكَ ﴾ . على أولئك الرسل ، فكأنه قال : كما أرسلنا إلى أمم رسلا من قبل أرسلناك إلى أمة ، يعني : هذه الأمة ، و : ﴿ خَلَتْ ﴾ . أي : مضت ولم تبق منهم باقية .

وفي هذا التزهيد في الدنيا والحث على الاعتبار بمن سلف . ثم قال : ﴿ لَتَلَوَّ عَلَىٰ إِلَيْكَ ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . أي : لتلوه عليهم وتدعوهم إلى العمل به فحذف ذلك .

وقوله : ﴿ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ ﴾ [سورة الرعد آية ٣٠] . موصول بقوله : ﴿ أَرْسَلْنَاكَ فِي أُمَّةٍ ﴾ . الكفر بالرحمن دينهم .

والأصل في هذا كله واحد إلا أن موضع الاستعمال يختلف^(١) .

ذكر من قال : "الوسط" العدل . ينظر تفسير الطبري ٣/ ١٤٠ - ١٤١ .

(١) قال الخليل : الأمة : الدين ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف ٢٢] .

وحكى أبو زيد : لا أمة له ، أي لا دين له . وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم في زيد بن عمرو بن نُفَيْل : "يَبْعَثُ أُمَّةٌ وَخَدَّةٌ" .

وهاهنا وجه آخر ، وهو قوله : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٣٨] . لما جعلها أمثالهم في الخلق والموت والبعث جعلها أمما .

وكذلك كل من كان على دين حقٍّ مخالفٍ لسائر الأديان فهو أمة . وكل قوم نُسبوا إلى شيءٍ وأضيفوا إليه فهم أمة ، وكل جيل من الناس أمة على جذة .
وفي الحديث : "لولا أن هذه الكلاب أمة من الأمم لأمُرْتُ بقتلها ، ولكن ائْتَلُوا منها كل أسود بيميم" .
فأما قوله تعالى : ﴿ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [البقرة ٢١٣] ، فقليل كانوا كفاراً فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين . وقيل : بل كان جميع من مع نوح عليه السلام في السفينة مؤمناً ثم تفرقوا . وقيل : ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾ [النحل ١٢٠] ، أي إماماً يُهْتَدَى به ، وهو سبب الاجتماع . وقد تكون الأمة جماعة العلماء ، كقوله تعالى : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ [آل عمران ١٠٤] .
وقال الخليل : الأمة القائمة ، تقول العرب إن فلاناً لطويل الأمة ، وهم طوال الأمم ، قال الأعشى :
وإن معاوية الأكرمين *** حسان الوجوه طوال الأمم
قال الكسائي : أمة الرجل بذنه ووجهه . قال ابن الأعرابي : الأمة الطاعة ، والرجل العالم .
قال أبو زيد : يقال إنه لحسن أمة الوجه ، يغزون السنة ، ولا أمة لبني فلان ، أي ليس لهم وجه يقصدون إليه لكنهم يخطئون خبط عشواء .
قال اللحياني : ما أحسن أمته أي خلقه . قال أبو عبيد : الأمي في اللغة المنسوب إلى ما عليه جبلة الناس لا يكتب ، فهو [في] أنه لا يكتب على ما وُلِدَ عليه .
قال : وأما قول النابغة :

* وهل يَأْتَمَنُ ذو أمةٍ وهو طائِعُ *

فمن رفعه أراد سنة ملكه ، ومن جعله مكسوراً جعله ديناً من الائتام ، كقولك ائتم بفلان أمة .

والأمة في قوله تعالى : ﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [يوسف ٤٥] ، أي بعد حين .

والإمام : كل من اقتُدي به وقُدِّم في الأمور . والنبي صلى الله عليه وسلم إمام الأئمة ، والخليفة إمام الرعية ، والقرآن إمام المسلمين . قال الخليل : الإمة التهمة . قال الأعشى :

* وأصاب عروك إمةً فأزالها *

انظر مقاييس اللغة مادة (أم م) .

الأخذ^(١)

أصله : الجمع ، ومنه يقال للموضع الذي يجتمع فيه ماء السماء : الأخذ ، والجمع إخاذ ، ويقال له : وخذ أيضا ، ويقال : ولي على الشام وما أخذ إخذته ؛ أي : اجتمع مع أعماله . وماخذ الطير : مصائد لها ؛ لأنها تجتمع فيها ، والاتخاذ : أخذ الشيء لأمر يستمر . واستعمل في القرآن على ستة أوجه :

أولها : القبول ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤١] . أي : اقبلوه . وقوله : ﴿ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٤] . أي : يقبلها ، ومعنى قبوله لها إنايته عليها . وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ٧٠] . أي : لا يقبل منها فدية ، والعدل : الفدية ، وسنذكره إن شاء الله . ومثله قوله : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ ﴾^(٢) [سورة الأعراف آية : ١٩٩] . أي : اقبل الفضل من أموالهم .

(١) الفرق بين الاخذ والاتخاذ : أن الاخذ مصدر أخذت بيدي ويستعار فيقال أخذه بلسانه إذا تكلم فيه بمكره ، وجاء بمعنى العذاب في قوله تعالى " وكذلك أخذ ربك " وقوله تعالى " فأخذتهم الصيحة " وأصله في العربية الجمع ومنه قيل للغدير وخذ وأخذ جعلت الهمزة واوا والجمع وخاذ وإخاذ ، والاتخاذ أخذ الشيء لأمر يستمر فيه مثل الدار يتخذها مسكنا والدابة يتخذها قعدة ، ويكون الاتخاذ التسمية والحكم ومنه قوله تعالى " واتخذوا من دونه آلهة " أي سموها بذلك وحكموا لها به [الفروق اللغوية : ٢٩ / ١] .

(٢) قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك : فقال بعضهم : تأويله : (خذ العفو) من أخلاق الناس ، وهو الفضل وما لا يجهدهم . ذكر من قال ذلك : حدثنا ابن حميد قال : حدثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، عن مجاهد ، في قوله : (خذ العفو) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحس . حدثنا يعقوب وابن وكيع قالوا حدثنا ابن عليه ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله : (خذ العفو) قال : عفو أخلاق الناس ، وعفو أمورهم . حدثنا يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : حدثني ابن أبي الزناد ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه في قوله : (خذ العفو) . . الآية . قال عروة : أمر الله رسوله صلى الله عليه وسلم أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال : حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : ما أنزل الله هذه الآية إلا في أخلاق الناس : (خذ العفو وأمر بالعرف) ، الآية .

حدثنا ابن وكيع قال : حدثنا محمد بن بكر ، عن ابن جريج قال : بلغني عن مجاهد : (خذ العفو) ، من أخلاق الناس وأعمالهم بغير تحمس .

- . . . قال : حدثنا أبو معاوية ، عن هشام بن عروة ، عن وهب بن كيسان ، عن ابن الزبير : (خذ العفو) قال : من أخلاق الناس ، والله لأخذته منهم ما صحبتهم .

- . . . قال : حدثنا عبدة بن سليمان ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن ابن الزبير قال : إنها أنزل الله : (خذ العفو) ، من أخلاق الناس .

- حدثني محمد بن عمرو قال : حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد : (خذ العفو) قال : من أخلاق الناس وأعمالهم ، من غير تحمس = أو تجسس ، شك أبو عاصم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : خذ العفو من أموال الناس ، وهو الفضل . قالوا : وأمر بذلك قبل نزول الزكاة ، فلما نزلت الزكاة نُسخ . ذكر من قال ذلك :

- حدثني المثنى قال : حدثنا عبد الله بن صالح قال : حدثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله (خذ العفو) ، يعني : خذ ما عفا لك من أموالهم ، وما أتوك به من شيء فخذ . فكان هذا قبل أن تنزل براءة بقرائض الصدقات وتفصيلها وما انتهت الصدقات إليه .

- حدثني محمد بن الحسين . قال : حدثنا أحمد بن المفضل قال : حدثنا أسباط ، عن السدي : (خذ العفو) ، أما "العفو" : فالفضل من المال ، نسختها الزكاة .

- حدث عن الحسين بن الفرج قال : سمعت أبا معاذ يقول : حدثنا عبيد بن سليمان قال : سمعت الضحاك ، يقول في قوله : (خذ العفو) ، يقول : خذ ما عفا من أموالهم . وهذا قبل أن تنزل الصدقة المفروضة .

وقال آخرون : بل ذلك أمرٌ من الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالعفو عن المشركين ، وترك الغلظة عليهم قبل أن يفرض قتالهم عليه . ذكر من قال ذلك :

- حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله : (خذ العفو) قال : أمره فأعرض عنهم عشر سنين بمكة . قال : ثم أمره بالغلظة عليهم ، وأن يقعد لهم كل مَرَصِد ، وأن يحصرهم ، ثم قال : (فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) ، [سورة التوبة : ٥ ، ١١] الآية ، كلها . وقرأ : (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ) ، [سورة التوبة : ٧٣ / سورة التحريم : ٩] قال : وأمر المؤمنين بالغلظة عليهم ، فقال : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً) ، [سورة التوبة : ١٢٣] بعدما كان أمرهم بالعفو . وقرأ قول الله : (قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ) ، [سورة الجاثية : ١٤] ثم لم يقبل منهم بعد ذلك إلا الإسلام أو القتل ، فنسخت هذه الآية العفو .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : معناه : خذ العفو من أخلاق الناس ، واترك الغلظة عليهم وقال : أمر بذلك نبي الله صلى الله عليه وسلم في المشركين . وإنا قلنا ذلك أولى بالصواب ، لأن الله جل ثناؤه أتبع ذلك تعليمه نبيه صلى الله عليه وسلم محاجته المشركين في الكلام ، وذلك قوله : (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) ، وعقبه بقوله : (وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغِيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا) ، فما بين ذلك بأن يكون من تأديبه نبيه صلى الله عليه وسلم في عشرتهم به ، أشبه وأولى من الاعتراض بأمره بأخذ الصدقة من المسلمين . [جامع البيان : ١٣ / ٣٢٧-٣٢٩] .

قال ابن عباس : العفو ما عفا من أموالهم ؛ وهو الفضل منها بعد الكل والعيال ، ثم نزلت آية الزكاة ، وهو قول مقاتل .

وقال الحسن ومجاهد : أمر النبي صلى الله عليه وآله أن يأخذ العفو من أخلاق الناس .
والعفو هو التيسير والتسهيل ، والمعنى : استعمال العفو ، وقبول ما سهل من الأخلاق ، وترك الاستقصاء في المعاملات ، وقبول العذر من المذنب ، وإلى نحو هذا ذهب أبو علي رضي الله عنه .

وقال بعضهم : خذ ما أتاك عفو من إيمان قومك وغيرهم ، وينبغي أن يكون هذا قبل فرض السيف .

وقوله : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [سورة الحشر آية ٧] . أي : اقبلوه واعملوا به .

الثاني : الحبس ، قال الله تعالى : ﴿ فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ﴾ [سورة يوسف آية ٧٨] . أي : احبس ، : ﴿ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ ﴾ [سورة يوسف آية ٧٩] . أي : نجبس ، ومثله : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ ﴾ [سورة يوسف آية ٧٦] . وذلك أنه إذا حبس فقد حصل محصل الأسير ، [والأسير] يقال له : الأخيد .

الثالث : العقاب ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذْتُمُ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ [سورة غافر آية ٥] . أي : عاقبتهم . وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى ﴾ [سورة هود آية ١٠٢] . أي : عقابه . وقوله : ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية ٤٠] . أي : عاقبنا ، وفي هذا دليل على أن من لم يفعل ما وجب عليه فقد فعل ذنباً .

الرابع : القتل ، قال الله تعالى : ﴿ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ﴾ [سورة غافر آية ٥] . أي : ليقتلوه . كذا قيل ، والصواب : ليمكنوا منه ، فإما أن يقتلوه ، أو يخرجوه ، أو يجبسوه ، وذلك أن ما أخذه فقد تمكنت منه .

الخامس : الأسر ، قال الله تعالى : ﴿ وَخُذُوهُمْ وَأَخْصِرُواهُمْ ﴾ [سورة التوبة آية ٥] .
أي : أسروهم واحبسوهم عن وجوههم فإن أسلموا وإلا فاقتلوهم ، وإنما أمر بقتلهم
وأسرهم وحبسهم ليخافوا النكال فيؤمنوا .

والأشهر الحرم في هذه الآية : رجب ، وذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ؛ فواحد منها
فرد ، وثلاثة متوالية ، وليست هذه الأشهر الأربعة المذكورة في قوله تعالى : ﴿ فَسَيَحْضُوا فِي
الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ ﴾ [سورة التوبة آية ٢] . لأن آخر تلك انقضاء عشر من شهر ربيع
الأول ، وانقضاء الأشهر الحرم انقضاء المحرم والأربعة الأشهر الأولى ، وهي أشهر العهد ،
والكلام في هذا طويل ليس ذا موضع ذكره .

السادس : الإصابة بالمكروه ، قال الله تعالى : ﴿ فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ ﴾ [سورة الحجر آية
٧٣] . كذا قيل ، والصحيح أنه بمعنى الإهلاك ؛ أي : أهلكتهم هذه الصيحة ، ويجوز أن
يكون نظير قوله : ﴿ فَأَخَذْتُمُ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ ؛ لأن الصيحة عقاب .

الاعتداء

أصله تجاوز الحد ، ومنه قيل : عداء جاوزه إذا جاوز قدره ، وسمي العدو عدوا لتجاوز حد السعي والمشي ، ويجوز أن يكون أصله من الميل ، ومنه قيل : عدوة الوادي وهي جانبه ، وفي القرآن : ﴿ إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى ﴾^(١) [سورة الأنفال آية ٤٢] .

(١) قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : أيقنوا ، أيها المؤمنون ، واعلموا أن قسم الغنيمة على ما بينه لكم ربكم ، إن كنتم أمتم بالله وما أنزل على عبده يوم بدر ، إذ فرق بين الحق والباطل من نصر رسوله "إذ أنتم" ، حيثذ ، "بالعدوة الدنيا" ، يقول : بشفير الوادي الأدنى إلى المدينة "وهم بالعدوة القصوى" ، يقول : وعدوكم من المشركين نزول بشفير الوادي الأقصى إلى مكة "والركب أسفل منكم" ، يقول : والعير فيه أبو سفيان وأصحابه في موضع أسفل منكم إلى ساحل البحر . ونحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل . ذكر من قال ذلك :

حدثنا محمد بن عبد الأعلى قال ، حدثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا" ، قال : شفير الوادي الأدنى ، وهم بشفير الوادي الأقصى "والركب أسفل منكم" ، قال : أبو سفيان وأصحابه ، أسفل منهم . حدثنا بشر قال ، حدثنا يزيد قال ، حدثنا سعيد ، عن قتادة قوله : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى" ، وهما شفير الوادي . كان نبي الله بأعلى الوادي ، والمشركون أسفلهم "والركب أسفل منكم" ، يعني : أبا سفيان ، [انحدر بالعير على حوزته] ، حتى قدم بها مكة .

- حدثنا ابن حيد قال ، حدثنا سلمة ، عن ابن إسحاق : "إذ أنتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى" ، من الوادي إلى مكة "والركب أسفل منكم" ، أي : عير أبي سفيان التي خرجتم لتأخذوها وخرجوا ليمنعوها ، عن غير ميعاد منكم ولا منهم .

- حدثني محمد بن عمرو قال ، حدثنا أبو عاصم قال ، حدثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد قوله : "والركب أسفل منكم" ، قال : أبو سفيان وأصحابه ، مقبلون من الشام تجاراً ، لم يشعروا بأصحاب بدر ، ولم يشعر محمد صلى الله عليه وسلم بكفار قريش ، ولا كفار قريش بمحمد وأصحابه ، حتى التقى على ماء بدر من يسقي لهم كلهم . فاقتلوا ، فغلبهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فأمرهم .

- حدثني المثنى قال ، حدثنا أبو حذيفة قال ، حدثنا شبل ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، بنحوه .

- حدثني المثنى قال ، حدثنا إسحاق قال ، حدثنا عبد الله ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد مثله . واختلفت القراءة في قراءة قوله : "إذ أنتم بالعدوة" . فقرأ ذلك عامة قراء المدنيين والكوفيين : (بِالْعُدْوَةِ) ، بضم العين . وقرأ بعض المكين والبصريين : (بِالْعُدْوَةِ) ، بكسر العين .

قال أبو جعفر : وهما لغتان مشهورتان بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب ، يُشَدُّ بيت الراعي :

وَعَيْنَانِ مُمَرَّ مَاتِيهِمَا كَمَا نَظَرَ الْعُدْوَةَ الْجُودَرُ بِكسر العين من "العدوة" ، وكذبت ينشد بيت أوس بن حجر :
وَقَارِسَ لَوْ تَحُلَّ الْحَيْلُ عِدْوَتُهُ وَلَوْ أَيْرَاعَا ، وَمَا هُمَا بِأَقْبَالٍ [جامع البيان : ١٣ / ٥٦٤-٥٦٥] .

ومن ذلك قيل : العدو ليله عمن يعاديه ، وسمي الظلم اعتداء ؛ لأنه ميل عن الحق ، كما سمي جورا ؛ لأنه ميل .

وهو في القرآن على وجهين :

أولهما : التجاوز ، قال الله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾ [سورة البقرة آية ٢٢٩] . أي : لا تجاوزوها إلى غيرها ، : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية ٢٢٩] أي : يتجاوزها ، ومثله : ﴿ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ﴾ [سورة الطلاق آية ١] .

الثاني : الظلم ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] . أي : فمن ظلمكم فجازوه بظلمه ، فسمي الجزاء على الظلم ظلما .

قال الشاعر :

أَلَا لَا يَجْهَلَنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَتَنْجَهْلُ قَوْقُ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

لم يفتخر هذا الشاعر بالجهل وإنما أراد الجزاء على الجهل .

والجهل هاهنا : ركون الرأس في الشر ، وليس هو ضد العلم .

وأول الآية : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] .

والمعنى : أن المشركين سألوا النبي صلى الله عليه وآله عن القتال في الشهر الحرام ، فأنزل الله : ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ [وَصَدَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ] ﴾ [سورة البقرة آية ٢١٧] . فأرادوا أن يغزوه في الشهر الحرام طمعا أن تكف عنهم فسألوا منه ، فأنزل الله : ﴿ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ ﴾ . أي : إن استحلوا منك في الشهر الحرام شيئا فاستحل منهم مثله فيه ، وأكد ذلك بقوله : ﴿ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ ﴾ . أي : لا يجوز ذلك بالمسلمين إلا قضاضا . ثم قال : ﴿ فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٩٤] . والمعنى : إنهم إن اعتدوا فقاتلوكم في الشهر الحرام فلا تقصروا عن قتالهم فيهم ، فيكون الاعتداء من المشركين الظلم ، ومن المسلمين الانتقام .

وقوله : ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَعَلُهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [سورة المائدة آية ٩٤] . أي : فمن قبل الدية ثم قتل فله العذاب ؛ لأنه ظالم . وفي قوله تعالى : ﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ . دليل على أن الحر يقتل بالعبد ؛ لأن من قتل وليه فقد اعتدى عليه .

الأمر بالمعروف^(١)

يعبر عن كل شيء بالأمر ، وأصله في اللغة : الظهور ، ومنه قيل للعلامة : أمانة ؛ لظهورها ، والإمرة ؛ لظهور أمرها ، والأمير ظاهر الأمر على ما يعلم ، وأمر الشيء إذا كثر ، ومع الكثرة ظهور الشأن .

والمعروف كله : ما تقبله النفس وتحبّه ، والمنكر كل ما تكرهه وترده .

وأصل العرفان والمعروف واحد ؛ وهو الطمأنينة والسكون ، وذلك أنك إذا عرفت الشيء سكنت إليه إن كان محبوباً ، وإن كان مكروهاً عملت في إزالته لتسكن .

والعرف الريح الطيبة ؛ لأن النفس تسكن إليها .

والعرف الصبر ؛ لأنه يعقب ما يسكن معه ، ورجل عروف : صبور ، والعرف

والمعروف سواء ، والعرف ، عرف الدابة معروف .

(١) أمر : الأمر : تَقِيضُ النَّهْيِ ، والجَمِيعُ الْأُمُورِ . وَاتَّصَرَ الرَّجُلُ انْتِصَاراً : اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ . وَلَا يَأْتَمُرُ رُشْداً : أَي لَا يَأْتِيهِ . وَأَمَرْتُ فَلَاناً أَمْرَهُ : أَي أَمَرْتُهُ بِمَا يَنْبَغِي . وَإِنَّهُ لَا أَمُورَ بِالْمَعْرُوفِ مِنْ قَوْمٍ أَمِيرٍ . وَالْأَمْرَةُ : الْبَرَكَةُ وَالنَّهْيُ . وَأَمْرَةٌ أَمْرَةٌ : مُبَارَكَةٌ عَلَى رَوْحِهَا .

وَأَمِيرُ النَّبِيِّ وَالْقَوْمِ : كَثُرُوا ؛ أَمَارَةً وَأَمراً ؛ فَهُوَ أَمِيرٌ ، وَكَذَلِكَ إِذَا وَلَدَتْ نَعَمَهُمْ . وَأَمْرَتُهُ : أَكْثَرَتُهُ ؛ وَأَمْرَتُهُ : مِثْلُهُ . وَمَالُهُمْ أَمَارَةٌ كَثِيرَةٌ . وَزَرْعٌ أَمَرٌ : كَثِيرٌ ؛ وَأَمْرٌ بِالتَّخْفِيفِ ؛ وَأَمْرٌ بِوَزْنٍ كَبِيدٍ . وَ" فِي وَجْهِ مَالِكٍ تَعْرِفُ أَمْرَتَهُ " : أَي زِيَادَتَهُ وَخَبْرَهُ ، وَفِي الدَّعَاءِ إِذَا أَرَادُوا بِالرَّجُلِ خَيْراً : أَلْفَى اللَّهُ فِي مَالِكِ الْأَمْرَةَ . وَأَمْرُهُ مَالُهُ فَهُوَ مَأْمُورٌ وَأَمْرُهُ فَهُوَ مُؤَمَّرٌ : أَي كَثَرَهُ . وَفِي الْحَدِيثِ : " خَيْرُ الْمَالِ سَكَنٌ مَأْيُورَةٌ أَوْ مُهْرَةٌ مَأْمُورَةٌ " وَهِيَ الْكَثِيرَةُ السَّاحِجُ . وَمِثْلُ : " مَنْ أَمَرَ فَلَّ " أَي مَنْ كَثُرَ غَلَبُ .

وَالْأَمْرَةُ بِنَاءٌ كَالرَّايَةِ ، وَالْجَمِيعُ الْأَمْرُ . وَالْإِمْرَةُ : الْإِمَارَةُ ، وَأَمِيرٌ مُؤَمَّرٌ ، وَأَمْرٌ عَلَيْنَا فَلَانٌ : وَلِيٌّ ، وَلَكَ عَلَيَّ أَمْرَةٌ مُطَاعَةٌ . وَالْأَمْرُ : الْمَوْعِدُ . وَالْأَمَارَةُ : الْعَلَامَةُ ، وَالْأَمْرَةُ : مِثْلُهُ . وَأَمْرٌ أَمْرَةٌ وَأَمَارَةٌ : أَي صَبَرٌ عَلِيّاً ، وَأَمْرٌ تَأْمِيناً : مِثْلُهُ . وَالْإِمْرُ : الْعَجِيبُ مِنَ الْأُمُورِ . وَالْإِمْرُ : الصَّغِيرُ مِنَ الْأَوْلَادِ الضَّانِ ، وَالْأُنْثَى إِمْرَةٌ . وَقِيلَ : الْإِمْرَةُ الرَّجُلُ الَّذِي لَا عَقْلَ لَهُ وَلَا رَأْيَ ، وَمِنْهُ قَوْلُ السَّاجِعِ :

إِذَا طَلَعَتِ الشُّعْرَى سَفَرًا *** فَلَا تُرْسِلْ فِيهَا إِمْرَةً وَلَا إِمْرًا

وقيل : هُوَ الْأُنْثَى مِنَ الْجَمْلَانِ . وَسَنَانٌ مُؤَمَّرٌ : أَي مُخَدَّدٌ .

وَالْمُؤَامَرَةُ : الْمُشَاوَرَةُ ، أَمَرْتُ الرَّجُلَ ، وَمُرِنِي : أَي أَشْرَعْتَنِي ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : " إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ " . وَالْمُتَمَرُّ : الْمَشُورَةُ . وَالْمُؤَمَّرُ مِنْ أَنْبَاءِ الشُّهُورِ : الْمُحَرَّمُ ، وَجَمْعُهُ مُؤَمَّرَاتٌ .

وَالْأَمِيرُ : اسْمٌ أَوَّلُ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ الْعَجُوزِ ، وَسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالْحَذَرِ مِنْهُ . وَالْمُؤَمَّرُ : الْيَوْمُ الثَّانِي ؛ لِأَنَّهُ يَأْتَمُرُ بِالنَّاسِ أَي يُؤَذِّهِمْ بِرَبِّهِ . [المحيط في اللغة : ٢ / ٤٤٤] .

وهو في القرآن على وجهين :

الوجه الأول : الأمر بتوحيد الله ، [سورة والنهي آية عن] الشرك ، قال الله تعالى : ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . جاء في التفسير أنه أراد توحيد الله ، : ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٠] . يعني : الشرك بالله ، ومثله قوله : ﴿ يَا بَنِي إِدْرِيسَ اقْصِبُوا الصَّلَاةَ وَآمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة لقمان آية ١٧] . أي : بتوحيد الله : ﴿ وَأَنَّهُ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة لقمان آية ١٧] . أي : عن الشرك .

الوجه الثاني : قيل : هو اتباع الرسول ، قال الله تعالى : ﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٣] ، ثم قال : ﴿ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٤] . أي : باتباع الرسول ، : ﴿ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١١٤] . أي : عن التكذيب به ، هكذا قالوا .

قال أبو هلال رحمه الله : وعندنا أن أحد هذين الوجهين داخل في الآخر ، وهما جميعا يكونان الأمر بوجوه المحاسن والطاعات كلها .

والنهي عن المنكر : النهي عن المعاصي والقبائح جميعها .

أدنى^(١)

أفعل ، من الدنو وهو القرب ، وتأنث أدنى : دنيا ، وتجمع : دنى ، مثل : كبرى وكبر ، وسميت الدنيا دنيا ؛ لأنها تؤدي إلى آخرة .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

أحدها : بمعنى : أجدر ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَذْنَىٰ لَا تَرْتَابُوا ﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٢] . أي : أجدر أن لا تشكوا إذا رأيتم خطوطكم يخاطب الشهود . وقال : ﴿ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية ٢٨٢] . يعني : الكتب . وأقسط : أعدل ؛ لأنه أبعد من التظالم وأقوم للشهادة ؛ يعني : أنها إذا كانت مكتوبة كانت أثبت وأبعد من اعتراض شك فيه ؛ لأن صاحبها إذا رأى خطه بها لم يشك في صحتها في أكثر الحال .

ومثله : ﴿ أَذْنَىٰ لَا تَعُولُوا ﴾ [سورة النساء آية ٣] . أي : أجدر ألا تجوروا وتميلوا ، والعول : الميل عن الحق ، والعول : النفقة على العيال ، عالم عولا .

وأول الآية : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء آية ٣] الآية ، والمراد : أن أحدهم كان فيما مضى يتزوج عشر نسوة فتعظم المؤونة عليه ، فيمد يده إلى مال اليتامى الذي يلي أمرهم وهو مشفق من ذلك ، فقليل له : كما خفت على نفسك في أموال اليتامى فخف عليها في حقوق النساء ، فإنهن أيضا إلى الضعف والحاجة إلى ما هن ، ولا يتزوج منهن أكثر مما يتسع له ، ثم قال : ﴿ ذَلِكَ أَذْنَىٰ لَا تَعُولُوا ﴾ . أي : تزوجكم الواحدة أقرب ألا تجوروا .

وقيل : كانوا يتزوجون العشر من اليتامى رغبة في ما هن ، فربما عجزوا عن التسوية بينهن في النفقة والفراش ، فقال الله : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُفْسِدُوا فِي الْيَتَامَىٰ ﴾ [سورة النساء آية

(١) (د ن و) : (دَنَا مِنْهُ قَرَبٌ وَأَدْنَاهُ غَيْرُهُ وَمِنْهُ) أَذْنَى الْمَرْأَةُ نَوْبَهَا عَلَيْهَا إِذَا أَرْحَمَتْهُ وَتَسَرَّتْ بِهِ (وَفِي التَّنْزِيلِ) يُذْنِبْنَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى ﴿ أَيُّ أَوَّلَى مِنْ أَنْ يُعْرِفْنَ فَلَا يَتَعَرَّضَ لَهُنَّ (وَرَجُلٌ دَنِيٌّ) خَبِيثٌ (وَالدَّيْنَةُ) النَّقِيسَةُ (وَمِنْهَا) قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّ اللَّهَ أَعَزَّ الْإِسْلَامَ فَلَمْ نُعْطِي (الدَّيْنَةَ) فِي دِينِنَا . [المغرب : الدال مع النون] .

٣. أي : في نكاح اليتامى ؛ فحذف النكاح ودل عليه بقوله : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنْ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء آية ٣] . يعني : من هؤلاء اليتامى ، ولم يقل : ما طاب لكم منهن ؛ لأن لا يظن أن الخطاب مقصور عليهن دون سائر النساء ، وأراد أن يبين أن هذا ينبغي أن يستعمل فيهن وفي غيرهن من النساء ، وإذا ذكر النساء دخل اليتامى فيهن ، وإذا ذكر اليتامى لم يدخل فيه غيرهن .

الثاني : بمعنى : أقرب ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى ﴾ [سورة السجدة آية ٢١] . يعني : الجوع والضر والخوف في الدنيا ، : ﴿ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ [سورة السجدة آية ٢١] في الآخرة وهي النار . هكذا قالوا ^(١) .

وهو عندنا بمعنى أيسر ؛ لأنه جعله مع أكبر ، وقوله تعالى : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [سورة النجم آية ٩] . أي : أقرب لا غير .

الثالث : بمعنى : أقل ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ ﴾ [سورة المجادلة آية ٧] . أي : أقل .

الرابع : بمعنى : أدون ، قال الله تعالى : ﴿ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ ﴾ [سورة البقرة آية ٦١] . أي : الأرفع وهو المن والسلوى بالأوضع ، هو ما طلبوه من نبات

(١) قوله تعالى : ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذْنَى ﴾ وفيه ستة أقوال .

أحدها : أنه ما أصابهم يوم بدر ، رواه مسروق عن ابن مسعود ، وبه قال قتادة ، والسدي .

والثاني : سنون أخذوا بها ، رواه أبو عبيدة عن ابن مسعود ، وبه قال النخعي . وقال مقاتل : أخذوا بالجوع سبع سنين .

والثالث : مصائب الدنيا ، قاله أبي بن كعب ، وابن عباس في رواية ابن أبي طلحة ، وأبو العالية ، والحسن ، وقاتدة ، والضحاك .

والرابع : الحدود ، رواه عكرمة عن ابن عباس .

والخامس : عذاب القبر ، قاله البراء .

والسادس : القتل والجوع ، قاله مجاهد .

قوله تعالى : ﴿ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾ أي : قَبْلَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ؛ وفيه قولان .

أحدهما : أنه عذاب يوم القيامة ، قاله ابن مسعود .

والثاني : أنه القتل بيدر ، قاله مقاتل . [زاد المسير : ١١٧/٥] .

الأرض ، و : ﴿ خَيْرٌ ﴾ هاهنا بمعنى أفعّل ؛ وجعل المن والسلوى أرفع من غيرهما ، إذ لم يكن في نيلهما تعب ولا إثم .

الإسلام

أصله السَّكُونُ ، ومنه قيل : السلم خلاف الحرب ؛ لما فيها من السكون . ثم استعمل في الخضوع ، فقيل : أسلم الرجل واستسلم إذا خضع وتواضع ؛ لأن مع الخضوع سكون الأطراف ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [سورة الحجرات آية ١٤] .

(١) [سلم] السلم : ضَرَبَ من الدَّاءِ مُشْتَبِلٌ لها عُرْوَةٌ وَاحِدَةٌ . وَلَذَغَ الحَيَّةُ ، والمَلْدُوغُ : سَلِمَ ومَسْلُومٌ . وَرَجُلٌ سَلِيمٌ : سَالِمٌ ؛ سَلِمَ سَلَامَةً .

وقولهم : السلام عليكم : أي السلامة من الله عليكم . والسلام : السداد ، من قوله عَزَّ وَجَلَّ : " وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً " أي صواباً . وقيل : سَلِمَ من العَيْبِ . وقوله : " الله يَدْعُو إلى دَارِ السَّلام " ، السَّلامُ : الله ، وداره : الجنة . وقيل : هي السلامة .

وقُرئ : " وَرَجُلًا سَالِمًا لِرَجُلٍ " أي خالصاً . والمُسْلِمُ : المَخْلُصُ لله عِبَادَتَهُ . والسلام : الحِجَارَةُ ، والوَاحِدَةُ سَلِمَةٌ .

والسلام : ضَرَبَ من دِقِّ الشَّجَرِ . والسَّلامى : عِظَامُ الأصابع والأشاجع والأكارع ، والجميعُ سَلَامِيَّاتٌ . وهو آخر ما يَنْقُى من المَخِّ في السَّلامى والعَيْنِ . والسلم : ضَرَبَ من الشَّجَرِ ، الواحدةُ سَلَمَةٌ . والمَسْلُومُ : المَلْدُوغُ به . وَأَرْضٌ مَسْلُومَةٌ : كثيرةُ السلمِ . والإسلام : الاستسلامُ لأمرِ الله والانقيادُ لطاعته . ويقولون : سلمنا لله ربنا : أي استسلمنا له واستسلمنا . والسلام - أيضاً - : الإسلام .

والمُسْلِمُ : المُتَسَلِّمُ . والمَسَالِمُ : جَمْعُ المُسْلِمِ . وكان كافرًا ثم تَمَسَّلَ : أي أسلمَ . وأسلمتُ فلاناً : خَدَلْتُهُ . وأسلمتُ إليه ثوباً ، وسلمتُ له وإليه . ويقولون : المَظْلُومُ عِنْدَنَا يُسَلِّمُ ظَلَامَتَهُ : أي يُعْطِي ظَلَامَتَهُ . وتسلمتُ حاجتي من فلانٍ : أي تَجَرَّزْتُ وقُضِيَتْ . ولا يُسْتَلَمُ على سُخْطِهِ : أي لا يُضْطَلَّحُ على ما يَكْرَهُهُ .

وكلُّ تاركٍ لشيءٍ فهو مُسْلِمٌ له . واستسلامُ الحجرِ : تَنَاقُلُهُ باليَدِ أو بالقَبْلَةِ . والسلامُ والسَّلْمُ والسلامُ والمُسَالمةُ : واحدٌ ؛ وهو الصُّلْحُ . وأخذَه سَلماً : أي أَمَرَهُ . وإنه لَحَسَنُ السلمِ : أي الإسلامِ والدينِ . والسلام - بفتحَيْنِ - : الأَمْرُ . وهو الأَمْرُ أيضاً .

وأسلمَ الرجلُ بعد جُورِهِ : إذا تَرَكَ ما كانَ عليه من جُورٍ الشَّبَابِ . ويقولون للرجُلِ الكاذِبِ : " ما تَسَلَّمَ خَيْلَهُ كَذِباً " .

وكَلِمَةُ سَالِمَةَ العَيْنَيْنِ : أي حَسَنَةٌ .

والسلم : ما أَسْلَفَتْ فيه . وفي الحديث : " لا باسَ بالسَّلمِ " ، يُقال : أسَلَمَ فيه . والسُّلْمُ : السِّيرُ ، والمَرْقى ، والجميعُ السَّلَالِيْمُ . والسلامُ : كَوَائِبُ أَسْفَلِ مِنَ العَانَةِ عن يَمِينِهَا . والسليمُ من حَافِرِ القَرْسِ : بَيْنَ الأَمْعَرِ والصَّخَنِ من باطنِهِ . والأسَلِيمُ : عِزٌّ في اليَدِ . والأسْلُومُ : بَطْنٌ من جَبَرٍ . وامرأةٌ سَلِمَةٌ وسَلِيَّةٌ : إذا كانت لَبَنَةُ الأطرافِ نَاعِمَتِهَا . وفلانٌ مُسْتَلَمُ القَدَمَيْنِ : أي لَبِنِهَا . واستسلمَ نكَمَ الطَّرِيقِ : أَخَذَهُ ولم يُحِطْ بِهِ . وأبو سَلْمَانَ : أعْظَمُ الجَعْلَانِ ذُو رَأْسٍ عَظِيمٍ . وأبو سَلْمَى : هو الوَرَّغُ .

والسَّلَامَةُ : مِثْلُ الآلَاءِ ، وتُجْمَعُ على السَّلَامَانِ ، وقد سَمَتِ العربُ سَلَامَتَانِ ، وقيل : هو شَجَرٌ أَطْوَلُ من الشَّيْخِ . والسَّلَامُ - أيضاً - : شَجَرٌ . [المحيط في اللغة : ٢/ ٢٦٥] .

ثم استعمل في الإخلاص ، فيقال : أسلم الرجل إذا أخلص لله ، وسلم الغلام في صناعة كذا إذا أخلصه لها ، وسلم فلان على فلان كأنه عرفه خلوص سريره ، وقد سلم العبد أمره لله ؛ أي : فوضه إليه وأخلص التوكل فيه عليه .

والسلامة : الخلاص من الشر ، وقوله : ﴿ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية ٢٠] . أي : أخلصت ديني .

ومثله : ﴿ وَمَنْ يُسَلِّمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ ﴾ [سورة لقمان آية ٢٢] . أي : يخلص دينه له . وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

أولها : الإخلاص ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ ﴾ [سورة البقرة آية ١٣١] . أي : أخلص ، : ﴿ قَالَ أَسْلَمْتُ ﴾ [سورة البقرة آية ١٣١] . أي : أخلصت .

الثاني : الإقرار ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا ﴾ [سورة آل عمران آية ٨٣] . أي : أقر بالعبادة طوعاً باللسان أو كرها ؛ لما فيه من الدلالة على صنع الله فيه ، على سبيل ما قال الحكماء : كل صامت ناطق . وهذا يقوم مقام الإقرار وإن لم يكن به .

وقال تعالى : ﴿ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ ﴾^(١) [سورة التوبة آية ٧٤] . أي : إقرارهم بالإسلام ؛ يعني : المنافقين ، فسمى الإقرار إسلاماً ؛ لأنه من شرائط الإسلام .

(١) قال أبو حيان : نزلت في أهل الكتاب آمنوا بالتوراة والإنجيل وفيها ذكر محمد صلى الله عليه وسلم ، فغيروه وكفروا بعد إيمانهم بنبوته ، قاله الحسن وروى عطية قريباً منه عن ابن عباس وقال مقاتل : في عشرة رهط ارتدوا فيهم الحارث بن سويد الأنصاري ، فندم ورجع ، ورواه أبو صالح عن ابن عباس ، وذكر مجاهد ، والسدي : أن الحارث كان يظهر الإسلام ، فلما كان يوم أحد قتل المجدر بن زياد بدم كان له عليه ، وقتل زيد بن قيس ، وارتد ولحق بالمشركين ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمر أن يقتله إن ظفر به ، ففاته ، ثم بعث إلى أخيه من مكة يطلب التوبة ، فنزلت إلى قوله : ﴿ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ﴾ فكتب بها قومه ، إليه فرجع تائباً .

ورواه عكرمة عن ابن عباس ، ولم يسمه ، ولم يذكر سوى أنه رجل من الأنصار ارتد فلحق بالمشركين ، وخرجه النسائي عن ابن عباس مطولاً وقيل : لحق بالروم وقيل : ارتد الحارث في أحد عشر رجلاً ، وسمى

الثالث : الخضوع والاستسلام ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ﴾ [سورة الحجرات آية ١٤] وخضعنا مخافة السبي والقتل ، وهذه الآية خاصة في قوم من الأعراب ، وإن كان لفظها عاما فيهم ، إذ كان منهم من أخلص ، كما قال : ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٧٣] . وإنما قال لهم ذلك نفر ، وقيل : بل رجل واحد .

منهم الزمخشري : طعمة بن أبيرق ، والحارث بن سويد بن الصامت ، ووجوح بن الأسلت ، وذكر عكرمة أنهم كانوا اثني عشر ، وسمى منهم : أبا عامر الراهب ، والحارث ووجوهاً .

وقال النقاش : نزلت في طعمة بن أبيرق . ألفاظ الآية تعم كل من ذكر وغيرهم . وقيل : هي في عامة المشركين وقال مجاهد : حمل الآيات إلى الحارث رجل من قومه فقرأها عليه فقال له الحارث : إنك والله ما علمت لصدوق ، وإن رسول الله لأصدق منك ، وإن الله تعالى لأصدق الثلاثة . قال فرجع الحارث فأسلم وحسن إسلامه .

كيف : سؤال عن الأحوال ، وهي هنا للتعجب والتعظيم لكفرهم بعد الإيمان ، أي : كيف يستحق الهداية من أتى بها يتأفها بعد التباسه بها ووضوحها ؟ فاستبعد حصولها لهم مع شدة الجرائم ، كما قال صلى الله عليه وسلم : « كيف تغلح أمة أدمت وجه نبيها » ؟ .

وقال الزمخشري : كيف يلطف بهم وليسوا من أهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ؟ انتهى . وهذه نزعة إعترالية ، إذ ليس المعنى عنده : إن الله يخلق الهداية فيهم كما لا يخلق الضلال فيهم ، بل هما مخلوقان للعبد .

وقيل : الاستفهام هنا يراد به الجحد ، والمعنى : ليس يهدي ، ونظيره قول الشاعر :

فهذي سيف ، يا صديّ بن مالك *** كثير ، ولكن : أين بالسيف ضارب ؟

وقول الآخر :

كيف نومي على الفراش ولما *** يشمل الشام غارة شعواء ؟

والهداية هنا هي إلى الإيمان واتباع الحق ، وأبعد من زعم أن المعنى : لا يهديهم إلى الجنة إلا إن تجوّز ، فأطلق السبب على السبب ، لأن دخول الجنة مسبب عن الإيمان ، فيعود إلى القول الأول . [البحر المحيط : ٣/٣١١] .

الإيمان^(١)

أصل الإيمان السكون والطمأنينة ، ومن أمنك فقد سكن إليك ، ولهذا لا يصح أن يقال : إن الله يأتمن أنبيائه إذ لا يوصف بأنه يسكن إليهم ، ولا يوصف الأنبياء بأنهم يأتمنونه ، كما لا يوصفون بأنهم يسكنون إليه .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ [سورة يوسف آية ١٧] . أي : بساكن إلينا .

والمؤمن في أسماء الله بمعنى أنه يؤمن عباده من ظلمه ، ويسكن قلوبهم حتى لا يخافوا ذلك منه .

ثم استعمل الإيمان بمعنى التصديق ؛ لأنك لا تصدق الرجل إلا وقد سكنت إلى خبره . ويكون المؤمن في أسماء الله تعالى بمعنى أنه مصدق لأوليائه ، وتصديقه لهم تسكين عباده إلى قولهم ، ويقال : آمنت لرجل إذا صدقته ، ومنه قول الشاعر :

وَمِنْ قَبْلُ أَمْنَا وَقَدْ كَانَا قَوْ
مُنَا يُصَلُّونَ الْأَوْثَانَ قَبْلَ مُحَمَّدَا

ويجوز أن يكون معنى قوله : ﴿ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا ﴾ [سورة يوسف آية ١٧] . أي : بمصدق قولنا .

وقوله تعالى : ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ ﴾ [سورة طه آية ٧١] مفارق لقوله : ﴿ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٣٧] . معنى : ﴿ آمَنْتُمْ بِهِ ﴾ : صدقتموه . ومعنى : ﴿ آمَنْتُمْ لَهُ ﴾ : أظهرتم ما أظهرتموه من عجزكم عن معارضته إعانة له لأمر توافقت عليه ، ولستم تعرفون صدقه .

(١) الفرق بين الاسلام والايمان : لا يخفى أن الاسلام أعم من الايمان مطلقا ، كما نطقت به الاخبار الصحاح ، والروايات الصراح المروية عن أهل بيت العصمة ، صلوات الله عليهم ، وهي كثيرة جدا ، فلا يلتفت أحد إلى قول من قال من المتكلمين : إنها مترادفات ، فمنها ما رواه ثقة الاسلام في موثقة سماعه قال : قلت لابي عبد الله عليه السلام : أخبرني عن الاسلام والايمان أهما مختلفان ؟ فقال : " إن الايمان يشارك الاسلام ، والاسلام لا يشارك الايمان . [الفروق اللغوية : ١ / ٣١٧] .

وهذا كما تقول : فعلت ذلك لفلان . أي : ميلا إليه وإعانة له ، وإنما قال فرعون هذا القول ليوهم غيرهم أنهم على اعتقاد التكذيب لموسى ؛ لأن لا يكون ما ظهر منهم داعية لغيرهم إلى الإيثار به .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بمعنى : الإقرار باللسان من غير اعتقاد ؛ قال الله تعالى : ﴿ ذَلِك بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ﴾ [سورة المنافقون آية ٣] . يعني : أقرروا علانية وكفروا سرا . وقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ [سورة يَأْيَا آية الَّذِينَ آمَنُوا] لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة الممتحنة آية ١٣] هكذا جاء في التفسير .

ويموز عندنا أن تكون المخاطبة في هذه الآية وما قبلها مخاطبة للمؤمنين حقا يأمرهم بخشوع القلوب وترك تولي المغضوب عليهم فيما يستقبل من أعمارهم .

وقيل : قوله : ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الحديد آية ١٦] أن هؤلاء قوم من المؤمنين قصروا بعض التقصير ولم يظهر عليهم أثر الإسلام ؛ خشوعه ووقاره فاستعجبهم الله بهذه الآية .

وقال بعضهم : كانوا بمكة مجتهدين فلما هاجروا أصابهم الزيف ففوتوا عما كانوا عليه ، وأن الشيء يبين ، وأنى يأتي بمعنى دنا .

الثاني : التصديق سرا وعلانية ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴾ [سورة البينة آية ٧] .

الثالث : التوحيد ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْفُرْ بِالْإِثْبَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ ﴾ [سورة المائدة آية ٥] ، قالوا : أراد بالتوحيد ، والمعنى على هذا : ومن يكفر بالله الموحّد ، ويموز [أن يكون] الكفر هاهنا الجحد : أي : من جحد الإيثار بهذه الأحكام التي تقدم ذكرها فقد حبط عمله ، وفيه دليل على أن من نذر طاعة ثم ارتد بطل نذره .

الرابع : إقرار المشرك ببعض ما يوافق المسلم ، قال [الله تعالى] : ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴾ [سورة يوسف آية ١٠٦] أي : إذا سألتهم عن خالقهم قالوا : الله .

وهم بعد ذلك لا يعبدونه ويعبدون الأصنام ، [ونحو ذلك] قوله تعالى : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة لقمان آية ٢٥] ، وسمى بعض المفسرين هذا القول منهم إيانا .

ونحن لا نطلق عليه اسم الإيمان ؛ لأنه لو كان إيانا لكان صاحبه مؤمنا بالإطلاق ، ولكننا نقول : إنه إقرار بالله والمقر بالله يجوز أن يكون كافرا ولا يجوز أن يكون المشرك مؤمنا ، وكل ما كان من أسماء الدين مدحا فإنه لا يطلق إلا على من يستحق الثواب ، مثل المؤمن والمسلم والمتقي ويجري على غيره مقيدا ، فيقول : إن اليهودي مؤمن بالله وهو متق لكذا .

الاستغفار^(١)

أصله في اللغة الستر ، ومنه قيل : للكلمة من الزرد مغفر ؛ لأنها تستر الرأس ، وقد غفرت الشيء سترته ، وفي الحديث عن عمر رضي الله عنه " حصنوا المسجد فإنه أغفر للنخامة " وفي هذا جواز التنخم [في المسجد] .

والغفر منزل من منازل القمر ، وذلك أن القمر إذا نزل به ستره بضوئه .

والغفر أيضا النكس في المرض ؛ لأنه يحول بين صاحبه وبين العافية فكأنه سترها عنه .

والغفارة من الشعر الضفيرة ، عن أبي مالك ؛ لأنها تستر ما تحتها ، وقال غيره : الغفارة خرقة حمراء تشد على العمام ، والجمع غفائر وهذا أصح .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : التوبة ، قال : ﴿ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴾ [سورة نوح آية ١٠] . أي : توبوا إليه ، وجعل الاستغفار التوبة ؛ لأن في التوبة الاستغفار .

والتوبة على الحقيقة : هي الندم على ما مضى والعزم على ترك مثله في المستقبل ، ولو قلت : إن الندم توبة . لم تقرنه بشيء آخر صح ؛ لأنه لا يجوز أن يندم على ما فات وهو يعزم

(١) غفر : المغفر : وقاية للرأس . وغفر الثوب إذا ناز زبره غفراً .

والغفارة : المغفر ، ومغفر البيضة : رفرها من حلق الحديد قال الأعشى .

والشطبة القوداء تط *** فر بالمدحج ذي الغفار

والغفارة : خرقة تصنعها المرأة للدهن على هامتها .

والغفارة : خرقة تُلَفُّ على سية القوم لتُلَفَّ فوقها إطنابة القوس ، وهو سيره الذي يشد به ، وحبل يسمى رأسه غفارة . واصل الغفر التغطية .

والمغفور : دود يخرج من العرقط حلو يضيح بالماء فيشرب . وصمغ الإجاصة مغفور . وخرجوا يتمغفرون أي يطلبون المغافير .

والغفارة : الرابية التي تغفر الغمام عليك أي تغطيها لأنها تحت الغيث ، فهي تستره عنك . وجاء القوم جاء الغفر أي بلفهم ولفيفهم والغفر : ولد الأروية ، قال ذو الرمة :

وفج أبه أن يسلك الغفر بينه *** سلكت قرأني من قراسية سُمرا

والمغفر : الأروية ، ويقال لها : أم غفر . والغفر من منازل القمر .

والله الغفور الغفار يغفر الذنوب مغفرة وغفرانا وغفراً . [العين : باب الغين والراء والباء] .

على معاودة مثله ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ [سورة هود آية ٣] .
 الاستغفار هاهنا التوبة وإنما فصل بينهما للتوكيد ، وتكرير الألفاظ على المعنى الواحد توكيد ،
 و : ﴿ ثُمَّ ﴾ على هذا التأويل بمعنى الواو ، وهو قول الأخفش .

ويجوز [سورة أن آية يكون] قوله : ﴿ وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ ﴾ . أي :
 استغفروهم استغفاراً بعد استغفار ، وعن علي عليه السلام أنه قال : الحمد لله ثم الحمد لله أي :
 الحمد لله مرة بعد أخرى .

ويجوز أن يكون المراد : أنكم كلما ذكرتم الذين استغفروا منه ، ويجوز أن يكون المعنى :
 أن استغفروا عما مضى وتوبوا عما تواقعون في المستقبل .

والفرق بين الاعتذار والتوبة ؛ أن التوبة ندم على ذنب تقر بأنه لم يكن لك في إتيانه عذر ،
 والاعتذار إظهار ندم على ذنب تذكر أنه كان لك في إتيانه عذر .

الثاني : الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴾ [سورة آل عمران آية
 ١٧] ، وقال : ﴿ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [سورة الذاريات آية ١٨] هكذا جاء في
 التفسير .

ويجوز أن يكون معناه أنهم يصلون الليل ويستغفرون بالأسحار ، فجعل استغفارهم
 بالأسحار دليلاً على صلاحهم بالليل ولم يذكرها .

وقالوا في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبُهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٣] أنه
 يعني : يصلون كذا قيل .

ويجوز أن يكون المراد أن الله لا يبعث عليهم العذاب الذي طلبوه في قوله : ﴿ أَمْطَرَ عَلَيْنَا
 حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٢] وأنت فيهم وليس بالصلاح لك ولهم أن يأمرك
 بالخروج عنهم ولا ينزل بهم العذاب أيضاً ، ومنهم من يتوب في المستقبل . والاستغفار
 التوبة .

قال مجاهد : يستغفرون يسلمون أي : في المستقبل .

الثالث : طلب المغفرة وهو الأصل ، قال : ﴿ اِسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ [سورة يوسف آية ٩٧] والمعنى : سل الله أن يقبل استغفارنا ؛ لأنه لا يجوز أن يذنبوا هم ويستغفر لهم غيرهم إلا إذا تابوا ، وليس ذلك إلا سؤال قبولهم .

وقوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾ [سورة يوسف آية ٢٩] . قالوا : معناه استغفري زوجك ؛ لأنها كانت مشركة ، وكانوا مع الإشراف يجرمون الزنا ، ويجوز عندنا أن يكون أمرها باستغفار الله ذنبها وإن كانت مشركة ؛ لأن المشرك يقال له ذلك لأجل شركه ولغير شركه من ذنوبه ، وعلى أنه لا يقال : استغفرت إلا الله واستغفرت الرجل ليس بمعروف ، وإن كان صحيحا في العربية .

(١) قوله تعالى : ﴿ وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ ﴾ فيه قولان :

أحدهما : استغفري زوجك لئلا يعاقبك ، قاله ابن عباس .

والثاني : توبي من ذنبك فإنك قد أثمت .

وفي القائل لهذا قولان . أحدهما : ابن عمها . والثاني : الزوج . [زاد المسير : ٤٢١ / ٣] .

الأجل^(١)

أجل الشيء : وقته ، وُحد الأجل هو الوقت المضروب لانقضاء الأمد ، [فهو أجل يجعل] جاعل له ، وما علم أنه يكون في وقت فلا أجل له إلا أن يحكم بأنه يكون فيه .

فأجل الإنسان هو وقت انقضاء عمره ، وأجل الدين محله ، وأجل الموت هو وقت حلوله ، وأجل الآخرة هو الوقت لانقضاء ما تقدم قبلها قبل ابتدائها ، هكذا وجدته عن بعض العلماء .

وأصله من التأخير ، وقد أجلته إذا أخرته .

والأجل نقيض العاجل ، والآجل : القطيع من بقر الوحش ، وذلك لتأخير بعضه على بعض حتى يجتمع .

وأجل المال يأجله أجلا إذا حبسه في المرعى كما يحتبس الآجل من البقر بعضه على بعض حتى يجتمع .

وأجل عليهم شرا : إذا جنأ ؛ لأنه حبسه عليهم لإلحاقه بهم ، والمأجل حوض واسع يؤجل فيه الماء حتى يجتمع ثم يفجر في الزرع .

وللأجل في القرآن ثمانية مواضع :

الأول : أجل الدنيا ، قال تعالى : ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢] أي : أجل الدنيا ، : ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢] يعني : أجل الآخرة ، وقال الحسن

(١) [أجل] : الأجل : غَايَةُ الْوَقْتِ فِي الْمَوْتِ . وَأَجَلَ الشَّيْءُ يَأْجُلُ ، وَهُوَ آجِلٌ : تَقِضُ الْعَاجِلُ . وَالْأَجِلُ : الْمُرْجَى إِلَى وَقْتٍ . وَالْأَجَلَةُ : الْآخِرَةُ . وَالْأَجَلُ : مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ أَجَلُوا مَا لَهُمْ يَأْجِلُونَهُ أَجَلًا : أَيِ حَبْسُوهُ فِي الْمُرْعَى . وَهُوَ الضَّبُّ أَيْضًا . وَأَجَلَ عَلَيْهِمْ شَرًّا : أَيِ جَنَاءَ وَبَحْثَهُ ؛ أَجَلًا . وَهُوَ يَأْجِلُ لِعِيَالِهِ : أَيِ يَكْسِبُ . وَالتَّأْجِلُ : الْإِقْبَالُ وَالْإِدْبَارُ . وَالْمَجْنِيُّ وَالذَّهَابُ فِي قَوْلِ لَيْلَى . وَالْإَجْلُ : وَجَعٌ فِي الْعُنُقِ . وَأَجَلَ يَأْجِلُ أَجَلًا . وَبِي إِجْلٍ فَأَجَلُونِي : أَيِ دَاوُونِي مِنْهُ ، وَأَجَلُونِي : مِثْلُهُ . وَالْقَطِيعُ مِنْ بَقَرِ الْوَحْشِ : إِجْلٌ ، وَالْجَمِيعُ الْآجَالُ . وَتَأْجَلُ الصَّوَارُ : صَارَ قَطِيعًا . وَالْأَجَلُ : مَنْ قَوْلِكَ مِنْ أَجَلٍ كَذَا . وَقَعَلْتَهُ مِنْ أَجَلٍ كَذَا : أَيِ مَنْ جَرَاكَ ، وَمَنْ إِجْلَكَ : لُغَةً ، وَمَنْ أَجْلَاكَ ؛ وَأَجَلَ ثَنَكَ نَعْلَتَهُ . وَالْمَوْجَلُ : شِبْهُ حَوْضٍ وَاسِعٍ يُؤْجَلُ فِيهِ مَاءُ الْبِشْرِ أَيَّامًا ثُمَّ يُفَجَّرُ فِي الزَّرْعِ ، وَالْجَمِيعُ الْمَآجِلُ . وَرُوِيَ قَوْلُ أَبِي النَّجْمِ : مَنْ عَبَسَ الصَّبِيفُ قُرُونُ الْأَجَلِ . أَيِ الْأَجَلِ . . [المحيط في اللغة : ١٣٨/٢] .

والضحك وقتادة : هو أجل الحياة إلى الموت ، وأجل الموت إلى البعث ، وهذه الآية دليل على صحة البعث ؛ لأن الذي قدر على الابتداء قادر على الإعادة .

وأولها : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ ^(١) [سورة الأنعام آية : ٢] أي : خلق آدم الذي أنتم ولده من الطين ، كما تقول لقريش اليوم : أنتم أصحاب يوم الفجار ، أي : أبائكم أصحابه وليس هذا انقضاء ؛ لقوله : ﴿ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ ﴾ [سورة السجدة آية : ٨] ، لأنه أراد بذلك ولد آدم .

وقيل : أجلا أي : وقتا تحيون فيه ، : ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ يعني أجل الساعة ، وجعله عنده ؛ لأنه لا يعرفه غيره ، كما تقول : خبر فلان عندي . أي : أنا العالم به دون غيري .

وقيل : ﴿ أَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ يعني أوقات حياتكم في الآخرة وجعله عنده ؛ لأنه حيث لا يحكم فيه غيره أيضا ، وقيل : قضى أجل الماضين ، وأجل مسمى عنده للباقيين .

وقيل : أجل انقضاء الدنيا ، وأجل ابتداء الآخرة ، : ﴿ ثُمَّ أَنْتُمْ ثَمَرُونَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢] أي : خلقكم من طين ، وجعل الظلمات والنور ، وضرب لكم هذه الآجال وأنتم مع هذا تشكون فيه فيعبدون غيره .

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ في معناه قولان : أحدهما ، وهو الأشهر ، وبه قال الجمهور أن المراد آدم عليه السلام ، وأخرج مخرج الخطاب للجميع ، لأنهم ولده ونسله . الثاني ، أن يكون المراد جميع البشر باعتبار أن النطفة التي خلقوا منها مخلوقة من الطين ، ذكر الله سبحانه خلق آدم وبنيه بعد خلق السموات والأرض إتباعاً للعالم الأصغر بالعالم الأكبر ، والمطلوب بذكر هذه الأمور دفع كفر الكافرين بالبعث ، وردة لجهودهم بما هو مشاهد لهم لا يمترون فيه

وأخرج ابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، عن ابن عباس ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ﴾ يعني آدم ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا ﴾ يعني أجل الموت ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ أجل الساعة والوقوف عند الله . وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وأبو الشيخ ، والحاكم وصححه ، عنه في قوله : ﴿ ثُمَّ قَضَى أَجَلًا ﴾ قال : أجل الدنيا ، وفي لفظ أجل موته ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ قال : الآخرة لا يعلمه إلا الله . وأخرج ابن جرير ، وابن أبي حاتم عنه ﴿ قَضَى أَجَلًا ﴾ قال : هو اليوم يقبض فيه الروح ، ثم يرجع إلى صاحبه من اليقظة ﴿ وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ﴾ قال : هو أجل موت الإنسان . [فتح القدير : ٢/ ٣٨٩-٣٩٠] .

والامتراء الشك ، وأصله من المري ؛ وهو استخراج اللبن من الضرع ، مرى الناقة يمرها مريا ، ومنه ماراه إذا استخرج ما عنده بالمناظرة ، وامترى امتراء إذا استخرج الشبه الموجبة له ، ونظيره : ﴿ وَنَزَّلُ الْأُخْرَى [إلى أجل] مُسْمًى ﴾ [سورة الزمر آية ٤٢] . يقول : إلى أجل الموت .

الثاني : أجل العذاب قال : ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴾ [سورة الأعراف آية ٣٤] . إن لم يؤمنوا إليه نزل عليهم العذاب . ومثله : ﴿ إِنْ أَجَلَ اللَّهُ إِذَا بَاءَ لَا يُؤْخَرُ ﴾ [سورة نوح آية ٤] . أي : أجل العذاب .

ومعنى أجل الله ، أي : الأجل الذي ضربه الله ، ولا يكون الأجل أجلا إلا بالإخبار والتوقيت ، وليس وقت كل شيء أجله ، إنما سمي وقت الشيء أجلا إذا كان على ما وصفنا .

الثالث : قوله تعالى : ﴿ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًى ﴾ [سورة لقمان آية ٢٩] . قالوا : يعني : أن مطالع الشمس والقمر لها غاية ، ولا يتجاوزاه في شتاء ولا صيف ، ويجوز أن يكون المراد أن لها أجلا مسمى ينتهيان إليه وهو الساعة .

الرابع : محل الديون ، قال الله تعالى : ﴿ إِذَا تَدَايَيْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًى فَاكْتُبُوهُ ﴾ [سورة البقرة آية ١٨١] . أي : اكتبوا الأجل لأن لا يدعى فيه التقديم والتأخير غلطا أو عمدا ، وقد تكلمنا في ذلك

الخامس : قوله [تعالى] : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًى ﴾ [سورة الحج آية ٣٣] . يقول : إلى أن تقلد فإذا قلدت لم تتركب ولم تشرب ألبانها ، يعني : البدن .

السادس : أجل الولادة . قال [الله] تعالى : ﴿ وَنُقِرْ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًى ﴾ [سورة الحج آية ٥] . أي : إلى وقت الولادة .

السابع : انقضاء العدة ، قال الله تعالى : ﴿ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٢] . والمخاطبة لأولياء النساء .

وبلوغ الأجل انقضاء العدة ، أي : لا تمنعهن التزويج إذا انقضت عدتهن من مطلقتهن .

قال بعض الفقهاء : فيه دلالة على أن النكاح لا يصح إلا بولي ، ولو صح بغير ولي لم يكن لمخاطبة الولي بهذا الخطاب فائدة .

والعضل : المنع من التزويج ثم كثر حتى قيل : عضل الرجل امرأته إذا ضارها ؛ لأن مضارته إيها منع لها مما ينبغي عنده .

وأما قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلْيَسِّرْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣١] . فالأجل هاهنا مقاربة الخروج من العدة ، أي : إذا طلقتموهن تطليقة أو تطليقتين فقاربن الخروج من العدة فأمسكوهن بمعروف ، أي : إن أردتم حيثن مراجعتهم فراجعوهن وأمسكوهن بجميل من الفعل أو خلوهن حتى تنقضي عدتهن فيتزوجن .

ومثل الأول : ﴿ وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ﴾ [سورة البقرة آية ٢٣٥] . والعزم : إيجابك فعل الشيء على غيرك أو على نفسك ، ويقال : عزمت عليك لتفعلن ، وقد وصف الله به ، ف قيل : إن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه . وهو مفارقة للإرادة عند أبي علي رضي الله عنه ؛ لأنك تريد خروج زيد ولا يجوز أن تعزم على خروجه . والعزم أيضا يصح على الإرادة ولا يجوز أن تريد الإرادة .

الثامن : قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [سورة الشورى آية ١٤] . لأن لا يعذب هذه الأمة بعذاب الاستئصال لأنزل بهم العذاب ، والكلمة : الساعة ، وهو قوله : ﴿ بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ ﴾ [سورة القمر آية ٤٦] . والأجل المسمى هو الساعة أيضا ، فكانه قال : فلولا أني جعلت موعد الانتقام منكم الساعة لانتقمتم منكم الآن .

وقال الله تعالى لهم : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ ﴾ [سورة الأعراف آية ٢٦] . قالوا أنزل : ﴿ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ اثْبِتْنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [سورة الأنفال آية ٣٢] .

إقام الصلاة

الأصل : إقامة الصلاة ، فأسقطوا الماء تخفيفا ، ولا تسقط إلا عند الإضافة ليس .

يقال : أقام الصلاة إقاما ، ويجوز أن يكون معنى إقامة الصلاة إدامتها ، من قوله تعالى : ﴿ قَاتِلُوا بِالْقِسْطِ ﴾ ^(١) [سورة آل عمران آية ١٨] . أي : مديبا لفعله ، وفلان يقيم أرزاق الجنود أي : يجريها على إدامة . ويحتمل أن يكون عنى به اشتغالهم بها دون غيرها من قولهم : قامت الصلاة . أي : وقع الاشتغال بها .

وقيل : إقامتها إتمام الركوع والسجود ومراعاة المواقيت .

وقيل : هو مثل قوله : ﴿ وَأَقِيمُوا الزُّنَ بِالْقِسْطِ ﴾ [سورة الرحمن آية ٩] . والإقامة والتقويم سواء ، وهما خلاف الميل والاعوجاج .

وأصل الصلاة : الدعاء ، وسميت صلاة ؛ لما فيها من الدعاء .

والصلاة أيضا الترحم ؛ لأنه دعاء ، ومنه : الصلاة على الميت ؛ لأنها دعاء لا ركوع فيها ولا سجود ، وصلى فلان على فلان إذا دعا له .

قال الأعشى :

وَقَاتِلَهَا الرَّبُّ حُ فِي دِيْنِهَا وَصَلَّى عَلَى دِيْنِهَا وَأَزْتَسَمَّ

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الإقرار بالصلاة مع التصديق وغير التصديق ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ﴾ [سورة التوبة آية ٥] . أي : فإن أقروا بها ، ولم يرد أنهم إذا أقاموها على اعتقاد صحيح فخلوا سبيلهم ؛ لأن ذلك لا يعلمه إلا الله ، وحقيقة

(١) قال الخازن : ﴿ قَاتِلُوا بِالْقِسْطِ ﴾ أي بالعدل نصب على الحال والقطع أو المدح ومعناه أنه تعالى قائم بتدبير خلقه كما يقال : فلان قائم بأمر فلان يعني أنه مدبر له ومتعهد له ومتعهد لأسبابه ، وفلان قائم بحق فلان ، أي أنه مجاز له فالله مدبر أمر خلقه وقائم بارزاقهم ومجاز لهم بأعمالهم . [لباب التأويل في معاني التنزيل : ٣٥٢/١] .

المراد دخولهم في الإسلام ، وإنبأ ذكر الصلاة والزكاة ؛ لأنها من أجل شرائع الإسلام وأشهرها ومثله مع قوله : ﴿ فَأَخَوَاتُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ [سورة التوبة آية ١١] .

الثاني : إتمام الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ﴾ [سورة النور آية ٥٦] . أي : أتموها في أوقاتها ، وقوله تعالى : ﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ ﴾ [سورة البقرة آية ٣] . ونحوه كثير .

الاستطاعة^(١)

﴿ الاستطاعة : استفعال ، من الطوع ، وهو خلاف الكره ، وذلك أن الفعل يقع بها طوعاً ولا يجوز أن يسمى الله مستطيعاً ؛ لأنه من قولك : انطاع له الفعل بعد أن لم يكن كذلك ، وهذا لا يجوز على الله . والطوع بمعنى : الانقياد ، والانقياد بمعنى : الذل ، يقال : طاع له طوعاً وأطاعه إطاعة : إذا انقاد له . والطاعة الانقياد لمن يعتقد تعظيمه .

(١) [طوع] : طاع يَطُوع طوعاً فهو طائع . والطَّوعُ : نقيض الكَرْه ، تقول : كَتَفَعَلْتَهُ طوعاً أو كَرَهًا . طائعاً أو كَارِهًا ، وطاع له إذا انقاد له .

إذا مَضَى في أمرِكَ فقد أطاعَكَ ، وافقَكَ فقد طاعَكَ . قال يصف دلوّاً :

أَحْلِفُ بِاللّهِ لَتُخْرِجَنَّهُ

كَارِهَةً أَوْ لَتَطَاوَعَنَّهُ

أَوْ لَتَرَيْنِي بِإِلمَرْتَنَّهُ

أي : الصّاحبة .

والطّاعة اسم لما يكون مصدره الإطاعة ، وهو الإنقياد ، والطّواعيّة اسم لما يكون مصدره المطاوعة . يقال : طاعَتِ المرأة زوجها طَوَاعِيَةً حَسَنَةً ، ولا يقال : للرعيّة ما أحسن طَوَاعِيَتَهُمُ لِلرّاعِي ، لأنّ فعلهم الإطاعة ، وكذلك الطّاقة اسم الإِطَاقَة والجَابة اسم الإِجَابَة ، وكذلك ما أَشْبَهَهُ ، قال :

حَلَفْتُ بِالْبَيْتِ وَمَا حَوْلَهُ *** من عَائِدٍ بِالْبَيْتِ أَوْ طَاعِي

أراد : أو طائع قلبه ، مثل قَبِيئِي ، جعل الباء في طائع بعد العين ، ويقال : بل طرح الباء أصلاً ، ولم يُعِدّها بعد العين ، أيّها هي : طاع ، كما تقول : رَجُلٌ مَالٌ وَقَالَ ، يراد به : مائل ، وقائل ، مثل قول أبي ذؤيب :

وَسَوْدَ مَاءِ الْمَرْدِ فَاهَا فَلَوْنُهُ *** كَلَوْنِ الرَّمَادِ وَهِيَ أَدْمَاءُ سَارُّهَا

أي : سائرها . وقال أصحاب التصريف : هو مثل الحاجة ، أصلها : الحاجة . ألا ترى أنّهم يردونها إلى الحوائج ، ويقولون : اشْتَقَّتْ الاستطاعة من الطّوع .

ويقال : تَطَاوَعُ لهذا الأمر حتّى تستطيعه . وتطوَع : تكلف استطاعته ، وقد تطوَع لك طوعاً إذا انقاد ، والعرب تحذف التّاء من استطاع ، فتقول : استطاع يَسْطِيع بفتح الباء ، ومنهم من يضمّ الباء ، فيقول : يَسْطِيعُ ، مثل يَهْرِيقُ .

والتّطَوُّعُ : ما تبرّعت به ممّا لا يلزمك فريضته . والمُطَوَّعة بكسر الواو وتثقل الحرفين : القوم الذين يتطوَّعون بالجهاد يخرجون إلى المُرَابَّطَات . ويقال للإبل وغيرها : أطاع لها الكلاً إذا أصابت فأكلت منه ما شاءت ، قال الطرمّاح :

فَمَا سَرَحُ أَبْكَارٍ أَطَاعَ لِتَرْجِيهِ

والفَرَس يكون طوع العنان ، أي : سَلِسَ العنان . وتقول : أَنَا طَوُّعُ يَدِكَ ، أي : متقاد لك ، وإيّاها لطوُّع الضّجيع . والطّوُّعُ : مصدر الطائع . قال :

طَوُّعُ الشَّوَامِيتِ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ صَرَدٍ . [العين : طوع] .

والاستفعال في الأصل للطلب ثم استعمل في غير ذلك ، فقيل : استحسّن الشيء واستقبحه . وقيل : فعلته طوعا ، أي : فعلته في سهولة ، ومثله : ﴿ فَطَوَّعْتُ لَهُ نَفْسَهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٠] . أي : سهلته عليه ، ومن هذا الوجه أيضا لا يقال لله مستطيع ، كما لا يقال : أن هذا الفعل سهل عليه ، ومن أجل أن استطاع طلب ذلك ولا يوصف الله بأنه يطلب القدرة على الفعل ويطلب السهولة أو انطباع الفعل .
وقيل : طوعت : حسنت وزينت ، وهذا على المعنى وليس على اللفظ .

وقيل : طوعت : شجعت ، وطوعت السقاء ملأته ، وهو طواع الكف ، أي : ملؤها ، وطاع له الشيء إذا أتاه طوعا ، وقيل : طوعت : له أطاعته وتابعته ، وقرئ : ﴿ فَطَوَّعْتُ ﴾ .

والاستطاعة في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : السعة في المال ، قال الله تعالى : ﴿ وَسَيُخْلِفُونَ بِاللّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ [سورة التوبة آية ٤٢] . أي : لخرجنا معكم إلى تبوك ، يعنون سعة ذات اليد للخروج وتخفيف النفقة للعيال . وقوله تعالى : ﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ﴾ [سورة آل عمران آية ٩٧] . وتدخل في هذا سعة ذات اليد ، وصحة البدن ، وأمن الطريق ، وتمام الوقت .

وقال : ﴿ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً ﴾ [سورة النساء آية ٩٨] . أي : لا يجدون سعة يستعينون بها على الهجرة ، ويجوز أن يكون أراد عدم الصحة والقوة على السفر ، أو عني أنهم ممنوعون من الخروج ببعض الموانع الكائنة من جهة الكفار .

وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً ﴾ [سورة النساء آية ٢٥] . والطول : السعة ، وتطول الرجل أفضل من سعة وليس فيه طائل يرجع إلى هذا ، أي : إذ لم تستطيعوا نكاح الحرائر لتعذر النفقة عليكم فانكحوا الأيامى ليقع الانتفاع لكم بهن وتكون نفقتهن على مواليهن ويقل مهرهن .

وقال بعضهم : لا يجوز نكاح الأمة مع وجود الطول . وليس كذلك ؛ لأن القدرة على نكاح امرأة لا تحرم نكاح أخرى ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٣٢] فعم .

الثاني : الطاقة ، قال تعالى : ﴿ وَيُذْعِنُونَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [سورة القلم آية ٤٢] . فلو كانت الاستطاعة مع الفعل لكانوا عاجزين إذ لم يفعلوا ؛ لأن الفعل معدوم ، وإذا عدم الفعل عدم الاستطاعة ، ولكان أيضا من وجد الزاد والراحلة وتمام الوقت ، وهو صحيح البدن وعطل الحج ثم مات لكان معذورا ؛ لأنه كان عاجزا وإنما يكون مستطيعا عند خصومنا في وقت وجود الحج ولا لوم على العاجز .

وقد أخبر الله تعالى أنهم لا يستطيعون السجود في الآخرة ، فدل على أنهم كانوا يستطيعونه في الدنيا ؛ لقوله : ﴿ وَهُمْ سَالِمُونَ ﴾ [سورة القلم آية ٤٣] . وإلا فليس للكلام معنى يفهم .

وقوله تعالى : ﴿ قَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ ﴾ [سورة الذاريات آية ٤٥] . أي : لم يطبقوا القيام لعذاب الله ، ومثله : ﴿ قَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ ﴾ [سورة الكهف آية ٩٧] .

وقوله تعالى : ﴿ فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ﴾ [سورة التغابن آية ١٦] . واسطاعوا : لغة في استطاعوا ، يقال : استطعت الشيء واستطعته .

وقوله : ﴿ وَلَنْ تَسْتَطِيعُوا أَنْ تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ ﴾ [سورة النساء آية ١٢٩] . أي : لا تطبقون ذلك في الحد ، هذا في الرجل له زوجتان وثلاث وأربع ، قال : وليس يستطيع أن يسوي بينهما في الشهوة ، فتشتهي هذه كما تشتهي تلك ؛ لأن الشهوة ليست من فعله فعذره فيما لا يستطيع واسع ، وليس كما يذهب إليه المجبرة في أنه تعالى كلفه العدل بينهما ، وهو لا يستطيعه ، ألا ترى أن قوله : ﴿ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمِيلِ ﴾ [سورة النساء آية ١٢٩] . دلالة على أنه في بعض الميل معذور ، وهو الذي لا يستطيع خلافة ، والمعنى النهي عن إيثار إحداهن للشهوة فيها والانصراف عن الأخرى حتى تصير كالمعلقة لا المتزوجة ولا المطلقة .

وقال : ﴿ قَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ﴾ [سورة الفرقان آية ١٩] . قال أبو علي رضي الله عنه : الخطاب للنبي عليه السلام والمؤمنين بقوله : ﴿ فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ﴾ [سورة الفرقان آية ١٩] . أي : كذبوك بما تقول من توحيد الله فلا يستطيعون صرف العذاب عن أنفسهم والانتصار لها .

وقال غيره : الخطاب للكفار يريد أن هؤلاء الذين اتخذتموهم آلهة إذا سئلوا هل كان عبادتكم إياها بدعاء منكم لها ، : ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾ [سورة الفرقان آية ١٨] . فظهر لهم حينئذ أنهم لا يقدرّون على صرف العذاب عنهم ولا على نصرهم مما يراد إنزاله بهم .

الثالث : الاستئصال ، قال الله تعالى : ﴿ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ ﴾ [سورة هود آية ٢٠] . أي : كانوا يستقلّون استماع القرآن والأمر بالإيمان ، وهو كقولك : لا أستطيع أن أسمع كلام فلان . أي : يثقل علي ذلك ، وهذا معروف .

الرابع : الاستطاعة ، بمعنى سؤال الفعل وطلبه ، قال الله تعالى : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [سورة المائدة آية ١١٢] . والمعنى : سؤال النزول كما تقول : هل يستطيع فلان أن يقوم معنا . وأنت تعلم أنه يستطيع ولكنك تجعل ذكر الاستطاعة سؤالاً للقيام ؛ لأنه اللطف وقرئ : ﴿ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ ﴾ . أي : هل تقدر على أن تسأل ربك ، وكانوا يعلمون أنه قادر على سؤال ربه ، ولكن قالوا ذلك ؛ لأنه اللطف في السؤال ومجازه هل يجوز أن تسأل ربك .

الأحزاب^(١)

جمع حزب ، وهو : الجماعة المتعاونة ، ومنه تحزب القوم إذا اجتمعوا وتعاونوا .

قال الراجز :

وكيف أضوي وبلال حزبي

أي : مغيثي .

وأصل الكلمة من الشدة ، ومنه يقال : حزبي إذا استبد علي ، والاسم : حزابة* ، وأمر حازب وحزيب أي : شديد .

والأحزاب في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : بنو أمية وبنو المغيرة وآل أبي طلحة ، وهو قوله : ﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ [سورة الرعد آية ٣٦] . هذا قول بعض المفسرين .

وقال غيره : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ ﴾ [سورة الرعد آية ٣٦] . النبي صلى الله عليه وآله والمؤمنون . والكتاب : القرآن ، أي : هم يفرحون به ، : ﴿ وَمِنَ الْأَحْزَابِ ﴾ أي : هم الباقون . وقال : منهم : ﴿ مَنْ يُنْكِرُ بَعْضَهُ ﴾ وهو المواضع التي تخالف دينهم ، وكانوا لا ينكرون ما فيه من الحكم والأمثال والدعاء إلى المكارم ، وليس في العقلاء من ينكر ذلك . وسماهم أحزابا ؛ لاختلاف مذاهبهم ، وذلك أن اليهود فرقة ، والنصارى فرقة وعباد الأوثان فرقة .

(١) [حزب] : حَزَبْنِي الأمرُ يُحْزِبُنِي حَزْبًا إِذَا نَابَكَ . وأمرُ حازِبٍ وحزِيبٍ أي شديد . والحزبُ أصحابُ الرَّجُلِ مَعَهُ عَلَى رَأْيِهِ وَأَمْرِهِ ، والجمعُ الْأَحْزَابُ . وَحَزَبَ الْقَوْمُ اجْتَمَعُوا فَصَارُوا أَحْزَابًا . وَحَزَبَهُمْ فَلَانٌ . وَحَزَبَتَهُ كُنْتُ مِنْ حِزْبِهِ . وَفُلَانٌ مُحَازِبٌ لِفُلَانٍ أَي يَعْصِي بِهِ وَيَنْصُرُهُ . وَهَذَا يُقَالُ تَسْمِي السِّلَاحِ الْحِزْبَ ؛ تَشْبِيهًا وَسَعَةً . وَالْحِزْبُ الْوَرْدُ مِنَ الْقُرْآنِ . وَالْحِزْبِيُّونَ الْعَجُوزُ ، وَالتَّوَنُ زَائِدَةٌ . وَهِيَ مِنَ التَّوَقُّ الشَّدِيدَةِ . وَالْحِزْبَاءُ أَزْهَى حَزْنَةً ، وَالْجَمْعُ الْحِزَابِي . وَالْحِزَابِيَّةُ فِي وَصْفِ الْجَمَارِ اسْتِدَارَةٌ خَلْفَهُ . وَرَكِبَ حِزَابِيَّةً ضَخْمَةً . [المحيط في اللغة : الحاء والطاء والراء] .

وقوله : ﴿ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ ﴾ [سورة ص آية ١١] . جاء في التفسير أنه عنى هؤلاء المذكورين أولا .

والوجه أن يكون من يحازب النبي صلى الله عليه من فرق المخالفين .

وفيه بشارة له عليه السلام ، أي : هؤلاء جند مهزوم بعد قليل ، وأنت هازم لهم وظافر بهم . و " ما " في قوله : ﴿ جُنْدٌ مَّا هُنَالِكَ ﴾ . تأكيد ، كأنه قال : هم جند . وأتى جندهم وعظم أمرهم ليكون أعظم لأمر هازمهم ؛ لأن غلب العدو القوي أبلغ في المدح .

الثاني : النصارى ، قال الله تعالى : ﴿ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ ﴾ [سورة الزخرف آية ٦٥] .

الثالث : قوم عاد وثمود وشعيب وفرعون ، وهو قوله تعالى : ﴿ كَذَبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ ﴾ [سورة غافر آية ٥] . ويجوز أن يكون المعنى بذلك جميع من كذب الرسل من هؤلاء ومن غيرهم من بعدهم . وقال : ﴿ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ﴾ [سورة ص آية ١٢ ، ١٣] . ومثله : ﴿ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَحْزَابِ ﴾ [سورة غافر آية ٣٠] . يعني : هؤلاء .

الرابع : أبو سفيان وأصحابه يوم الخندق ، قال : ﴿ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا ﴾ [سورة الأحزاب آية ٢٠] . يعينهم .

الأمر

قد مضى القول في أصله .

وهو في القرآن على سبعة عشر وجها :

الأول : الدين ، قال الله تعالى : ﴿ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [سورة التوبة آية ٤٨] . يعني : دينه ، وقوله تعالى : ﴿ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ ﴾ [سورة المؤمنون آية ٥٣] . أي : الدين الذي جاء به نبيهم ، فنسبته إليهم ؛ لأنهم المتعبدون به والمندوبون إليه ، والمعنى : أن الله أعلمهم أن أمر الأمة واحد ، وأن دينه واحد وهو الإسلام وهم قد تقطعوا واختلفوا .

الثاني : القول ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ ﴾ [سورة الكهف آية ٢١] . قال : ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ وَأَسْرُوا النِّجْوَى ﴾ [سورة طه آية ٦٢] . أي : يتنازعون القول فيما يريدون العمل عليه ؛ لأن مثل ذلك الأمر لا يتنازع وإنما يتنازع القول فيه .

الثالث : وقت الوعيد ، قال : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ [سورة هود آية ٤٠] . أي : حضر وقت وعيدنا ، ويجوز أن يكون على ظاهره أي : حتى جاء أمرنا بالعذاب ، أي : حتى أمرنا بتعذيبهم .

الرابع : العذاب ، قال : ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة إبراهيم آية ٢٢] . أي : وجب العذاب ، ويجوز أن يكون قضاء الأمر هاهنا فضل الحساب ووقوف كل فريق على ما له عند الله من الخير والشر . ومثله : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾^(١) [سورة مريم آية ٣٩] . أي : وجب العذاب .

(١) قوله تعالى : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ ﴾ أي : خوف كفار مكة ﴿ يَوْمَ الْحَسْرَةِ ﴾ يعني : يوم القيامة يتحسر المسيء إذ لم يُحْسِن ، والمقصر إذ لم يَزِدْ من الخير .

وموجبات الحسرة يوم القيامة كثيرة ، فمن ذلك ما روى أبو سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " إذا دخل أهل الجنة الجنة ، وأهل النار النار ، قيل : يا أهل الجنة ، فيشرئبون وينظرون ، وقيل : يا أهل النار فيشرئبون وينظرون ، فيجاء بالموت كأنه كبش أملح ، فيقال لهم : هل تعرفون هذا ؟ فيقولون : هذا الموت ، فيذبح ، ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلود فلا موت ؛ ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ وهم لا يؤمنون ﴿

الخامس : تمام العذاب وبلوغ المراد منه ، قال : ﴿ وَغِيْضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة هود آية ٤٤] .

السادس : بمعنى الشيء ، قال : ﴿ وَإِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ [سورة البقرة آية ١١٧] . أي : إذا أراد إحكام شيء لم يتعذر عليه .

ومثله : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾ [سورة الشورى آية ٥٣] أي : تصير الأشياء إلى حيث لا يحكم فيه سواه ولا يقدر عليه غيره .

وجاء في التفسير أنه أراد بقوله تعالى : ﴿ وَإِذَا قُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ . عيسى عليه السلام أنه يكون من غير أب .

السابع : هزيمة الكفار وقتلهم بيد ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ التَّفَيُّتُمْ فِي أَغْنِيَكُمْ قَلِيلًا ﴾ ، ثم قال : ﴿ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ [سورة الأنفال آية ٤٤] أراد هزيمة الكفار وأسرهم جزاء لهم على كفرهم ونصرة المؤمنين عليهم .

الثامن : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُجِّيَ بِالْحَقِّ ﴾ [سورة غافر آية ٧٨] . يعني : القيامة ، وقيل : أراد به قتل الكفار بيد . والأول الوجه .

" . قال المفسرون : فهذه هي الحسرة إذا ذُبح الموت ، فلو مات أحد فرحاً مات أهل الجنة ، ولو مات أحد حزناً مات أهل النار .

ومن موجبات الحسرة ، ما روى عدي بن حاتم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : " يوتى يوم القيامة بناسٍ إلى الجنة ، حتى إذا ذُتُّوا منها واستنشقوا ريحها ونظروا إلى قصورها ، نودوا : أن اصرفوهم عنها ، لا نصيب لهم فيها ، فيرجعون بحسرة ما رَجَعَ الْأَوَّلُونَ بمثلها ، فيقولون : يا ربنا لو أدخلتنا النار قبل أن تُرَبَّنَا ما أربنا كان أهون علينا ؛ قال : ذلك أردتُ بكم ، كنتم إذا خَلَوْتُمْ بارزتموني بالعظام ، وإذا لقيتم الناس لقيتهم مغبين ، تراؤون الناس بخلاف ما تعطون من قلوبكم ، هبتم الناس ولم تهابوني ، وأجللتهم الناس ولم تُجَلوني ، تركتم للناس ولم تتركوا لي ، فاليوم أذيقكم العذاب مع ما حرمتكم من الثواب " . ومن موجبات الحسرة ما روى عن ابن مسعود قال : ليس من نفس يوم القيامة إلا وهي تنظر إلى بيت في الجنة ، وبيت في النار ، ثم يقال : يعني هؤلاء : لو عملتم ، ولأهل الجنة : لولا أن من الله عليكم . ومن موجبات الحسرة : قطع الرجاء عند إطباق النار على أهلها . [زاد المسير : ٢٧٥ / ٢ - ٢٧٦] .

وقوله تعالى : ﴿ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ [سورة النحل آية ١] . يعني : القيامة والإتيان هاهنا بمعنى الدنو كقول الشاعر :

وقيل المنادي أصبح القوم أدلجوا

أي : دنا الإصباح .

ومثله قوله : ﴿ وَغَرَّكُمْ الْأَمَانِي حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ [سورة الحديد آية ١٤] .

التاسع : فتح مكة ، قال الله تعالى : ﴿ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة التوبة آية ٢٤] . قالوا : أراد فتح مكة ، ويجوز أن يكون المراد ظهور الإسلام وقوة أهله .

العاشر : قتل قريظة وجلاء النصير ، قال الله وحده : ﴿ فَأَعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة البقرة آية ١٠٩] . جاء في التفسير أنه أراد ذلك ، ويجوز أن يكون المراد القيامة أيضا ، ويجوز أن يكون أراد : اصفحوا عنهم إلى أن يأمركم الله بقتالهم فتستقموا منهم .

الحادي عشر : بمعنى القضاء ، قال الله تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية ٥] ، وقال : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَفِيعٍ إِلَّا مِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ﴾ [سورة يونس آية ٣] . أي : يقضي القضاء .

الثاني عشر : الوحي ، قال الله : ﴿ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ [سورة السجدة آية ٥] . قال أهل التفسير : يعني : الوحي . وقال : ﴿ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ ﴾ [سورة الطلاق آية ١٢] . يعني : الوحي .

الثالث عشر : بمعنى النصر والسلطان ، قال : ﴿ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنْ الْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٥٤] . يعني : أن الغلبة لأولياء الله .

الرابع عشر : الذنب ، قال الله تعالى : ﴿ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا ﴾ [سورة الطلاق آية ٩] . أي : جزاء ذنبها .

وأصل الوبال من الطعام البويل ، وهو الوحمة الذي لا يمري ، وقيل : الوبيل الشديد ، وأصله من الكراهة ، يقال : استوبلت المنزل إذا كرهته لقلة موافقته لك ، قال الله : ﴿ فَذَاقُوا

وَبَالَ أَمْرِهِمْ ﴿ [سورة التغابن آية ٥] . أي : جزاء ذنبهم ، وقال : ﴿ لِيَذُوقَ وَبَالَ أَمْرِهِ ﴾ [سورة المائدة آية ٩٥] .

الخامس عشر : الأمر خلاف النهي ، قال الله : ﴿ أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا ﴾ [سورة الإسراء آية ١٦] . أي : أمرناهم بالطاعة فعصوا ، وقرئ : ﴿ أَمَرْنَا ﴾ . أي : جعلناهم أمراء . وقيل : كثرناهم ، وأمر الشيء : كثر ، وقيل : أمرناه بالتخفيف معناه : كثرنا .

وروى الجرمي عن أبي زيد والأصمعي : أمره وأمره . أي : كثره ، وأمر هو ، فهو أمر ومأمور ومؤمر من أمره ، وأمرته أيضا : كثرته بالتثقل ، وهو مأخوذ من أمرته بالتخفيف ؛ لأن فعلت بالتثقل من فعلت بالتخفيف مثل : ضربت وضربت ، قال المبرد : ولا تكون ذلك من أمرت .

السادس عشر : إظهار أمر المنافقين ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ أَمَرَ مِنْ عِنْدِهِ ﴾ [سورة المائدة آية ٥٢] . أي : أو أن يؤمر النبي صلى الله عليه وآله بإظهار أمر المنافقين فيعاقبوا ، : ﴿ فَيُضَيِّحُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ﴾ [سورة المائدة آية ٥٢] . ويجوز أن يكون المعنى في هذا : ظهور الإسلام .

السابع عشر : العلم ، قال الله تعالى : ﴿ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . قيل : يعني : العلماء ، وقيل : يعني : السلطان ، وإنما تجب طاعة السلطان إذا كان محقا . وقال ابن عباس : أولو الفقه في الدين .

وقال أبو علي رحمه الله : هم الأمة وأمرؤهم ، وليس هم العلماء إلا أن يكونوا أمراء . وقال : ﴿ فَكَرَدُوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [سورة النساء آية ٥٩] . أي : إلى الكتاب والسنة ؛ لأنها من الله ورسوله ، وفيه دليل على أن الإمامة ليست بحجة ، وفيه دليل أيضا على صحة القياس وذلك أن جميع ما يتنازع فيه المتنازعان لا يوجد في القرآن والسنة مشروحا ، ولكن يوجد أصل كل شيء فيهما أو في أحدهما ، فأمر بحمل الفروع على الأصول الموجودة فيهما ليظهر أحكامها ، ولا يأتي ذلك إلا بالقياس .

والآية عموم في وجوب الرد إلى الكتاب والسنة في حياة الرسول وبعد وفاته .

والذي يقتضيه فحوى الكلام الرد إليهما فيما لا نص فيه ؛ لأن المنصوص عليه لا احتمال فيه لغيره ولا يقع فيه التنازع من الصحابة مع علمهم باللغة ومعرفتهم بها فيه احتمال مما لا احتمال فيه .

وأما الأمر في قوله تعالى : ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [سورة الطلاق آية ١] . فهو تفسير الرجعة ، وذلك أنه إذا طلقها طلاق السنة ملك رجعتها .

وطلاق السنة عند الكوفيين يعتبر فيه معنيان :

أحدهما : الوقت . والآخر : العدد .

فالوقت : أن يطلقها طاهرا من غير جماع أو حاملا قد استبان حملها . والعدد : ألا يزيد في الطهر الواحد على تطليقة واحدة ، فأما من لا عد عليها فيطلقها متى شاء في حيض أو طهر بغير المدخول بها .

الأرض^(١)

من الأراضة وهي الخلاقة ، مكان أريض : أي : خليق النبات . وسميت الأرضة أرضة ؛ لأنها تكون في بطن الأرض ، وسمي الرعدة أرضا من الأرضة ؛ لأنها إذا وقعت في الخشبة أكلتها فحفت فسميت الرعدة أرضا ؛ لأنها خفة تعتري الإنسان .

وتجمع الأرض أرضين على غير قياس . وكان الأصل في الأرض أرضة والشاهد أنها تجمع أرضات ، مثل : تمرة وتمرّات ، وأسقطت الأرضة أصلا حتى أنها لا يقال ، وأدخلت الواو والنون في الأرضين عوضا من الساقط وإنما أسقطت ؛ لأن التمر ينفصل كل واحدة منها بنفسها ، والأرض ليست كذلك ، وإنما هي اسم واحد يجمع أشياء لا ينفصل بعضها من بعض . وقولنا : أرض كقولنا : تمر . اسم للجنس ، وربما جمعت على أراض مثل : تمر وأثمار .

وهي في القرآن على تسعة أوجه :

الأول : أرض الجنة ، قال الله تعالى : ﴿ أَنْ الْأَرْضِ يَرِيهَا عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴾ [سورة الأنبياء آية ١٠٥] . يعني : أرض الجنة ، هكذا قيل . وقيل : إنها أرض الدنيا ، ودليل ذلك أن الأرض إذا جاءت مطلقة ، وهي الأرض المعروفة لا غير ، ولو لم يكن ذلك كذلك ، لم يعرف بإطلاق اللفظ شيء .

الثاني : الأرض المقدسة ، قال الله تعالى : ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ﴾ [سورة الأعراف آية ١٣٧] . أي : مشارق أرض الشام ومغاربها ؛ لأنها تعلم أن بني إسرائيل لم يملكوا أرض فارس ولا أرض خراسان ، ومنه قوله

(١) (أرض) : أَرْضٌ وَأَرْضُونَ . وَرَوْضَةٌ أَرِيضَةٌ : لَيْتَةُ الْمَوْطِيءِ وَاسِعَةٌ . وَأَرْضٌ أَرِيضَةٌ : طَيِّبَةُ الْمَعْقِدِ لَيْتَةٌ ، وَقِيلَ : تَحْلِيْقَةٌ لِلْمَطَرِ وَالْحَقِيرِ . وَكَذَلِكَ رَجُلٌ أَرِيضٌ ، وَمَا أَرْضَهُ لِلْحَقِيرِ . وَعَلَيْهِ أَرَاضَةٌ ذَاكَ : أَيِ أَمَارَتُهُ . وَتَأْرَضَ الرَّجُلُ : نَزَلَ ؛ مُسْتَقًى مِنَ الْأَرْضِ . وَهُمْ يَتَأْرَضُونَ مَنْزِلًا : أَيِ يَتَخَيَّرُونَ أَرْضًا أَرِيضَةً لِلنَّزُولِ . وَمَا فِي الْحَوْضِ أَرُوضٌ : أَيِ شَيْءٌ يُؤَارِي أَرْضَهُ . وَالْأَرْضُ : كَرَمُ الْأَرْضِ ، أَرَضَتْ تَأْرَضُ أَرْضًا . وَالْأَرْضُ : الرَّعْدَةُ . وَالزُّكَامُ أَيْضًا ، وَرَجُلٌ مَأْرُوضٌ : أَيِ مَرْكُومٌ . وَقِيلَ : هُوَ الَّذِي يُحْرَكُ رَأْسُهُ وَجَسَدُهُ عَلَى غَيْرِ عَمْدٍ . المحيط في اللغة : ٢٠٢/٢ .

تعالى : ﴿ اَلَمْ غُلِبَتِ الرُّومُ فِي اَذْنَى الْاَرْضِ ﴾ [سورة الروم آية ١-٣] . يعني : ارض الشام ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَجِئَا۟هُ وُلُو۟طًا۟ اِلَى الْاَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِي۟هَا ﴾ [سورة الانبياء آية ٧١] . أي : ارض الشام .

الثالث : ارض المدينة خاصة ، قال الله : ﴿ اِنْ اَرْضِي وَاِيسَعَةً فَاِيَايَ فَاَعْبُدُو۟نِ ﴾ [سورة العنكبوت آية ٥٦] . يأمرهم بالهجرة إليها ، ثم فيه دلالة على أن من لا يمكنه عبادة الله في ارض فينبغي أن ينتقل عنها إلى حيث يمكنه ذلك .

والمراد على هذا التأويل أن ارض مكة تسعكم لا تجدون فيها ما تجدون في غيرها من العاشر فانتقلوا إليها ، ويجوز أن يكون المعنى أن الطرق غير مسدودة عليكم فاخرجوا إلى حيث تتمكنون من عبادة ربكم . ومثله قوله تعالى : ﴿ اَلَمْ تَكُنْ اَرْضُ اللّٰهِ وَاِيسَعَةً فَتْحٰجِرُو۟ا فِي۟هَا ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . قالوا : يعني : ارض المدينة . وقال : ﴿ وَاِنْ كَاۡدُوۡا لَيَسْتَفِزُّوۡنَكَ مِّنَ الْاَرْضِ ﴾ [سورة الاسراء آية ٧٦] . وقال : ﴿ وَمَنْ يُّهَاجِرْ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ يَجِدْ فِي الْاَرْضِ مُرَآعًا كَثِيْرًا وَّسَعَةً ﴾ [سورة النساء آية ١٠٠] . أي : مذهبا واسعا ، مأخوذ من الرغام ، والمراغمة أيضا المغايظة والمناغضة ، وأصله من الرغام وهو التراب . ويقال : راغمته إذا هاجرته وعاديته ولم لا تبال رغم أنفه أم لا .

الرابع : ارض مكة ، قال الله تعالى : ﴿ قَالُوۡا كُنَّا مُسْتَضْعَفِيۡنَ فِي الْاَرْضِ ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . يعني : ارض مكة ، : ﴿ قَالُوۡا اَلَمْ تَكُنْ اَرْضُ اللّٰهِ وَاِيسَعَةً ﴾ [سورة النساء آية ٩٧] . أي : أليس في ارض المدينة متسع ومحتمل ، فليس لكم عذر في المقام بمكة على ذل وهوان .

الخامس : اارض التي تفتح لأهل الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ اَوَلَمْ يَرَوْۤا اَنَا۠ نَّاتِي الْاَرْضَ نَنۡقُصُهَا مِنْۢ اَطْرَافِهَا ﴾ [سورة الرعد آية ٤١] . أي : أو لم تروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما يبين لهم صدق الدعوة ، وذلك أنه كان أخبره بفتحها عليهم ، ففتحها كان بعض

المعجزات ، وقيل : ﴿ تَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾^(١) موت أهلها وينقص ثمارها ، وقيل : موت العلماء والأول الوجه .

السادس : أرض مصر خاصة ، وهو قوله : ﴿ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ ﴾ [سورة يوسف آية ٥٥] . وإنما طلب ذلك نظرا للناس ليوسع عليهم وينصفهم في القسمة ، وقوله : ﴿ وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة يوسف آية ٥٦] . وقال : ﴿ فَلَنْ أَبْرِحَ الْأَرْضَ ﴾ [سورة يوسف آية ٨٠] . وقال : ﴿ إِنْ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة القصص آية ٤] . وقال : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة القصص آية ٥] . وقوله : ﴿ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ ﴾ [سورة غافر آية ٢٦] . المعنى بهذا كله : أرض مصر . وكذلك قوله : ﴿ إِنْ الْأَرْضُ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ [سورة الأعراف آية ١٢٨] . ويجوز أن يكون المعنى في هذا جميع الأرض المسكونة .

السابع : أرض الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٣] قال أهل التفسير : يقاتلون حيث توجهوا من الأرض ولا يتركون فارس في شيء من أرض المسلمين ، وقيل : معناه أن دمائهم مباحة فمن يقتلهم لم يؤخذ بهم ، ويقال : نفيت الشيء نفيا ، والنفاية ما ينفي مثل : النحاتة والبراية .

الثامن : جميع الأرضين ، قال الله : ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا ﴾ [سورة هود آية : ٦] ، وقال : ﴿ وَلَوْ أَتَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ ﴾ [سورة

(١) قال الشوكاني : ﴿ أَوْ لَمْ يَرَوْا ﴾ يعني أهل مكة ، والاستفهام للإنكار ، أي : أولم ينظروا ﴿ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾ أي : نأتي أرض الكفر كمكة نقصها من أطرافها بالفتوح على المسلمين منها شيئا فشيئا . قال الزجاج : أعلم الله أن بيان ما وعد المشركين من قهرهم قد ظهر ، يقول : أولم يروا أنا فتحنا على المسلمين من الأرض ما قد تبين لهم ، فكيف لا يعتبرون ؟ وقيل : إن معنى الآية : موت العلماء والصلحاء . قال القشيري : وعلى هذا فالأطراف الأشراف . وقد قال ابن الأعرابي : الطرف الرجل الكريم . قال القرطبي : وهذا القول بعيد ؛ لأن مقصود الآية : أنا أربناهم النقصان في أمرهم ليعلموا أن تأخير العقاب عنهم ليس عن عجز إلا أن يحمل على موت أجداد اليهود والنصارى . وقيل : المراد من الآية خراب الأرض المعمورة حتى يكون العمران في ناحية منها . وقيل : المراد بالآية هلاك من هلك من الأمم . وقيل : المراد نقص ثمرات الأرض . وقيل : المراد جور ولائها حتى تنقص . [فتح القدير : ٤ / ١٢٣] .

لقمان آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿إِنَّا مَكْنَاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [سورة الكهف آية : ٨٤] ، والفرق بين مكناه له ومكناه أن معنى مكناه له : جعلناه له ما يتمكن به في الأرض ، ومعنى مكناه : أقدرناه على ملك الأرض .

وقوله : ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [سورة الكهف آية : ٤٧] والمراد : أنا نسير الجبال فيحلوا منها وجه الأرض فتراها بارزة أي : ظاهرة لا شيء فيها ، ويجوز أن تكون بارزة بمعنى : مبرزة أي : قد أبرز جميع ما في بطنها ، وجاءت على فاعلة على النسبة كما قيل : الحاسة وهي من أحسست على النسبة لا على طلب الفعل ، أي : هي ذات كذا ، ويجوز أن يكون المعنى أنك ترى أهل الأرض بارزين كما قال : ﴿وَيَرَوْا اللَّهَ جَمِيعًا﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢١] ، وقال : ﴿وَيَرَوْا اللَّهَ الْوَاحِدَ الْقَهَّارَ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٤٨] .

التاسع : محي الأرض مثلا ، وهو قوله : ﴿مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [سورة هود آية : ١٠٧ ، ١٠٨] . لم يرد أرضا بعينها وإنما هو على حسب قول العرب في معنى الأبد : لا أفعل ذلك ما اختلف الليل والنهار وما طما البحر وما أقام الجبل وما دامت السموات والأرض .

هذا وإن كان اللفظ الليل والنهار والجبل والأرض والسماء ، فإنما المراد به الأبد ، وإنما جعلوا هذه الأشياء أمثالا في الأبد ؛ لأنها عندهم لا تتغير ، ويجوز أن يكون المراد أرض الجنة والنار .

الاشترء

أصل الشراء من الإمالة ومنه الشرى وهو الناحية ، فقولهم : اشتريت الشيء . كأنك جعلته في شراءك ، أي : ناحيتك ، كما تقول : احتقبتة إذا جعلته في حقيقتك ، وهو من الأضداد ، اشتريته إذا أخذته بثمن واشتريته إذا بعته ، وكذلك شريته إنها سمي المشتري والبائع باسم واحد ؛ لأن كل واحد منهما يأخذ شيئاً ويعطي شيئاً فلتأثلهما من هذا الوجه اشتركا في الاسم الواحد ، ويجوز أن يكون من قولك : شريت به . إذا لمحت به ، ومنه يقال : شرى البرق إذا كثر لمعانه كأنه لهج بذلك .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الاختيار ، قال : ﴿ اشْتَرَوْا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى ﴾ ^(١) [سورة البقرة آية : ١٦ ، ١٧٥] . أي : اختاروا الكفر على الإيمان ، ومنه : ﴿ وَ يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٤] . أي : اختاروا على الإيمان ما نالوه من حطام الدنيا ، وساء قليلا ؛ لأن كل شيء من الدنيا قليل لانقطاعه .

وقال : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي هَوَىٰ الْحَدِيثِ ﴾ [سورة لقمان آية : ٦] . يعني : يختار باطل الحديث على القرآن .

وعلى هذا التقدير يصح هذا التأويل ؛ لأن الاختيار : إثارة الشيء على غيره وهو ضرب من الإرادة واقع على هذا الوجه ، وإذا لم يقع كذلك لم يسم اختيارا .

(١) قال الخازن : ﴿ الذين اشتروا الضلالة بالهدى ﴾ أي استبدلوا الكفر بالإيمان وإنما أخرجه بلفظ الشراء والتجارة توسعاً على سبيل الاستعارة لأن الشراء فيه إعطاء بدل وأخذ آخر . فإن قلت كيف قال اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى ؟ قلت جعلوا لتمكنهم منه كأنه في أيديهم فإذا تركوه إلى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوه بها . والضلالة الجوز عن القصد وفقد الاهتمام ﴿ فما ربحت تجارتهم ﴾ أي ما ربحوا في تجارتهم والربح الفضل عن رأس المال وأضاف الربح إلى التجارة لأن الربح يكون فيها ﴿ وما كانوا مهتدين ﴾ أي مصيبين في تجارتهم ، لأن رأس المال هو الإيمان فلما أضاعوه واعتقدوا الضلالة فقد ضلوا عن الهدى . وقيل وما كانوا مهتدين في ضلالتهم . [لباب التأويل : ١٦/١] .

وأصله من الخير كأنك تؤثر خير الشيتين عندك ، وقالوا : لهو الحديث الغناء ؛ لأنه يلهي عن الذكر ، قالوا : نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شرى المرأة المغنية .

وقيل : هو جميع ما يلهي عن الذكر ، وقيل : نزلت في النضر بن الحارث بن كلدة الداري وكان يشتري من كتب الأعاجم فارس والروم ويقرأوها على قریش فيستحسنونها ويعجبهم ما يسمعون من أخبارهم فيها فيشتغلون بها عن استماع القرآن .

وقوله : ﴿ وَتَتَّخِذَهَا هُزُوًا ﴾ [سورة لقمان آية : ٦] . يعني : سبيل الله ، ومعناه الإسلام .

الثاني : الابتياح ، قال الله : ﴿ إِنْ اللَّهُ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ هُمْ الْجَنَّةُ ﴾ [سورة التوبة آية : ١١١] . هكذا قيل ، وهو مجاز وحقيقته أنه جعل الجنة ثوابا لهم على بذلهم نفوسهم وأموالهم في سبيل الله ، وسمي ذلك اشتراء ؛ لأنه جعل الجنة بدلا من ذلك كما أن ثمن السلعة بدل منها .

الثالث : بمعنى البيع ، قال تعالى : ﴿ يَتَسَاءَلُونَكَ عَنْ الْأَنْفُسِ الَّتِي أُشْتَرِىَ بِهَا أَنْفُسُهُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] أي : باعوها ، وهذا أيضا مجاز ، ومعناه أنهم أذنبوا فاستحقوا النار فإذا صاروا إليها لم يتفعلوا لنفوسهم فكأنهم باعوها ؛ لأن من باع الشيء حرم الانتفاع به .

الأحد^(١)

أصله الانفراد ، يقال : رجل وحد إذا كان منفردا ، ولهذا قالوا : مررت برجل وحده .
لما أرادوا معنى الانفراد ، كأنهم أرادوا برجل أفرادا ، وأفرادا منصوب نصب المصدر فتصبوا
وحده ؛ لأنه جعل موضع أفراد .

(١) [وحد] : الوَحْدُ : المتفردُ . رجلٌ وَحْدٌ ، وثورٌ وَحْدٌ . وتفسير الرجلِ الوَحْد : الذي لا يُعْرِفُ له أَضْلٌ .
قال :

بذي الليل على مُسْتَأْنَسٍ وَحْدٍ

وَالْوَحْدُ - خَفِيفٌ - : حِدَّةُ كُلِّ شَيْءٍ . وَالْوَحْدُ : منصوب في كُلِّ شَيْءٍ لَأَنَّهُ يَجْرِي بِجَرَى الْمَصْدَرِ خَارِجاً مِنْ
الْوَصْفِ ، لَيْسَ بِنَعْتٍ فَيَتَّبِعُ الْأَسْمَ . وَلَيْسَ بِخَيْرٍ فَيُقَصَّدُ إِلَيْهِ دُونَ مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ ، فَكَانَ النَّصْبُ أَوْلَى بِهِ ، إِلَّا
أَنَّ الْعَرَبَ قَدْ أَضَافَتْ إِلَيْهِ ، فَقَالَتْ : هُوَ نَسِيجٌ وَحْدِهِ ، وَهِيَ نَسِيجَةٌ وَحْدِهَا ، وَهِيَ نَسِيجَةٌ وَحْدِهَا ، وَهِيَ نَسِيجَةٌ وَحْدِهَا . وَهُوَ الرَّجُلُ الْمَصِيبُ الرَّأْيِ . وَكَذَلِكَ قَرِيعٌ وَحْدِهِ وَكَذَلِكَ صَرْفُهُ ،
وَهُوَ الَّذِي لَا يَقَارَعُهُ فِي الْفَضْلِ أَحَدٌ .

وَوَحْدَ الشَّيْءِ فَهُوَ يَحْدُ حِدَةً ، وَكُلُّ شَيْءٍ عَلَى حِدَةٍ بَاطِنٌ مِنْ آخَرٍ . يُقَالُ : ذَلِكَ عَلَى حِدَتِهِ وَهِيَ عَلَى حِدَتَيْهَا ،
وَهُمْ عَلَى حِدَتِهِمْ ، وَالرَّجُلُ الْوَحِيدُ ذُو الْوَحْدَةِ ، وَهُوَ الْمُنْفَرِدُ لَا أَنْيَسَ مَعَهُ ، وَقَدْ وَحَّدَ يُوَحِّدُ وَحَادَةً وَوَحْدَةً
وَوَحْدًا .

وَالتَّوْحِيدُ : الْإِيمَانُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَاللَّهُ الْوَاحِدُ الْأَحَدُ ذُو التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ . وَالوَاحِدُ : أَوَّلُ
عَدَدٍ مِنَ الْحِسَابِ . تَقُولُ فِي ابْتِدَاءِ الْعَدَدِ : وَاحِدٌ ، اِثْنَانٌ ، ثَلَاثَةٌ إِلَى عَشْرَةٍ . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتَ : أَحَدٌ ، اِثْنَانٌ ،
ثَلَاثَةٌ ، وَفِي الثَّلَاثَةِ : وَاحِدَةٌ وَإِحْدَى . وَلَا يُقَالُ غَيْرُ أَحَدٍ ، وَإِحْدَى فِي أَحَدٍ عَشَرَ ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ . وَيُقَالُ :
وَاحِدٌ وَعَشْرُونَ ، وَوَاحِدَةٌ وَعَشْرُونَ ، فَإِذَا حَمَلُوا الْأَحَدَ عَلَى الْفَاعِلِ أَجْرِي تَجْرَى الثَّانِي والثَّالِثُ ، وَقَالُوا :
هَذَا حَادِي عَشْرَهُمْ ، وَثَانِي عَشْرَهُمْ وَهَذِهِ اللَّيْلَةُ الْحَادِيَةُ عَشْرَةَ وَالْيَوْمُ الْحَادِي عَشَرَ . وَهَذَا مَقْلُوبٌ كَجَذَبَ
وَجَبَذَ .

وَالْوَحْدَانُ : جَمَاعَةُ الْوَاحِدِ .

وتقول : هو أَحَدُهُمْ ، وَهِيَ إِحْدَاهُنَّ ، فَإِذَا كَانَتْ امْرَأَةً مَعَ رِجَالٍ لَمْ يَسْتَقِمْ أَنْ تَقُولَ : إِحْدَاهُمْ ، وَلَا
أَحْدَهُمْ ، إِلَّا أَنْ تَقُولَ : هِيَ كَأَحْدِهِمْ ، أَوْ هِيَ وَاحِدَةٌ مِنْهُمْ .

وتقول : الْجُلُوسُ وَالْقُعُودُ وَاحِدٌ ، وَأَصْحَابُكَ وَأَصْحَابِي وَاحِدٌ .

وَالْمَوْحَدُ كَالْمُنَى وَالْمَثَلُ ، تَقُولُ : جَاءُوا مَثْنَى وَمَثَلَتْ وَمَوْحَدٌ ، وَجَاءُوا ثَنَاءً وَثَلَاثَ وَأَحَادَ . وَالْمِيحَادُ
كَالْمِشَارِ ، وَهُوَ جُزْءٌ وَاحِدٌ ، كَمَا أَنَّ الْمِشَارَ عَشْرٌ .

وَالْمَوَاحِدُ : جَمَاعَةُ الْمِيحَادِ ، وَلَوْ رَأَيْتَ أَكْثَابَ مُتَفَرِّدَاتٍ كُلِّ وَاحِدَةٍ بَاطِنَةٍ عَنْ الْأُخْرَى كَانَتْ مِيحَادًا أَوْ
مَوَاحِدَ .

وتقول : ذَاكَ أَمْرٌ لَسْتُ فِيهِ بِوَاحِدٍ ، أَيْ : لَسْتُ عَلَى حِدَةٍ . وَالْحِدَةُ أَصْلُهَا الْوَاوُ . [العين : وحد] .

يقولون : واحد الرجلين ، ولزموا أحدا وإحدى في العدد .

ولو استعملوا في أحد وعشرين وإحدى وعشرين واحدا وعشرين وواحدة وعشرين كان جائزا ولكن لما كان باب العدد وباب التعبير لزموا فيه أحدا وإحدى وهما مغيران عن الأصل ، وقالوا : واحد ولم يقولوا في الثانية : واحدان ؛ لأن واحدا اسم لما لا ثاني له ، وقالوا : اثنان حين أرادوا أن كل واحد منهما ثان للآخر .

وأحد في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : يعني : الله سبحانه وتعالى ، وهو قوله : ﴿ أَيْحَسِبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴾ [سورة البلد آية : ٥] يعني : أن لن يقدر عليه الله ، أو أن يحسب أن لن يقدر الله أن يبعثه .

وكذا قوله تعالى : ﴿ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ [سورة البلد آية : ٧] وأول الآية : ﴿ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبْكًا ﴾ [سورة البلد آية : ٦] أي : أنفقت المال الكثير في وجوه كثيرة ، ومن أحصاه علي فيحاسبني به ، فقال الله : ﴿ أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴾ أي : لم يره الله .

الثاني : النبي صلى الله عليه وآله ، قال : ﴿ وَلَا تُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا ﴾ [سورة الحشر آية : ١١] يعنون النبي صلى الله عليه وآله ، وكذلك قوله : ﴿ إِذْ تُضْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٥٣] يعني : على النبي عليه السلام ؛ لأنه ثبت حين انهزموا فمروا على وجوههم ، ولم يقيموا عليه ، ويجوز أن يكون المعنى أن بعضكم لم يقم على بعض .

الثالث : قوله : ﴿ وَمَا لَأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى ﴾ [سورة الليل آية : ١٩] جاء في التفسير أنه عني بلالا مولى أبي بكر رضي الله عنه وأراد أنه لم تكن لبلال نعمة عند أبي بكر يعتقه من أجلها ، وإنما أعتقه لوجه الله ، ويجوز أن تكون الآية فيه وفي غيره ممن يفعل الخير لا ليد يجازي بها ولكنها لله تعالى .

الآل^(١)

أصل الآل من الأول وهو الرجوع ، والآل-الشخص يرفع في الصحاري للناظر فيراه ليس بشيء ، وسمي آلاء ؛ لأنه يخفى ثم يرجع فيظهر ، وبه سمي شخص الرجل آلاء . والآله الشدة من شدائد الدهر ؛ لأنها تذهب ثم ترجع ، قالت الخنساء :

سَاحِلُ نَفْسِي عَلَى الْآلَةِ فَـ لِمَا عَلَيْهَا وَإِمَامًا هــ

والآلة : الحالة ؛ لأنها لا تبقى .

والآل ربها جاء بمعنى الأهل ، وبينهما فرق يقال : أهل العلم وأهل البلد ، ولا يقال : آل العلم وآل البلد ، ويقال : أهل الرجل لأقاربه وهم آله أيضا وآله أتباعه ، فكان الآل من جهة القرابة والصحبة ، والأهل من جهة النسب والاختصاص .

وقيل : العرب تقول في تصغير آل : أهيل فهذا يدل على أن أصل الهمزة في آل هاء .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى الأتباع ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النَّذْرُ ﴾ [سورة القمر آية : ٤١] يعني : أتباعه ، والمعنى : جاءته النذر وجاءتهم أيضا ، ومثله : ﴿ آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ [سورة غافر آية : ٤٦] فاكتمى بذكرهم عن ذكره لدلالته عليه ، ومعلوم أنها إذا جاءتهم لأجل كفرهم وهو كافر مثلهم ، فقد جاء به وهذا من الإيجاز المحمود .

الثاني : أهل بيت الرجل ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ ﴾ [سورة القمر آية : ٣٤] وهذا مثل الأول ؛ لأنه نجاه ونجى أهل بيته فاكتمى بذكر أهل بيته لبيان المعنى ، ومثله : ﴿ إِلَّا آلَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٥٩] .

(١) الفرق بين الآل والشخص : أن الآل هو الشخص الذي يظهر لك من بعيد ، شبه بالآل الذي يرتفع في الصحاري ، وهو غير السراب وإنما السراب سبخة تطلع عليها الشمس ، فتبرق كأنها ماء ، والآل شخص ترتفع في الصحاري للناظر وليست بشيء ، وقيل الآل من الشخص ما لم يشبهه وقال بعضهم " الآل من الاجسام ما طال ولهذا سمي الخشب آلا " . [الفروق اللغوية : ٧/١] .

الثالث : الذرية ، قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٣] يعني : إسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط ، و : ﴿ وَآلَ عِمْرَانَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٣] يعني : موسى وهارون ؛ اختارهم على عالمي زمانهم .

والفرق بين الولد والذرية : أن الذرية يقع على أولاد الرجل الذكور والإناث ، وعلى أولاد بنيه وبناته من الذكور والإناث ، والدليل على ذلك أن الله تعالى يقول : ﴿ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨٤] ثم عد عيسى مع المذكورين ، وولد الرجل هم من ولدهم لا يدخل أولاد البنات فيهم ؛ لأن أولاد البنات منسوبون إلى آبائهم ، قال الشاعر :

بُنُونَا بَنُوا أَبْنَاءَنَا وَبَنَاتِنَا بَنُوهُنَّ أَبْنَاءُ الرِّجَالِ الْإِبَاعِ

فأما تسميته الحسن والحسين عليهما السلام ولدي رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن ذلك شيء خصا به دون غيرها تكريما لهما واختصاصا .

أوى^(١)

أصله الميل ، وماوى الرجل منزله الذي يميل إليه ويقيم فيه ، أويت أنا وأويت غيري إذا ضممته إليك كأنك أملتة إليك بعطفك ورحمتك .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الضم ، قال : ﴿ وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] أي : ضمهما .

الثاني : الانتهاء ، قال الله تعالى : ﴿ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ [سورة الكهف آية : ٦٣] ، وقال : ﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ [سورة الكهف آية : ١٦] أي : انتهوا ، ويجوز أن يكون أراد الميل في الوجهين ، : ﴿ وَأَوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ﴾ أملناهما ، : ﴿ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ ﴾ ملنا ، : ﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ ﴾ مالوا . والمعين : الماء الطاهر التي تناله العين وهو من قولك : عنته إذا أبصرته واختار لهم الربوة ؛ لأنها أبعد من اللثق وما يكون فيها من الماء والخضرة فهو أحسن والعرب تقول : أحسن من رياض الحزن ، قال الأعشى :

مَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْحَزَنِ مُعْشَبَةٌ خَضْرَاءُ جَارَ عَلَيْهَا مَسْبَلٌ هَطْلٌ

والحزن : ما ارتفع من الأرض في غلظ .

(١) [أوى] : تقول العرب : أوى الإنسان إلى منزله بأوى أوياً وإواء والأوى : أحسن ، وأويته إيواء .
والتأوى : التجمع . . . وتأوى الطير ، إذا انضم بعضها إلى بعض ، فهن أوى ، ومساويات قال العجاج : كما
تدائى الجدأ الأوى يصف الأثافي ، وقد شبه كل أنفة بجدأة بوزن فَعَلَة .
وتقول : أويت لفلان أوى أوية وأية وماوية وماواة إذا رحمته ورثت له ، قال :
على أمر من لم يُشَوِّني صَرُّ أمره *** ولو أنني استأويته ما أوى ليا
وابن أوى : لا يصرفل على حال ، ويُحْمَلُ على أفعل مثل : أخوى . [العين : أوى] .

الأول^(١)

أول كل شيء ما ابتدئ فيه واشتقاقه من الأول ، وهو الرجوع ، كأن كل شيء ترجع صفته إلى ما بدئ منه ، والأول في أسماء الله تعالى بمعنى أنه لا شيء قبله .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : أول من كفر من أهل الكتاب ، وهو قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤١] أي : أول من كفر به من أهل الكتاب ؛ لأن قريشا كفروا به قبلهم ، ودلهم هذا على أن جميع من كفر منهم بعد فإنه سببه ويلزمهم مثل وزره .

قال أبو العباس المبرد : أول يضاف إلى ما بعده على وجهين :

أحدهما : أن يكون ما بعده متصلا به .

والآخر : أن يكون مقدرًا لذلك ، وذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ ﴾ إنما قال هذا للمخاطبين ؛ لأنهم قبل غيرهم ممن يلزمهم ما يلزمهم فقليل لهم : أنتم أيها المخاطبون لا تكفروا بما سمعتم فيكون بعدكم الكافر والمؤمن فلا تكونوا أول الكفار ، وكافر في موضع الجماعة إذا كانوا واحدا واحدا ، وقيلا قبيلا ، يقول : كل رجل في الدار فأعطه درهما ، أي : أعطهم رجلا رجلا حتى يعطي كلهم ، ولو قال قائل : أول من يأتي فله درهم فأتاه واحد ولم يأت غيره لوقع عليه اسم الأول ؛ لأنه في التقدير أن يأتي غيره ، ولو قال : آخر رجل يأتيني وآخر عبدا ملكه لم يعلم إلا بعد موته ؛ لأن الأول مقدر لما بعده ، والآخر لا يقع عليه هذا الاسم ، وكذلك إذا قال : أول عبد لي حر فأول عبد يشتره يعتق ، فإذا قال : آخر عبد لم يعلم ذلك إلا بعد موته .

(١) (أول) : (الأول) الرجوع وقولهم آلت الضربة إلى النفس أي رجعت إلى إهلاكها يعني أدى أثرها إلى القتل يقال طبخت النيد حتى آل المئان منّا واحداً أي صارَ فَعَلْتُ هَذَا عَاماً أَوَّلَ عَلَى الوَصْفِ وَعَامَ الأَوَّلِ عَلَى الإِصَافَةِ وَقَوْلُهُ أَيُّ رَجُلٍ دَخَلَ أَوَّلَ فَلَهُ كَذَا وَكَذَا مَنِيٌّ عَلَى الضَّمِّ كَمَا فِي مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَمَعْنَاهُ دَخَلَ أَوَّلَ كُلِّ أَحَدٍ وَقَبْلَ كُلِّ أَحَدٍ وَمَوْضِعُهُ بَابُ الْوَاوِ وَأَلَيْنَا فِي (ف ج) . [المغرب : الهمزة مع الواو] .

الثاني : النبي صلى الله عليه وسلم ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨١] قيل : أول الموحدين لله من أهل زمانه ، ومثله : ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٤] ، وقوله تعالى : ﴿ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [سورة الزمر آية : ١٢] أي : ابتدئ بإظهار الإسلام ليتلو في الناس .

الثالث : أول المؤمنين ، أي : أول المؤمنين بذلك ، ويجوز أن يكون معناه أنه أول المؤمنين بهذا وبغيره مما هو من دين الله ليس أنه لم يكن مؤمنا به قبل ذلك وإنما أراد أنه يجدد له إيمان بعد إيمان قبل أن يتجدد ذلك لغيره فهو أول فيه .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٥١] أي : أول المؤمنين من اتباع فرعون ، وقيل : كانوا أول مؤمني أهل دهرهم ، وذلك غلط ؛ لأن موسى وهارون عليهما السلام كانا مؤمنين قبلهم ، وقوله تعالى : ﴿ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٠٥] دليل على أن موسى كان قد علم أن من بني إسرائيل من هو مؤمن ، وكان فرعون يتعبد لهم فطلب منه إرساله إياه .

الاستئناس^(١)

أصله طلب الأنس ، والإناس من الرؤية يفيد الأنس بما يراه المؤمنس ، ولهذا لا يقال لله تعالى يؤنس كما يقال : أنه يرى .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : الاستئذان ، قال الله تعالى : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ﴾ [سورة النور آية : ٢٧] ونسق التلاوة يدل على أنه أراد الاستئذان ، وهو قوله : ﴿ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ﴾ [سورة النور آية : ٥٩] .

وقرأ ابن عباس رحمه الله : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ ، وقال : غلط الكاتب وإنما سمي استئذانهم استئناسا ؛ لأنهم إذا استأنسوا أنس بعضهم ببعض .

(١) الأَنَسُ : جَمَاعَةُ النَّاسِ ، وَهُمُ الْإِنْسُ . وَالْأَنَاسُ : جَمَاعَةُ النَّاسِ ؛ وَجَمْعُ الْإِنْسِ أَيْضاً - بِمَنْزِلَةِ إِنْجِلٍ وَأَجَالٍ - .

وقيل : سُمِّيَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا لظُهُورِهِمْ وَإِذْرَاكِ الْبَصَرِ إِيَّاهُمْ ، وَهُوَ فِعْلَان ، وَصَغَرُ : أَتَيْتَانِ وَأَتَيْتَيْنِ . وَيَقُولُونَ : هَذِهِ إِنْسَانَةٌ لِلْمَرَأَةِ . وَطَيَّيْتُ قَوْلِي فِي الْإِنْسَانِ : إِنْسَانٌ - بِالْيَاءِ - ، وَيُجْمَعُ أَبَايْنَيْنِ . وَقَوْلُهُ عَزَّ وَجَلَّ : " يَا بَيْنَ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ " يُرِيدُ : يَا إِنْسَان . وَقَوْلُهُ : " يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ " أَيُّهَا النَّاسُ ، يُقَالُ : مَا هُوَ مِنَ الْإِنْسَانِ : أَيُّ مِنَ النَّاسِ . وَتَأَنَسَتِ الْأَرْضُ : تَبَسَّتْ . وَفِي الْمَثَلِ الْخَافِضُ بِأَخِيهِ قَوْلُهُمْ : " فَلَانُ ابْنُ أَنَسٍ فَلَانٌ " . وَالْإِنْسَانُ : الْأَتَمَلَةُ . إِنْسِي الْقَدَمَ : مَا أَقْبَلَ عَلَيْكَ . وَإِنْسِي الْإِنْسَانِ : شَبَّهَ الْإِنْسَانَ . وَالْأَنَسُ : الْأَسْتِنَاسُ وَالْتَأَنَسُ ، وَقَدْ أُنْسْتُ بِفُلَانٍ وَأُنْسْتُ بِهِ - بَفَتْحِ الثَّوْنِ -

وَالْأَنَسَةُ : الْجَارِيَةُ الْعَلِيَّةُ النَّفْسِ الَّتِي تُحِبُّ حَدِيثَهَا . وَيَقُولُونَ : كَيْفَ أُنْسَكَ وَإِنْسَكَ ، وَ " كَيْفَ تَرَى ابْنَ أَنْسِكَ " أَيُّ نَفْسِكَ ، وَقِيلَ : هُوَ خَاصَّتُهُ وَخَلِيلُهُ . وَيُقَالُ لِلْسَّلَاحِ : الْمُؤَنَسَاتُ ؛ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَسْتَأْنِسُ بِسَلَاحِهِ .

وَأُنْسْتُ فَرَعًا وَمُخَصَّمًا وَضِعْفًا مِنْ مَكَانٍ : أَيُّ رَأَيْتُ . وَكَذَلِكَ أُنْسْتُ : إِذَا أَحْسَنْتُ شَيْئًا . وَالْبَارِئُ يَتَأْنَسُ : إِذَا جَلَّى وَنَظَرَ رَافِعًا رَأْسَهُ . وَالْأَنَسَةُ : النَّارُ ؛ لِأَنَّهَا أُنْسَ الْأَشْيَاءَ ، وَقِيلَ : هُوَ مَنْ أَتَاهُ تَوْنُسٌ أَيْ تَبَصَّرَ .

وَمَوْضِعٌ مَأْنُوسٌ : فِيهِ إِنْسٌ وَالْأَسْتِنَاسُ : الْأَسْتِئْذَانُ . وَتَأَنَسَ لِلشَّيْءِ : إِذَا تَسَمَّعَ لَهُ . [المحيط في اللغة : ٢٧٩/٢] .

وفي قوله تعالى : ﴿ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ﴾ جواز الدخول بعد الاستئذان وإن لم يكن صاحب الدار أذن ، ولذلك قال مجاهد : هو التحنم والتمحجج كأنه أراد أن يعلمهم بدخوله .

وهذا الحكم ثابت فيمن جرت عادته بالدخول من غير إذن ومعلوم أن الإذن مشروط في إباحة الدخول ، ويدل عليه أيضا قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ ﴾ [سورة النور آية : ٢٨] فحظر الدخول إلا بالإذن .

الثاني : طلب الأنس بالحديث ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ ﴾ [سورة الأحزاب آية : ٥٣] ، وقال عمر رضي الله عنه : أأستأنس يا رسول الله ، فقال له : استأنس يعني : استأنس بالحديث .

ومستأنسين نصب على الحال من محذوف ، أي : فلا تدخلوها مستأنسين أو لا تجلسوا بعد الفراغ من الأكل ، وقيل : موضعه خفض مستأنسين على اتباع : ﴿ نَاطِرِينَ إِنَاءُ ﴾ .

الآية^(١)

أصل الآية العلامة الثابتة من قولك : تأييت بالمكان إذا أقمت به وثبت فيه ، ومن ثم يقال : لأجعلنك آية ، أي : علامة ، وسميت الآية من القرآن آية ؛ لأنها بمفارقتها كلام البشر علامة على صدق الدعوة ، وقيل : الآية جماعة حروف من قولهم : خرج القوم على آيتهم أي : بجماعتهم . .

وهي في القرآن على وجهين :

الأول : العبرة ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] أي : عبرة يعتبر بها ، وتكون علامة لصدقه وشاهدا على أن الله تعالى قادر على ما يريد ، ويجوز أن يكون قولهم : لأجعلنك آية من ذلك أي : عبرة ، ومثله : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٥] ولم يقل : وجعلنا ابن مريم وأمه آيتين ؛ لأن الأمر فيهما يؤول إلى شيء واحد .

الثاني : العلامة ، قال : ﴿ وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلِّ الْمُسْحُونِ ﴾ [سورة يس آية : ٤١] ، وقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ﴾ [سورة الروم آية : ٢٥] ، وقوله : ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ [سورة الشورى آية : ٢٩] ، الروم :

(١) الآية : العلامة ، وجمعها آي ثم آيات . والجماعة من الناس ، وخرج القوم بآيتهم . والغاية . والآيات من القرآن ، والجميع الآي ، وآية مؤنثة وقد أُنثت ، وسميت آية لأنها علامة لانقطاع الكلام ، وقيل : لأنها عَجَبٌ ، وإذا أَصَفْتَ إلى آية قُلْتَ : آوِيَّ وَأَيْي .

وَآيَةُ الرَّجُلِ : شَخْصُهُ ، يُقَالُ : تَأَيَّيْتُ آيَتَهُ : أَي تَعَمَّدْتُ شَخْصَهُ .

وَأَيُّ الدَّارِ : عَلَامَتُهَا .

وَالْآءُ : الْوَاحِدَةُ آءٌ شَجَرَةٌ لَهَا حَمْلٌ تَأْكُلُهُ النَّعَامُ ، وَتَمَرَتُهَا الْآءُ ، وَتَضَعُهَا أَوْيَاةٌ بوزن عُوَيْعَةٍ . وَأَرْضُ مَاءَةٍ عَلَى مَفْعَلَةٍ .

وَالنَّائِي : النَّظَرُ وَالتَّوَدُّعُ ، نَائِيَا الرَّجُلُ يَتَأَيَّي ، وَلَيْسَتْ بِدَارِئِيَّةٍ : أَي انْظَرِ لِلْمَقَامِ بِهَا .

وَتَأَيَّيْتُ بِالْمَدِّ : تَعَمَّدْتُ .

وَتَأَيَّيْتُ الْقَوْمَ : لَحِقْتُهُمْ وَأَذَرْتُهُمْ وَتَلَاقَيْتُهُمْ .

وَتَأَيَّيْتُ الْأَثَرَ : التَّمَسُّتُهُ وَتَعَرَّفْتُهُ .

وَأَيَايَا : فِي الرَّجْرِ ، أُنِيتُ بِالْإِذِلِ أُنِيتُ تَأَيَّيَةً ، وَأَيَايَايَ تَأَيَّيَةً . [المحيط في اللغة : ٢ / ٤٩٠] .

[٢٢] ، وقوله : ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾^(١) [سورة الروم آية : ٢١] أي : ومن العلامات على ربوبيته .

والوجهان متقاربان يصلح استعمال أحدهما في موضع الآخر ، وإنما أوردناهما على حسب ما جاء في التفسير .

(١) قال الشوكاني : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾ قال المفسرون : يعني النساء فإنه خلق حواء من ضلع آدم . أو المعنى : خلق لكم من جنسكم أزواجاً لفتانموا بها ، لأن الجنس يأنس إلى جنسه ، ويستوحش من غير جنسه ، ويسبب هذه الأنسة يقع بين الرجال والنساء ما هو سبب للنسل الذي هو المقصود بالزواج ، ولهذا قال : ﴿وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنَ وَحَفْدَةٍ﴾ . [فتح القدير : ٤/ ٢٤٢] .

الآخرة

سميت الآخرة آخرة ؛ لأن الدنيا تؤدي إليها ، وآخر الشيء خلاف أوله ، فأوله ما بدئ منه وآخره ما ينقطع عند تمامه .

وقد يجوز مع ذلك أن يجعل أول الشيء آخره ، وآخر الشيء أوله إذ قدر غير التقدير الأول ، وقد استقصينا ذلك في كتاب الفرق .

وآخر الشيء منه كما أن أوله منه ، وليست الآخرة من الدنيا على أنه لولا الدنيا لم يقل آخره ، وأنت الآخرة على تأنيث الدار .
وهي في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : القيامة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٠ ، المؤمنون : ٧٤] يعني : القيامة .

الثاني : الجنة بعينها ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٠] أي : ما لهم في الجنة من نصيب ، والخلق النصيب وسمي خلافا ؛ لأنه قدر لصاحبه ، وأصل الخلق التقدير وسنذكره ، وقال تعالى : ﴿ وَالْآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣٥] ، وقال : ﴿ تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ﴾ [سورة القصص آية : ٨٣] ، ونظير الأول قوله تعالى : ﴿ وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصيبٍ ﴾ [سورة الشورى آية : ٢٠] .

الثالث : جهنم خاصة ، قال : ﴿ يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةً رَبِّهِ ﴾ [سورة الزمر آية : ٩] أي : يحذر جهنم .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٧] وجاء في التفسير أنه أراد القبر حين يأتيه منكر ونكير ، ويجوز أن يكون معناه القيامة يثبت الله فيها على الصراط .

الخامس : قوله تعالى : ﴿ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾^(١) [سورة ص آية : ٧] وهي
ملة عيسى عليه السلام ، كذا قيل ، ويجوز عندنا أن يكون معناه : ما سمعنا أن مثل ما تأتي به
يكون في آخر الزمان .

(١) قال ابن الجوزي : ﴿ فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ ﴾ وفيها ثلاثة أقوال :

أحدها : النصرانية ، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس ، وإبراهيم بن المهاجر عن مجاهد ، وبه قال محمد بن
كعب القرظي ، ومقاتل .

والثاني : أنها ملة قريش ، رواه ابن أبي نجيع عن مجاهد ، وبه قال قتادة .

والثالث : اليهودية والنصرانية ، قاله الفراء ، والزجاج ؛ والمعنى أن اليهود أشركت بعزير ، والنصارى
قالت : ثالث ثلاثة ، فلهذا اُنْكِرَت التوحيد . [زاد المسير : ٢٢٧/٥] .

الأخ^(١)

أصل الأخ أخو على وزن فعل ، ودليل ذلك أنك تقول في التثنية أخوان ، وكذلك الأب ؛ لأنك تقول في تثنيته أبوان .

قال المبرد : إنها حذفوا الواو من أخ علامة للتضمين ، ومعنى التضمين عندنا أنك إذا قلت : أخ فقد ضمنت شيئاً معلوماً وهو أخ آخر ، وكذلك إذا قلت : أب وابن وليس كذلك في مثل قولك : رأس ؛ لأنك إذا قلت : رأس جاز أن تريد رأس عصا ورأس رجل ورأس بقرة ، وليس يدل قولك : رأس على شيء بعينه ، والمضمون في قولك : أخ وابن معلوم ، وأصل اشتقاق الأخ من القصد ، ومن ثم قيل : توخيت الشيء إذا قصدته وأصله تأخيت

(١) الأخ ، وكان أصل تأليف بنائه على بناء فعل بثلاث حركات ، وكذلك : الأب ، فاستقلوا ذلك وفيها ثلاثة أشياء : حرف وصوت وصرف ، فربما ألقوا الواو والياء لصرفها وابقوا منها الصوت فاعتمد الصوت على حركة ما قبله فإذا كانت الحركة فتحة صار الصوت معها ألفاً ليفه ، وإن كانت ضمة صار معها واو لينة ، وإن كانت كسرة صار معها ياء لينة ، فاعتمد صوت واو الأخ على فتحة فصار معها ألفاً لينة : أخا ، وكذلك أبا كألف رمى وغزا ونحوهما .

ثم ألقوا الألف استخفافاً لكثرة استعمالهم إياها وبقيت الخاء على حركتها فَجَرَتْ على وجوه النحو لقصر الأسم .

فإذا لم يضيفوه قَوَّوه بالتثوين ، وإذا أضافوه لم يحسن التثوين فقَوَّوه بالمد في حالات الإضافة ، فإذا ثنوا قالوا أخوان وأبوان ، لأن الأسم متحرك الحشو فلو تصر حركته خلفاً من الواو والساقطة كما صارت حركة الدال في اليد ، وحركة الميم في الدم ، فقالوا يداً ودمان ، لأن حشوها ساكن فصار تحرك الدال والميم خلفاً من الحرف الساقط ، فقالوا : دمان ويدان ، وجاء في الشعر دميان ، قال :

فلو أنا على حَجَرٍ دَبَّحْنَا *** جَرَى الدَّمِيانِ بِالْحَجَرِ اليَقِينِ

وإنما قالوا : دميان على الدماء كقولك : دمي وجه فلان أشد الدماء ، فحرك الحشو ، وكذلك قالوا إخوان ، وهم الإخوة إذا كانوا لأب ، وهم الإخوان إذا لم يكونوا لأب . وفي القرآن : " فأصلحوا بين أخويكم " . والتأخي : اتِّخَاذُ الْإِخْوَانِ بَيْنَهُمَا إِخَاءً وَأُخُوَّةً .

والأنخت : كَانَ حَدُّهَا أُخَةً وَالْأَعْرَابُ عَلَى الْمَاءِ وَالْخَاءِ فِي مَوْضِعِ الرَّفْعِ وَلَكِنَّا انْفَتَحَتْ لِحَالِ هَاءِ التَّانِيثِ ، لَأَنَّهَا لَا تَعْتَمِدُ إِلَّا عَلَى حَرْفٍ مَتَحْرِكٍ بِالْفَتْحَةِ ، وَأَسَكَنْتِ الْخَاءَ فَحَوَّلَ صَرْفُهَا عَلَى الْأَلْفِ ، وَصَارَتْ الْمَاءُ تَاءً كَانَهَا مِنْ أَصْلِ الْكَلِمَةِ ، وَوَقَعَ الْإِعْرَابُ عَلَى التَّاءِ ، وَالْزَمَتِ الضَّمَّةُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْخَاءِ الْأَلْفَ ، وَكَذَلِكَ نَحْوُ ذَلِكَ .

أخخ : أَخْ : فارسية يتوجع بها عند التوجع من شيء . [العين : الخاء والقاف] .

الشيء وتأخيت أخا للفرق بين المعنيين ، ويجوز أن يكون توخيت الشيء مأخوذاً من الوحي ، وهو الطريق القاصد وهذا أجود الوجهين .

وهو في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الأخ من الأب والأم ، قال : ﴿ فَطَوَّعْتُ لَهُ نَفْسَهُ قَتْلَ أَخِيهِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣٠] ، وقال : ﴿ فَأَوَارِي سَوْءَةَ أَخِي ﴾ [سورة المائدة آية : ٣١] ونحوه كثير ، وسماها سوءة ؛ لأنها جيفة .

الثاني : الأخ في النسب ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِلَى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٦٥] ، وقوله : ﴿ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٧٣] ، وقوله : ﴿ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٥] ، وقال : ﴿ فَمَنْ عُنِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] فإن قيل : فلم سمي ولي الدم أخا القاتل في هذه الآية ، والقاتل فاسق والفاسق لا يكون أخا لمؤمن ، قلنا : سماه بذلك كما سمي هودا أخا عاد ، والقوم إذا كانوا من جيل واحد وقبيلة واحدة سموا أخوة ؛ لأنهم يتتهون إلى أب واحد قريب أو بعيد ، وسنفسر هذه الآية فيما بعد إن شاء الله .

الثالث : الأخ في الكفر والشرك ، قال الله : ﴿ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغِي ﴾ ^(١) [سورة الأعراف آية : ٢٠٢] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٢٧] ، ونحوه : ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٨] .

(١) قال الخازن : ﴿ وإخوانهم ﴾ يعني وإخوان الشياطين من المشركين ﴿ يمدونهم ﴾ أي يمدهم الشياطين ﴿ في الغي ﴾ قال الكلبي لكل كافر أخ من الشياطين يمدونهم أي يطيلون لهم في الإغواء حتى يستمروا عليه وقبل يزيدونهم في الضلالة ﴿ ثم لا يقصرون ﴾ يعني لا يكفون عن الضلالة ولا يتركونها وهذا بخلاف حال المؤمنين المتقين لأن المؤمن إذا أصابه طيف من الشيطان تذكر وعرف ذلك فترع عنه وتاب واستغفر والكافر مستمر في ضللك لا يتذكر ولا يبرعوي . وقال ابن عباس : لا الإنس يقصرون عما يعملون من السيئات ولا الشياطين يمسكون عنه فعلى هذا القول يحمل قوله لا يقصرون على فعل الإنس والشياطين جميعاً . [التأويل : ١٥٠/٣] .

الرابع : الأخ في الإسلام ، قال : ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [سورة الحجرات آية : ١٠] ، وقال : ﴿ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٠٣] .

الخامس : الأخ في المودة ، قال في وصف أهل الجنة : ﴿ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٧] .

السادس : الأخ بمعنى الصاحب ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعَجَةً ﴾ [سورة ص آية : ٢٣] ، وقوله : ﴿ أُحِبُّ أَحَدَكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا ﴾ [سورة الحجرات آية : ١٢] أي : لحم صاحبه .

ويجوز أن يكون معناه الأخ في الدين ، فجعل الغيبة أكل اللحم ، قال أبو هريرة : قلت : يا رسول الله ما الغيبة ؟ قال : " ذكر أخيك بما يكره " ، قال : قلت : أفرأيت إن كان في أخي ما أقول ؟ قال : " إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته ، وإن لم يكن فيه فقد بهته " (١) .

(١) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة (٢٥٩١) ، وأخرجه الترمذي أيضا (١٩٣٤) ، وأخرجه أبو داود (٤٨٧٤) ، وأخرجه أحمد (٨٧٥٩) ، وأخرجه الدارمي (٢٧١٤) .

الإثم^(١)

الإثم عند العرب الذنب ، وسميت الخمر إثما لأنها توقع في الذنوب ، ويقال : أثم فهو أثم وأثيم مبالغة كما تقول : علم فهو عالم وعليه مبالغة .

وقال ابن السكيت : إن الإثم في قوله : ﴿ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٣] يعني : به : الخمر ، وأنشد :

شَرِبْتُ الْإِثْمَ حَتَّى ضَلَلْتُ عَقْلِي كَذَلِكَ الْإِثْمُ يَذْهَبُ بِالْعُقُولِ
وجاء في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الكذب ، قال تعالى : ﴿ لَوْلَا يَنْهَاهُمُ الرِّبَايُونَ وَالْأَخْبَارُ عَنْ قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ السُّخْتَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٦٣] أي : الكذب بأن عزيزا ابن الله وأن يد الله مغلوله .

الثاني : المعصية ، قال الله تعالى : ﴿ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِإِثْمٍ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣] أي : مائل إلى المعصية ، والجنف الميل .

وقال بعض الفقهاء : الإثم أن يأكل منه أكثر مما يحتاج إليه لسد جوعه ، وقال غيره : له أن يأكل منه ما يريد ويتزوده فإذا استغنى عنه طرحه ، والضرورة المذكورة في الآية تدفع ذلك ، والأول قول أصحابنا .

وقال : ﴿ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٣٣] ولا يكون البغي إلا بالحق ، وإنما هو مثل قولك : بغى علي ظلما ، ولا يجوز أن يبغى عليه عدلا ، وإنما هو تأكيد في الكلام .

(١) [أثم] : أَيْمَ : رَفَعَ فِي الْإِثْمِ . وَتَأَثَّمَ : تَخَرَّجَ مِنْهُ وَكَفَّ عَنْهُ . وَالْأَثَامُ : عُقُوبَةُ الْإِثْمِ ، وَالْأَثَامُ جَمْعُهُ . وَفُلَانٌ مُؤَثَّمٌ : أَيِ ادَّعَى الْإِثْمَ . وَالْأَثِيمُ وَالْأَثِيمَةُ : فِي كَثَرَةِ رُكُوبِ الْإِثْمِ . وَالْأَثِيمُ : الْفَاعِلُ . وَيَقُولُونَ : لَا يَأْثُمُنِي اللَّهُ فِي كَذَا وَلَا يُؤْثِمُنِي بِمَعْنَى وَاحِدٍ : أَيِ لَا يَجْزِيَنِي الْأَثَامُ .
وَالْإِثْمُ : مِنْ أَشْيَاءِ الْحَمْرِ ؛ فِي قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : " مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ " .
وَالْمُؤَاثِمُ : الَّذِي يَكْذِبُ فِي السَّرِيرِ . [المحيط في اللغة : ٤٢٤ / ٢] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢] هو الإثم وكذلك البغي .

وإنما كرر المعنى بغير لفظه أراد التأكيد على ما بيننا ، ومثله : ﴿ وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٠] يعني : ظاهر المعصية وباطنها .

وقال بعضهم : أراد الزنا وليس له أن يقصره على الزنا وحده إلا بدليل وللدليل فإن كان ما روي أن العرب كانت تحل الزنا باطنا وتحرمه ظاهرا فأخبر الله تعالى بأن ذلك كله محرم صحيحا فهو الدليل .

الثالث : الحرج والضيق ، قال الله تعالى : ﴿ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٣] أي : إن نفر الحاج من مكة اليوم الأول من أيام التشريق أو الثاني أو تأخر بمنى إلى اليوم الثالث فلا حرج عليه : ﴿ لِمَنِ اتَّقَى ﴾ أي : لمن توخى التقوى .

وهذا دليل على أن أعمال البر لا تنفع إلا مع الإيمان والتقوى والإثم الحرام ، قال الله تعالى : ﴿ أَتَأْخُذُونَهُ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا ﴾ [سورة النساء آية : ٢٠] أي : حراما بينا ، والبهتان : الباطل الذي يتحير في بطلانه ، وأصله من قولهم : بهت الرجل إذا تحير ، وقال الله : ﴿ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٨] .

الرابع : قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٢] جاء في بعض التفسير أنه أراد بالإثم الخطأ ، وقيل : الجنف هاهنا الخطأ ، وقيل : المعنى من علم من الموصي ميلا إلى ما هو إثم وجور في الوصية مما يعود بالضرر على ورثته فسيبيله أن يصلح بينه وبينهم حتى يرجع أمرهم إلى السداد ، ولما قال : ﴿ جَنَفًا ﴾ دل على معدول عنه ومعدول إليه ، وهم الموصي والورثة ، فقال تعالى : ﴿ فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٢]

والفرق بين الجنف والحيف : أن الجنف هو العدول عن الحق والحيف الحمل على الشيء حتى تنقصه ، وتحيف الشيء تنقصته من حافته^(١).

فإن قيل : لم قال : ﴿ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٢] وهو محسن ؟ قلنا : لأن المتوسط من أنهن لا يعدم أن ينقص أحدهما بعض حقه الذي في ذلك من الصلاح ، والصلح لا يكون إلا كذلك فبين أنه لا إثم عليه في النقصان والزيادة .

(١) الجَنَفُ : الميلُ في الكلام ، وفي الأمور كُلِّها ، تقول : جَنَفَ فلانٌ علينا ، وأجَنَفَ في حُكمه ، وهو شبيهٌ بالحيف ، إلا أنَّ الحيفَ من الحَاكِمِ خاصَّةً ، والجَنَفُ عامٌّ . ومنه قول الله عز وجل : " فمن خافَ من مَوْصِيٍّ جَنَفًا " . وقوله جلَّ وعزَّ " غيرُ مُتَجَاوِفٍ لِإِثْمٍ ، أَي مُتَنَابِلٍ مُتَعَمِّدٍ " . [العين : الجنف] .

أنى

يكون على وجهين :

يكون بمعنى كيف في قوله تعالى : ﴿ أَنى يُخَيِّبُ هَـذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٩] أي : كيف يحييها ؟ ! ، وقوله : ﴿ فَأَتُواْ خَزُنُكُمۡ أَنى شِئْتُمۡ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٣] إلا أنه في القبل لقوله : ﴿ فَأَتُواْ خَزُنُكُمۡ ﴾ ، ولقوله : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٣] إذ لا تعبر عن الدبر بالحرث ، ويكون المعنى من أين في قولك : أنى لك هذا ، أي : من أين لك هذا ، وقوله : ﴿ أَنى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠١] ، وقوله : ﴿ قَاتِلْهُمْ اللّهُ أَنى يُؤَفِّكُونَ ﴾ [سورة التوبة آية : ٣٠] .

والمعنيان متقاربان يجوز أن يتأول كل واحد منهما على ما يتأول عليه الآخر .

قال الكميت :

أَنى وَمِنْ أَيْنَ أَبْكَ الطَّرْبُ مِنْ حَيْثُ لَا صَبَوَةٌ وَلَا رَبُّ

فجاء بالمعنيين .

(١) " أنى " بمعنى " كيف " كقوله جل ثناؤه : " أنى يخيب هذه الله ؟ " .
وتكون بمعنى : " من أين " كقوله : " أنى يكون له ولد ؟ " أي من أين . والأجود أن يقال في هذا أيضاً
كيف . " تا " كميته :

أَنى وَمِنْ أَيْنَ أَبْكَ الطَّرْبُ *** مِنْ حَيْثُ لَا صَبَوَةٌ وَلَا رَبُّ

فجاء بالمعنيين جميعاً . [الصاحبي في فقه اللغة : باب أنى] .

أو

قالوا : تحييء في القرآن على ثلاثة أوجه ، وتأتي في غير القرآن للشك تقول : رأيت عبد الله أو محمدا ، أو تكون للتخير بين الشيئين كقوله : ﴿إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ﴾ [سورة المائدة آية : ٨٩] ، وقوله : ﴿فَقَذِيَّةٌ مِنْ صَيَّامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٦] .

قالوا : وتحييء بمعنى واو النسق ، قال الله : ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ [سورة المرسلات آية : ٥ ، ٦] ، وقوله : ﴿وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمُ آتِيَا أَوْ كُفُورًا﴾ [سورة الإنسان آية : ٢٤] ، وليس كذلك .

قال المبرد : أصل أو في الكلام واحد ثم تنقسم قسمين التخيير والإباحة ، والتخيير قولك : خذ مني دينارا أو ثوبا فإنه وفاء بحقك وليس لك أن تأخذهما ، وقولك : اضرب زيدا أو عمرا أي : كل واحد منهما أهل أن يضرب وأنت مخير في واحد لا تزيد عليه ، وكذلك إذا شك المخير فقال : جاءني زيد وعمرو ولم يرد أنها جاءه إلا أنه يعلم أن أحدهما جاء فهذا باب واحد .

والإباحة قولك : جالس زيدا أو عمرا أو خالدا وارو عن الحسن أو ابن سيرين ، أي : جالس هذا الضرب وارو عن هذا الضرب من الناس ، وإذا جالس واحدا منهم أو جالسهم جميعا فقد أطاعني ؛ لأنني أردت هذا الضرب ، وعلى هذا قوله تعالى : ﴿وَلَا تُطْعَمُ مِنْهُمُ آتِيَا أَوْ كُفُورًا﴾ ولو قال : وكفورا فأطاع أحدهما ولم يطع الآخر لم يكن عاصيا ، وإذا قال : أو كفورا صار كل واحد منهما لا يطاع على حياله ، وأما قوله : ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ فمعناه أن المُلْقِيَاتِ ذِكْرًا تجمع بين الإعذار والإنذار فتعذر في وقت وتنذر في وقت كما نقول : جاءني زيد وعمرو فتعلم بذلك أن كل واحد يجوز أن يحييء إلا أن قصدي في هذه الحال واحد منهما ﴿عُرْفًا﴾ [سورة المرسلات آية : ١] أي : تباعا بعرف الفرس ، و : ﴿الْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة ، وقيل : ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ جمع عذير ونذير ، قال حاتم :

وقَدْ عَذَّرْتَنِي فِي طِلَابِكُمُ الْعُذْرُ

قال : وتقول في الاستفهام : أتأخذ دينارا أو ثوبا ، وليس معناه أن يلزمه أحدهما ، ولكن معناه أتأخذ هذين ؟ فجواب هذا لا أو نعم ، ولو أراد أن يلزمه واحدا لا محالة ، يقال : أتأخذ دينارا أو درهما فجواب هذا لا يكون لا ولا نعم ، ولكن تقول : دينارا أو درهما ، وتقول : لا دينارا آخذ ولا درهما ، وتكون أو بمعنى بل في قول الفراء وأبي عبيدة قال : ﴿ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٧] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا أَمُرُّ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [سورة النحل آية : ٧٧] ، وقوله : ﴿ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ﴾ [سورة النجم آية : ٩] ، وأنشد شاهدا على ما تقدم :

فَقَصَى عَنْكُمَا شَهْرَيْنِ أَوْ نِصْفَ ثَا لَيْثَ إِلَى ذَلِكَ مَا قَدْ غَيَّبْتَنِي غِيَابِيَا

أي : ونصف ثالث لا يجوز هاهنا بل وكذلك في قوله : ﴿ عُدْرًا أَوْ نُذْرًا ﴾ ، وقيل : ﴿ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ أي : أو يزيدون في تقديركم إذ رآهم رائئ ، قال هولاء : ﴿ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴾ فهذا هو القول ؛ لأنه على أصل ، أو وكذلك قوله : ﴿ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ ﴾ [سورة النحل آية ٧٧] أي : لو رأى الرائي قدرة الله على إماتة الخلق وإحيائهم ، لقال : وذلك يكون في قدر لمح البصر أو أقل ، والساعة اسم لإماتة الخلق وإحيائهم وليس يذكر أن الساعة تأتي في أقرب من لمح البصر .

وكذلك يقال : أو أدنى أقل عندكم لو رأيتموه لقلتم أنه كذلك ، والمراد أن النبي صلى الله عليه وسلم أحب أن يرى جبريل صلوات الله عليه على صورته الحقيقية ، وكان يهبط للوحي على صورة رجل فاستوى جبريل في الأفق على صورته فرآه رسول الله صلى الله عليه وسلم : ﴿ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ﴾ [سورة النجم آية : ٨] جبريل فصار بينه وبين النبي صلوات الله عليها القدر المذكور .

والمراد أنه دنا فتدلى فزاد قربا ، وقيل : دنا فتدلى أي : تدلى فدنا على القلب ، وهو في كلامهم واسع .

أم^(١)

إذا قلت : أزيد في الدار أم عمرو ؟ فأنت لا تدري أيها في الدار ، ولا تدري أن أحدهما فيها أو لا ، ويصلح في جوابه لا ونعم ؛ لأنك تسأل عن الكينونة هل حصلت في الدار أم لا فإذا علمت أن أحدهما في الدار ولست تدري أيها هو قلت : أزيد في الدار أم عمرو ، ولا يصلح في جوابه لا ولا نعم ؛ لأنك تسأل عن أحد الكائنين ففيه معنى أيها .

قيل : وأم في القرآن على وجهين :

الأول : يكون بمعنى أو ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ أَنْ يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى ﴾ [سورة الإسراء آية : ٦٩] . وقوله تعالى : ﴿ أَمْ أَمِنتُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ﴾ [سورة الملك آية : ١٧] .

قال بعض أهل العربية : هي في هذين الموضعين بمعنى أو ، والمراد التحذير ، أي : لا تأمنوا ذلك واحذروه ما دمتم على الشرك .

الثاني : مجيئه بمعنى ألف الاستفهام ، قال الله تعالى : ﴿ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، والاستفهام هاهنا بمعنى النهي ، وقال الله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُ الْنبَاتُ وَلَكُمُ النَّبُوتُ ﴾ [سورة الطور آية : ٣٩] أراد له النبات ، وهذا الاستفهام بمعنى الزجر والتبكيث ، قال : وليس من هذا : ﴿ أَخَذْنَاَهُمْ سَخْرِيَا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمْ الْأَبْصَارُ ﴾ [سورة ص آية : ٦٣] فإن قيل : لم سوى بين السخري وبين زاغت الأبصار عنهم ؟ ، قلنا : لأن المعنى أظلمناهم بما قلنا فيهم وبما سخرنا منهم أم هم مستحقون له وقد زاغت أبصارنا عنهم وهم في النار ، فهذا حق التسوية .

والصحيح في هذه الآيات أنه لما جاء بلفظ الاستفهام في أول الكلام جاء بأم بعده لأنه للاستفهام ، والمراد بالاستفهام فيها التبكيث أو التعريف والتوقيف على ما ذكرناه ، وقال :

(١) "أم" : حَرْفٌ فِي مَعْنَى "أَوْ" ، وَيَكُونُ فِي الْمَعْنَى كَأَنَّهُ اسْتِفْهَامٌ بَعْدَ اسْتِفْهَامٍ . وَيَكُونُ فِي مَعْنَى "بَلْ" . وَيَقُولُونَ : أَمْ عِنْدَكَ عِدَاءٌ حَاضِرٌ : وَأَنْتَ تُرِيدُ : أَعِنْدَكَ ؟ . وَيَكُونُ مُبْتَدَأَ الْكَلَامِ فِي الْحَبْرِ . وَيَكُونُ زَائِدًا كَقَوْلِكَ : جَاءَكَ أَمْ زَيْدٌ : مَعْنَاهُ جَاءَكَ زَيْدٌ . [المحيط في اللغة : ما أوله الألف] .

﴿الْم تَنْزِيلُ الْكِتَابِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ﴾
[سورة السجدة آية : ١ - ٣] ، ولم يتقدم في الكلام أيقولون كذا ففرد عليه أم يقولون ،
وقيل : إنها أراد أيقولون افتراه ، والصحيح أن أم هانئا بمعنى بل فرد قولهم ، ثم قال : ﴿هُوَ
الْحَقُّ﴾ .

قال المبرد : لأم موضعتان ، وكلاهما استفهام ، فأحدهما : أن تسأل عن شيء من شيئين أو
أكثر من ذلك تدعي من الاثنين والجميع واحدا ولا تدري أيهما هو وذلك قولك : أزيد في
الدار أم عمرو ، وأزيد أفضل أم خالد ، وعبد الله عندك أم عمرو وأنت الآن مدع أن أحدهما
عنده ولا تدري أيهما هو ، ولا يصلح في جوابه لا ولا نعم على ما تقدم قبل ، وإنها جوابه أن
تقول : فلان عندي أو تقول : كلاهما عندي ، أو تقول : لا زيد عندي ولا عمرو فإذا قلت :
ليت شعري أزيد في الدار أم عمرو فإنها أخبرت أنها قد استويا عندك في الكون هناك ،
وكذلك قولك : لا أبالي عمرا ضربت أم زيدا وسواء ذلك علي إن أدبر زيد أم أقبل .

وكل هذا تسوية وعلم في تقديره أنه سيقع ، ومن ذلك قوله تعالى : ﴿أَأَنْتُمْ أَشَدَّ خَلْقًا أَمْ
السَّمَاءُ بَنَاهَا﴾ [سورة النازعات آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَعِّ﴾ [سورة
الدخان آية : ٣٧] خرج مخرج التوقيف والتوبيخ ، قال : واعتبر هذا يأتي فإنها تكون لأحد
شيئين أو لأحد أشياء تقول : ما أبالي أي : ذلك كان وسواء علي أي : ذلك كان ، وعلمت
أي : ذلك كان ، وأتى غير عامل فيها ما قبلها وإنما هي كقولك قد علمت أزيد في الدار أم
عمرو .

وإذا قلت : أيهما في الدار فمعناه هذا أم هذا فمن ذلك قوله تعالى : ﴿أَيُّ الْحَزِينِينَ
أَخْصَى﴾ [سورة الكهف آية : ١٢] ، وأما قوله تعالى : ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيُّ مُنْقَلَبٍ
يَنْقَلِبُونَ﴾ [سورة الشعراء آية : ٢٢٧] فأَي منصوبة بينقلبون ، كما يقول : علمت أيهم في
الدار .

والوجه الثاني : أن أم تحيي للإضراب عن الشيء إلى الشيء فتكون منقطعة عما قبلها
خبيرا كان أو استفهاما وذلك يكون لوجهين :

أحدهما : الشك .

والآخر : ترك خبر إلى خبر من غير شك. أو غلط ، وهذا مثل قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ
افْتَرَاهُ ﴾ ، وقوله : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، وقوله : ﴿ أَمْ تَأْمُرُهُمْ
أَخْلَادُهُمْ بِهَذَا ﴾ [سورة الطور آية : ٣٢] وقوله : ﴿ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا ﴾ [سورة الطور آية :
٤٠] ، وقوله : ﴿ أَمْ اتَّخَذَ لِمَا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٦] ، وفي هذه
الوجوه ومع ما ذكرنا أنه يترك خبرا إلى خبر آخر معنى التوبيخ والتوقيف .

ومثله قوله تعالى : ﴿ أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [سورة
فصلت آية : ٤٠] .

ومثله قولك للرجل : السعادة خير أم الشقاء ، وإنما يراد بذلك التنبيه على ترك اختيار ما
يصيره إلى الشقاء .

الإذن^(١)

أصله من العلم ، أذنت الشيء إذا علمته ، وأذنته غيري أي : أعلمته ، وفي القرآن : ﴿ قُلْ أَذَنْتُكُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠٩] ، ثم استعمل في الاستفهام لما يقع من الاستماع من العلم ، أذن له إذا استمع له ، قال الشاعر وهو عدي بن زيد :

وَسَمَاعٌ يَأْذُنُ الشَّيْخُ لَـهُ وَحَدِيثٌ مِثْلُ مَا ذِي مُشَارِ

ومن الأول : الأذان ؛ لأنه إعلام بالصلاة .

وهو في القرآن على وجهين :

(١) أذن : الأذن : مَوْضِعُ السَّمْعِ . وَأَذَنَّهُ أَذَنًا : ضَرَبْتُ أُذُنَهُ . وَرَجُلٌ أَذُنٌ وَامْرَأَةٌ كَذَلِكَ : إِذَا اسْتَمَعَ مِنْ كُلِّ

أَحَدٍ .

وَالْأَذُنُ : عُرْوَةُ الْكُوْزِ وَنَحْوِهِ . وَسُمِعَ مِنَ الْعَرَبِ : أُذُنُهُ ؛ فِي الْأَذَنِ .

وَرَجُلٌ أَذَانِيٌّ : عَظِيمُ الْأَذَنِ . وَكَثُرَ أَذُنُ وَنَعَجَةُ أَذْنَاءٍ .

وَفِي الْقَلْبِ أَذْنَانِ : وَهُمَا زَنْمَتَانِ فِي أَغْلَاهُ . وَجَاءَ نَاشِرًا أَذْنِيَهُ : إِذَا جَاءَ طَائِعًا .

وَفِي مَثَلٍ : " إِنَّا أَعْرَفُ الْأَرْزَبَ وَأَذْنِيَهَا " .

وَالْأَذُنُ : مُصَدَرُ قَوْلِكَ أَذِنْتُ لِلشَّيْءِ أَذْنًا : إِذَا تَسَمَّعْتَ لَهُ وَأَصْغَيْتَ إِلَيْهِ .

وَأَذِنْتُ أَيْضًا : عَلِمْتُ ، وَمَا أَذْنِي : أَيِ مَا أَعْلَمْتَنِي ، وَقَعْلُهُ بِأَذَنِي .

وَإِذَا أَذِنْتَ لَهُ فِي الدُّخُولِ ، وَالْإِذْنُ : الْحَاجِبُ .

وَالْأَذَانُ : اسْمُ التَّأْذِينِ . وَالْمُفَذَّةُ : الْمَنَارَةُ .

وَالْتَأَذُنُ : مِنْ قَوْلِكَ لَا فَعْلَكَ كَذَا ، مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ : " وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ " .

وَالْأَذَنَةُ : نَسْلُ الْمَالِ وَصِغَارُ الْمَاشِيَةِ وَالصَّبِيَّانُ مَا دَامُوا يَرَضَعُونَ .

وَأَذَنَةٌ مِنْ نُهَامٍ : غَضُّ النَّبْتَةِ .

وَفِي الْمَثَلِ : " لِكُلِّ جَايِبَةٍ جَوْرَةٌ ثُمَّ يُؤَذَّنُ " أَيِ يُنَمَّعُ ، وَيُرَوَّى : يُؤَذَّنُ .

وَتَأَذَّنَ الْقَوْمُ بِإِزْسَالِ إِبِلِهِمْ : أَيِ تَكَلَّمُوا بِهِ ، وَهُوَ التَّأْذِينُ . وَأَذْنَوَاهُ أَيْضًا .

وَكُلُّ مَنْ تَقَدَّمَ : فَقَدْ تَأَذَّنَ . وَالْأَذِينُ : الزَّرْعِيمُ . وَأَذِينَةُ : اسْمُ مَلِكِ الْعَبَالِيْقِ .

ذِينَ : مُهْمَلٌ عَنْدهُ .

الْحَارِزْنَجِيُّ : ذَاتُهُ يَدِينُهُ : إِذَا عَابَهُ . وَهُوَ الذَّانُ وَالذَّامُ .

ذُونٌ : أَيْضًا مُهْمَلٌ عَنْدهُ .

الدُّوْنُونُ : نَبْتُ مُسْتَطِيلٌ ، وَجَعَهُ ذَاتَيْنِ . وَخَرَجُوا يَتَذَاتْنُونَ . وَمِنْ أَشْأَلِهِمْ : " أَطْرُنُوْثَ وَلَا رَمْلَةَ ، أَذُوْنُونُ

وَلَا سَوَاكَ لَهُ " ، وَلَهُ حَدِيثٌ . [المحيط في اللغة : الذال والباء] .

الأول : العلم ، وهو قوله تعالى : ﴿ وَمَا هُمْ بِبَصَّارِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٠٢] يعني : والله يعلم ذلك ، وهو مجاز لهم عليه .

الثاني : الأمر ، قال الله تعالى : ﴿ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٣] أي : فدل الله المؤمنين إلى الحق من جملة ما اختلفوا فيه فلزموه بأمره ، وقيل : بعلمه ، وقال أبو علي رحمه الله : هداهم بإذنه أي : هداهم فاهتدوا بإذنه ؛ لأن هدايته فعله ، والله لا يفعل بإذن فحذف فاهتدوا لدلالة قوله : ﴿ بِإِذْنِهِ ﴾ عليه ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٤٥] والمعنى : أنهم لا يموتون دون الأجل فلا تجنبوا عن الجهاد ، وفي الآية دليل على أن غير الله لا يقدر على الموت ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢١] أي : بأمره الذي امثلوه ، وقال : ﴿ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد آية : ٣٨] ، وقوله : ﴿ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ١] ، وقال : ﴿ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٣] أي : بأمره وإذنه في ذلك ، وقوله : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٦٤] أي : بأمره ، وذلك أنه أمر أن يطاع ، وقيل : أرسله لأن يطاع ؛ لأنه يقول ما يقول بإذن الله ، وقيل : بإذنه بجميل صنعه وحسن توفيقه .

إلا

قالوا : هي على أربعة أوجه :

أولها : الاستثناء ، كقوله تعالى : ﴿الْأَحْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف آية : ٦٧] فاستثنى المتقين ؛ لأنهم ليسوا بأعداء .

الثاني : بمعنى لكن ، في قوله تعالى : ﴿لَيْتَلَا يَكُونَنَّ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ [سورة البقرة آية : ١٠٥] أي : لكن الذين ظلموا يحتجون عليكم بغير حجة لجهلهم ، وقيل : معناه لكن الذين ظلموا فلا تحشوهم .

قال أبو عبيدة : إلا هاهنا بمعنى الواو وإليه ذهب أبو علي رحمه الله ، أي : ولا الذين ظلموا عليكم حجة وهم من جملة الناس إلا أنه خصهم لشدة عبادهم كما خص النخل والرمان لفضلهما على غيرهما ، وقال المبرد : هذا خطأ ؛ لأن الواو للعطف ، والإشراك ، وإلا للاستثناء ولا يدخل أحدهما في باب الآخر .

قال : والأول صحيح ؛ لأن حق الاستثناء أن يكون كله على معنى لكن ، وفيه كلام كثير ليس هذا موضع ذكره .

واحتج أبو عبيدة بقول الشاعر :

إِلَّا كَتَاثِرَةٌ أَلْـَـذِي ضَيَّعْتُمْ كَالْغُضَنِ فِي غَلَوَائِهِ الْمُتَنَبِّتِ

قال المبرد : معنى هذا لكن ناشرة الذي ضيعتم والكاف زائدة ، وناشرة اسم رجل أي : خرج عنكم وادعى في بني أسد فتركتموه يخاطب بني مازن .

واحتج أبو عبيدة أيضا بقول الأعشى :

إِلَّا كَخَارِجَةِ الْمُكَلِّفِ نَفْسِهِ وَابْنِي قَيْصَةَ أَنْ أَغْيَبَ وَتَشَهَّدَا

قال : يعني وكخارجة ، وقال المبرد : أراد ولكن كخارجة المتكلف خلاف ما عليه العشيرة .

وقال في قوله : ﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ لكن الذين ظلموا أيقولون أن لهم حجة فالمعنى أنه لا أحد له حجة ، والظالم يحتاج بها لا حجة له فيه ، قال : ومن كلامهم : ما لأحد علي سبيل إلا من بغى فتأويله أنه لم يستثنه من باب سبيل ، ولكن معناه لكن من بغى غطى ببغيه فلا يكون هذا الباب منفردا من الأول البتة .

وقوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ﴾ [سورة يونس آية : ٩٨] ، وقوله : ﴿لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾ [سورة النساء آية : ١٤٨] أي : لكن من ظلم ، ومثله كثير .

الثالث : بمعنى غير ، قال الله : ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [سورة الأنبياء آية : ٢٢] أي : غير الله ، وقوله : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾ أي : لا إله غيره ، هكذا جاء في التفسير .

والفرق بين إلا وغير أن إلا حرف وغير اسم وينوب مناب إلا في الاستثناء ، وقد يكون صفة ، تقول : هذا درهم غير قيراط معناه : إلا قيراطا ، وغير قيراط على الصفة ولا يكون إلا مضافا ، ولا معنى له إلا مخالفة ما يضاف إليه ، ويكون فاعلا ومفعولا وظرفا ووصفا

(١) قال ابن الجوزي : قوله تعالى : ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ آمَنَتْ﴾ أي : أهل قرية . وفي «لولا» قولان : أحدهما : أنه بمعنى : لم تكن قرية آمنت ﴿فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا﴾ أي : قِيلَ منها ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُونُسُ﴾ ، قاله ابن عباس . وقال قتادة : لم يكن هذا لأمة آمنت عند نزول العذاب ، إلا لقوم يونس . والثاني : أنها بمعنى : فهلا ، قاله أبو عبيدة ، وابن قتيبة ، والزجاج . قال الزجاج : والمعنى : فهلا كانت قرية آمنت في وقت نفعها إيمانها ، إلا قوم يونس ؟ و«إلا» هاهنا استثناء ليس من الأول ، كأنه قال : لكن قوم يونس . قال الفراء : نُصِبَ القوم على الانقطاع عما قبله ، ألا ترى أن «ما» بعد «إلا» في الجحد يتبع ما قبلها ؟ تقول : ما قام أحد إلا أخوك ، فإذا قلت : ما فيها أحد إلا كلباً أو حاراً ، نصبت ، لانقطاعهم من الجنس ، كذلك كان قوم يونس منقطعين من غيرهم من أمم الأنبياء ، ولو كان الاستثناء وقع على طائفة منهم لكان رفعاً . وذكر ابن الأنباري في قوله : ﴿إِلَّا﴾ قولين آخرين : أحدهما : أنها بمعنى الواو ، والمعنى : وقوم يونس لما آمنوا فعلنا بهم كذا وكذا ، وهذا مروى عن أبي عبيدة ، والفراء ينكره . والثاني : أن الاستثناء من الآية التي قبل هذه ، تقديره : حتى يروا العذاب الأليم إلا قوم يونس ، فالاستثناء على هذا متصل غير منقطع . [زاد المسير : ٣/ ٣١٠] .

واستثناء ، تقول : جاءني غيرك فيكون فاعلا ، وضربت غيرك يكون مفعول ، ومررت برجل غيرك وصف ، وجاءني زيد غير راكب حال ، وجئتكَ غير يوم ظرف زمان ، أما من المكان فطلبتك غير موضع ، وجاءني القوم غير زيد ، وما جاءني أحد غير زيد استثناء فتجربيا في الإعراب مجرى الاسم الذي يجيء بعد إلا .

الرابع : ابتداء الكلام ، قال : ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ﴾ [سورة التين آية : ٥ ، ٦] وأسفل السافلين مثل أَرَذَلَ العمر أي : الكبر ، والمعنى : والذين آمنوا فلهم أجر غير ممنون ، ولا يكون مستثنى ؛ لأن الذين آمنوا قد رد بعضهم إلى الكبر ، وقيل : معنى أسفل سافلين : جهنم ، والذين آمنوا مستثنون ، فأما قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ٧٧] . فمعناه لكن ؛ لأن الله لا يستثنى من المخلوقين ، وكذلك : ﴿ إِنِّي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴾ [سورة الزخرف آية : ٢٦ ، ٢٧] ، وكذلك : ﴿ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٣٠ ، ٣١] ويجوز أن يقال : استثنى إبليس منهم ؛ لأنه كان معهم في الأمر ، وقوله : ﴿ لَا يَخَافُ الَّذِي الْمُرْسَلُونَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ ثُمَّ بَدَلْ حُسْنًا بَعْدَ سُوءٍ ﴾ [سورة النمل آية : ١٠ ، ١١] . أي : لكن من ظلم ، وثم هاهنا بمعنى الابتداء كما تقول : أريد أن أحسن إليك ثم أكرمك ، وقوله : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً ﴾ [سورة النساء آية : ٩٢] .

قال قطرب : معناه إلا ما يسعه ؛ لأن الخطأ واسع له ؛ لأنه لا حيلة له فيه ، وقوله : ﴿ إِلَّا اللَّمَمَ ﴾ ^(١) [سورة النجم آية : ٣٢] مستثنى صحيح ومعناه إلا أن يكون العبد قد ألم

(١) قال ابن الجوزي : اللَّمَمُ في كلام العرب : المُقَارَبةُ للشيء . وفي المراد به هاهنا ستة أقوال . أحدها : ما ألَّوَاهُ من الإثم والفواحش في الجاهلية ، فإنه يُغْفَرُ في الإسلام ، قاله زيد بن ثابت . والثاني : أن يُلَمَّ بالذَّنْبِ مَرَّةً ثم يتوب ولا يعود ، قاله ابن عباس ، والحسن ، والسدي . والثالث : أنه صِغَارُ الذَّنُوبِ ، كَالنَّظَرَةِ وَالْقُبْلَةِ وما كان دون الزُّنَا ، قاله ابن مسعود ، وأبو هريرة ، والشعبي ، ومسروق ، ويؤيد هذا حديث أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزُّنَا ، فَرَزْنَا الْعَيْنِ النَّظْرَ ، وَزَنَا اللِّسَانِ التُّطُقَ ، وَالنَّفْسَ تَشْتَهِي وَتَمْنَى ، وَيَصْدُقُ ذَلِكَ وَيَكْذِبُ الْفَرْجُ ، فَإِنْ تَقَدَّمَ بَفَرْجِهِ كَانَ الزُّنَا ، وَإِلَّا فَهُوَ اللَّمَمُ " . والرابع : أنه ما يَهْمُّ به الإنسان ، قاله محمد بن الحنفية .

بفاحشة ثم تاب ، ويجوز أن يكون معناه إلا أن يلم بذنب ويحسب أنه صغير أو يلم بذنب ويحسب أنه ليس بذنب ، وقوله تعالى : ﴿ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ ﴾ ثم قال : ﴿ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٤] معناه أن أصحاب إبراهيم تبرأوا من كفار قومهم وعادوهم على الدين ما خلا : ﴿ قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ فإن ذلك كان : ﴿ عَنْ مَوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ تَبَرَأَ مِنْهُ ﴾ [سورة التوبة آية : ١١٤] فقول إبراهيم هو استثناء من قول أصحابه ، كأن معنى قوله : إذ قالوا لقومهم قولهم لقومهم .

وقيل : معناه لكن قال إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك ، المعنى أن إبراهيم لم يقل ما قالوه ولكن قال : ﴿ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ ﴾ ، وقوله : ﴿ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى ﴾ [سورة الدخان آية : ٥٦] والموتة الأولى لم تكن في الجنة ، ولكن المعنى على البديل كأنه قال : لا يذوقون إلا الموتة الأولى كما تقول : لقيت زيدا في الدار ولقيت عمرا فلما كررت الفعل جاز أن لا يكون عمرو ملقيا في الدار وإذا لم تكرر وقلت : ظننت زيدا في الدار وعمرا لم يجوز أن يكون عمرو إلا مظنونا في الدار كذلك .

قال قطرب : وفيه نظر .

وأما قوله تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [سورة مريم آية : ٦٢] وهذا أيضا يدل على البديل ولا يكون استثناء ؛ لأن اللغو ليس بسلام كأنه قال : لا يسمعون فيها إلا سلاما .

ومثله قول سعد بن مالك :

والحربُ لا يبقَى جُـا حِمِّهَا التَّخِيلُ والمِـرَاحُ
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّـ جَدَاتِ وَالْفَرَسُ الْوَقَّاحُ

والخاء : أنه ألم بالقلب ، أي : خطر ، قاله سعيد بن المسيب .
والسادس : أنه النظر من غير تعمُّد ، قاله الحسين بن الفضل . فعلى القولين [الأولين] يكون الاستثناء من الجنس ، وعلى باقي الأقوال ليس من الجنس . [زاد المسير : ٤٤٤/٥] .

كأنه قال : لا يبقى إلا الفتى وليس باستثناء ؛ لأن الفتى ليس من التخيل والمراح ، وأما قوله تعالى : ﴿ مَا هُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ﴾ [سورة النساء آية : ١٥٧] وليس العلم من اتباع الظن فمعناه إلا أنهم يتبعون الظن ، وقوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةٌ فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا ﴾ [سورة يوسف آية : ٦٨] فمعنى ذلك : لكن حاجة ، وكذلك قوله : ﴿ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا ﴾ [سورة يس آية : ٤٣ ، ٤٤] أي : لكن رحمة .

وقال المبرد : لكن أن يرحمهم ، وقوله : ﴿ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطِرٍ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾ [سورة الغاشية آية : ٢٢ ، ٢٣] أي : لكن من تولى فإنك مسلط عليه بالقتل ، وكذلك قوله : ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٤٢] أي : لكن لك على من اتبعك سلطان ، ويجوز أن تكون إلا في قوله تعالى : ﴿ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴾ بمعنى الواو عند من يقول بذلك ، وقوله : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ [سورة هود آية : ٤٣] معناه : لا معصوم من أمر الله إلا من رحم يريد المؤمنين الذين مع نوح عليه السلام في السفينة كأنه قال : لا معصوم اليوم : ﴿ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴾ أي : من عذابه إلا المؤمن ، وفاعل بمعنى مفعول كثير في العربية يقولون : سر كاتم أي : مكتوم ، والراحلة بمعنى مرحولة ، وأمر عارف بمعنى معروف ، ويقولون : العارضة لما تعرض له داء من الذكارة والإناث وإنها هي معروض لها ، وكذلك تطليقة بائنة أي : مبانة ، والعائد الذي يعود بها ولدها ، وعيشة راضية أي : مرضية ، وجاء الأشر بمعنى الماشورة ، ومثل هذا يجيء في مواضع لا يقع فيها إلتباس ، ويجوز أن يكون المراد بإلا من رحمه الله أي : لا عاصم غير الله ، ويجوز أن يكون المراد به نوح ؛ لأنه يعصم بأمر الله كما قال عيسى عليه السلام : ﴿ وَأُخِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٩] .

قال المبرد : ﴿ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ ﴾ أي : لا عاصم يعصم الناس من أمر الله إلا من رحم فإنه تناله الرحمة ، والعاصم الفاعل ، ومن رحم معصوم ، ولكن لذكره العصمة فهم المعنى ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ ﴾

١١٤ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف
[سورة النساء آية : ١٥٩] فاستثنى من لفظه ، والمعنى : إن من أهل الكتاب أحد إلا ليؤمنن
به ، قال الراجز :

لَوْ قُلْتَ مَا فِي قَوْمِهِـا لَمْ تَشْمَ بِفَضْلِـهَا فِي حَسَبٍ وَمِيسَمِـ

أي : لو قلت ما في قومها أحد يفضلها ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ﴾ [سورة الليل آية : ١٩ ، ٢٠] أي : لا يقصد لذلك ، ولكنه يقصد ابتغاء وجه ربه .

ومما يجري مع هذا الباب ما قاله المبرد : أن الاختيار في قوله : ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٤٧] أن يكون الاسم ما بعد إلا وليس مثل قوله : ﴿ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءٌ وَتَصْدِيَةٌ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٥] ؛ لأن مكاء نكرة مصدر ، والاسم فيها مضي معرفة والخبر معرفة ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ حُجَّتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ [سورة الجاثية آية : ٢٥] : ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ [سورة الأعراف آية : ٨٢] ، وقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فَتَسُبُّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا ﴾ [سورة الأنعام آية : ٢٣] وذلك أن إلا موجهة فاختاروا أن يجعلوا الموجب الاسم وهذا كله جائز إلا إذا كان الاسم والخبر معرفتين ، وينشدون بيت الفرزدق :

وَقَدْ شَهِدْتُ قَيْسٌ قَمًا كَانَ نَضْرُهَا قُتَيْبَةً إِلَّا عَصَّهَا بِالْأَبَاهِـمِـ

على الوجهين .

إلى

قال سيبويه : إلى منتهى لا يتدأ الغاية ، تقول : من كذا إلى كذا ، ويقول الرجل : إنما أنا إليك أي : أنت غاييتي ، وتقول : قمت إليه فتجعله متهاك من مكانك .

وقال غيره : تقول : سرت إلى الكوفة فجائز أن تكون بلغت إليها ولم تدخلها ، وجائز أن تدخلها ولم تجاوزها ؛ لأن إلى غاية وما بعده شيء فليس بغاية .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : غاية ، كقوله تعالى : ﴿ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴾^(١) [سورة الشورى آية : ٥٣] أي : تصير إلى حيث لا يحكم غيره .

الثاني : على ما قيل : بمعنى مع ، قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ ﴾ [سورة النساء آية : ٢٩] أي : مع أموالكم كذا قيل .

والوجه أن يقال : لا تضيفوها إلى أموالكم فتأكلوها معها ولم يتح لهم أن يأكلوها مفردة وإنما هو نهي عام كما تقول : لا تشتم زيدا فيمن يشتمه ، والمعنى : لا تشتمه مشاركا في شتمه ولا منفردا به ، وأنه راجع إلى الأكل أي : أكله حوب كبير ، والحوب : الإثم والمصدر الحوب حاب يحوب حوبا ، وذكر الأكل وأراد النفقة ؛ لأن أكثر النفقة وأشهرها يكون فيما يؤكل ، وسماهم بعد البلوغ يتامى بالاسم الأول .

والأصل أن يسقط عنه اسم اليتيم عند البلوغ ، واليتيم في الناس من قبل الأباء وفي البهائم من قبل الأمهات .

(١) قال الطبري : قوله جل ثناؤه : (أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ) يقول جل ثناؤه : ألا إلى الله أيها الناس تصير أموركم في الآخرة ، فيقضي بينكم بالعدل .

فإن قال قائل : أوليست أمورهم في الدنيا إليه ؟ قيل : هي وإن كان إليه تدبير جميع ذلك ، فإن لهم حكاما وولاة ينظرون بينهم ، وليس لهم يوم القيامة حاكم ولا سلطان غيره ، فلذلك قيل : إليه تصير الأمور هنالك وإن كانت الأمور كلها إليه ويده قضاؤها وتدبيرها في كل حال . [جامع البيان : ٢١ / ٥٦١] .

الاستواء^(١)

أكثر ما يستعمل في الاستقامة وتكلم في أصله بعد إن شاء الله .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : القصد ، قال الله تعالى : ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ﴾^(٢) [سورة فصلت آية : ١١] أي : قصد لإخراجها من كونها دخانا إلى ما هي عليه من صلابة الخلقة ، قال ابن عباس : استوى هاهنا علا أمره .

(١) [سوي] : سَوَيْت الشيء فاستوى وقوله في البيع : لا يَسْوَى ولا يساوي ، أي : لا يكون هذا مع هذا سَوِيًّا من السواء . وساويت هذا بهذا ، أي : رفعت حتى بلغ قدره ومبلغه ، كما قال الله عز وجل : " حتى إذا ساوى بين الصَّدَقَتَيْنِ " ، أي : الجبَلَيْنِ ، أي : ردم طريقي بأجوج وماجوج بالقطر ، أي سَوَى أَخَذَهَا بِالْآخِرِ ، أَيْكَ رَفَعَهُ حَتَّى بَلَغَ طَوْلُهُ طَوْلَهُمَا .

والمساواة والاستواء واحد ، فأما يَسْوَى فإثنا نادرة ، لا يقال منه سَوَى ولا سَوَى ، وكما أَنَّ نَكَرَ جاءت نادرة ، ولا يُقال منه ينكر ، وإذا رجعوا إلى الفعل قالوا : يُنَكِّرُ ، كذلك إذا رجعوا إلى الفعل من يَسْوَى قالوا : سَوَى ، وقال بعضهم : يَسْاوِي وَيَسْوَى واحد ، إلا أَنَّ يَسْوَى مُؤَكَّد ، ولا يقال منه فَعَلَ ولا يفعل ، ولا يَصْرَفُ وَيُجْمَعُ السَّيِّ : أسواء ، كما قال :

النَّاسُ أَسْوَاءٌ وَشَتَّى فِي الشَّيْءِ *** وَكَلَّهْمُ يَجْمَعُهُمُ بَيْتُ الْأَدَمِ

أي : على اختلاف أخلاقهم ، أي : هم كيت فيه الأدم فمنه الجيد والوسط والرديء .
والسَّوَاء ، معدود : وسط كل شيء .

وسوى ، مقصور ، إذا كان في موضع غير ففيها لغتان بكسر السين ، مقصور ، ويفتحها معدود .
ويقال : هما على سَوِيَّةٍ من الأمر ، أي : على سَوَاءٍ وَسَوِيَّةٍ واستواء .

والسَّيِّ : موضع بالبادية أملس .

والسَّوِيَّة : قَتَبٌ أعجميٌّ للبعير ، والجميع : السَّوَايا .

والسَّوِيَّ : الذي سَوَى الله خَلْقَهُ ، لا دَمَامَةَ فيه ولا داء .

وقوله جل وعز : " مكاناً سَوَى " ، أي : معلماً قد عَلِمَ القومُ به ، وقال الضَّيِّير في قوله تعالى : " مكاناً سَوَى " : سَوَى وَيَسْوَى واحد ، أي : مُسْتَوِيًّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ .

وتصغير سواء وسوى : سَوَوِيٌّ ، وَيُجْمَعُ على سواسية وأسواء . [العين : سوي] .

(٢) قال أبو جعفر : اختلفوا في تأويل قوله : " ثم استوى إلى السماء " .

فقال بعضهم : معنى استوى إلى السماء ، أقبل عليها ، كما تقول : كان فلان مقبلاً على فلان ، ثم استوى عليَّ يشاعني - واستوى إليَّ يشاعني . بمعنى : أقبل عليَّ وإليَّ يشاعني . واستشهد على أَنَّ الاستواء بمعنى الإقبال .

الثاني : الاستيلاء ، قال الله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [سورة طه آية : ٥] ،
ومنه قول الشاعر :

فَلَمَّا عَلَوْنَا وَاسْتَوَيْنَا عَلَيْهِمْ تَرَكْنَاهُمْ صَرَغَى لِنَسِيرِ وَكَاسِيرِ

الثالث : الاستقرار ، قال الله : ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ [سورة هود آية : ٤٤] أي :
استقرت .

الرابع : التماثل ، قال الله : ﴿لَا يَسْتَوِي الْحَبِيثُ وَالطَّيِّبُ﴾ [سورة المائدة آية : ١٠٠]
أي : ليسا مثليين ، وأما قوله تعالى : ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ [سورة النجم آية : ٦] أي : استوت

وقال بعضهم : لم يكن ذلك من الله جل ذكره بتحوّل ، ولكنه بمعنى فعله ، كما تقول : كان الخليفة في أهل
العراق يواليهم ، ثم تحوّل إلى الشام . إنما يريد : تحوّل فعله . [وقال بعضهم : قوله : "ثم استوى إلى السماء"
يعني به : استوت]

وقال بعضهم : "ثم استوى إلى السماء" ، عمد لها . وقال : بل كلُّ تارك عملا كان فيه إلى آخر ، فهو مستويا
عمد له ، ومستويا إليه .

وقال بعضهم : الاستواء هو العلو ، والعلو هو الارتفاع . وعن قال ذلك الربيع بن أنس . ثم اختلف متأولوا
الاستواء بمعنى العلو والارتفاع ، في الذي استوى إلى السماء . فقال بعضهم : الذي استوى إلى السماء وعلا
عليها ، هو خالقها ومنشئها . وقال بعضهم : بل العالي عليها : الدُّخَانُ الذي جعله الله للأرض سماء (٥) .
قال أبو جعفر : الاستواء في كلام العرب منصرف على وجوه : منها انتهاء شباب الرجل وقوته ، فيقال ، إذا
صار كذلك : قد استوى الرَّجُلُ . ومنها استقامة ما كان فيه أَوْدٌ من الأمور والأسباب ، يقال منه : استوى
لفلان أمره . إذا استقام بعد أَوْدٍ .

وأولى المعاني بقول الله جل ثناؤه : "ثم استوى إلى السماء فسواهن" ، علا عليهن وارتفع ، فدبرهن بقدرته ،
وخلقهن سبع سموات .

والعجبُ عن أنكر المعنى المفهوم من كلام العرب في تأويل قول الله : "ثم استوى إلى السماء" ، الذي هو
بمعنى العلو والارتفاع ، هربا عند نفسه من أن يلزمه بزعمه - إذا تأوله بمعناه المفهوم كذلك - أن يكون إنما
علا وارتفع بعد أن كان تحتها - إلى أن تأوله بالمجهول من تأويله المستكر . ثم لم يُنتج مما هرب منه ! فيقال له :
زعمت أن تأويل قوله "استوى" أقبل ، أفكان مُذِيرًا عن السماء فأقبل إليها ؟ فإن زعم أن ذلك ليس بإقبال
فعل ، ولكنه إقبال تدبير ، قيل له : فكذلك فُكِّلَ : علا عليها علو مُلْكٍ وسُلْطَانٍ ، لا علو انتقال وزوال . ثم
لن يقول في شيء من ذلك قولاً إلا ألزم في الآخر مثله . ولولا أنا كرهنا إطالة الكتاب بها ليس من جنسه ،
لأنبأنا عن فساد قول كل قائل قال في ذلك قولاً لقول أهل الحق فيه مخالفاً . وفيها بينا منه ما يُشرف بذي الفهم
على ما فيه له الكفاية إن شاء الله تعالى . [جامع البيان : ٤٣٠ / ١] .

صورته يعني : جبريل فرآه النبي صلى الله عليه على ما هو عليه من استواء الصورة إلا كما ينزل بالوحي على صورة زجل .

الاستفهام^(١)

أصل الاستفهام الاستخبار بما جاء بمعنى التوقيف والإنكار فأما الإنكار^(٢) فقوله تعالى : ﴿ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ [سورة الكهف آية : ٧١] والدليل على أنه إنكار قوله تعالى : ﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴾ [سورة الكهف آية : ٧١] ، وهكذا قوله : ﴿ أَقْتَلْتَ نَفْسًا رَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ [سورة الكهف آية : ٧٤] ، ومثله كثير .

وأما التوقيف والتعريف فقوله تعالى : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ [سورة الشرح آية : ١] وتأويله أنا قد فعلنا ذلك ، ولولا ذلك لم يعطف على : ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾ ، قوله : ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴾ [سورة الشرح آية : ٢] ؛ لأن لم عامله لا يقع على الفعل الماضي .

ومن التقرير قوله عز وجل : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ [سورة النحل آية : ١٧] ، وأنزل تعالى قبل ذلك : ﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٨٧] ثم قال : ﴿ أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ ﴾ وجاء على وجه التوبيخ ، وذلك أنه لما كان البنون مرغوباً فيهم والبنات مكروهات ونسبوا إلى الخالق ما يكرهون ويجهلهم فقال : ﴿ أَمْ اتَّخَذَ عِمَّا

(١) قال الجرجاني : الاستفهام : استعمال ما في ضمير المخاطب ، وقيل : هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن ، فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين ، أو لا وقوعها ، فحصولها هو التصديق ، وإلا فهو التصور . [التعريفات : أسماء الأفعال] .

(٢) قال المناوي : التوقيف العلم هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع أو هو صفة توجب تمييز الالاحتمال النقيض أو هو حصول صورة الشيء في العقل والاول أخص وفي البصائر المعرفة ادراك الشيء بتفكير وتدبر لاثره وهي أخص من العلم والفرق بينها وبين العلم من وجوه لفظاً ومعنى أما اللفظ ففعل المعرفة يقع على مفعول واحد وفعل العلم يقتضي مفعولين وإذا وقع على مفعول كان بمعنى المعرفة وأما من جهة المعنى فمن وجوه أحدها ان المعرفة تتعلق بذات الشيء والعلم يتعلق بأحواله والثاني أن المعرفة في الغالب تكون لما غاب عن القلب بعد ادراكه فإذا أدركه قيل عرفه بخلاف العلم فالمعرفة نسبة الذكر النفسي وهو حضور ما كان غائباً عن الذاكر ولهذا كان ضدها الإنكار وضد العلم الجهل والثالث أن المعرفة علم لعين الشيء مفصلاً عما سواه بخلاف العلم فإنه قد يتعلق بالشيء مجملًا ولهم فروق أخر غير ما ذكرنا وقوله (وعلم هو في نفسه) هكذا في سائر النسخ وصريحه انه كسمع لانه لم يضبطه فهو كالاول وعليه مشى شيخنا في حاشيته فانه قال وانه يتعدى بنفسه في المعنيين الاولين والصواب انه من حد كرم كما هو في المحكم ونصه وعلم هو نفسه . انظر تاج العروس (ع ل م) .

١٢٠ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ألف

يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَيِّنِ ﴿[سورة الزخرف آية : ١٦] والدليل على أنه أراد التوبيخ قوله في مثل هذه القصة : ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة الصافات آية : ١٥٤ ، ١٥٥].

وقوله للمسيح : ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي﴾ [سورة المائدة آية : ١١٦] تقرير وتوبيخ لقومه ، وقوله تعالى : ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥٨] توقيف له وإخبار ببطلان دعوى هذا المحاج .

الباب الثاني

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله باء

البوء^(١)

باؤوا : أصل البواء الرجوع ، ومبوا الرجل : منزله الذي يرجع إليه إذا فرغ من أموره ، ثم كثر حتى سمي الإنزال التبوئة ، قال الله تعالى : ﴿ مَبُوءًا صِدْقٍ ﴾ [سورة يونس آية : ٩٣] ، وقال عمر بن معدى كرب :

كَمْ مِنْ أَخٍ لِي صَالٍ حِجْ بَوَّأَتْهُ بَيْدِي لَحْدَا

ثم كثر حتى سمي التسوية بين الشئتين : بواء ، يقال : هذا بواء لهذا إذا كان مثله ، وفلان بواء بفلان ، إذا قتل به فرضي .

وجاءت هذه الكلمة وما يتصرف منها في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : ﴿ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] أي : احتملوا وزرا على وزر . وقيل : استوجبوا غضب الله . والغضب من الله : العقاب ، وقال : ﴿ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٦٢]

الثاني : الرجوع ، قال الله تعالى : ﴿ أَنْ تَبُوءَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٩] أي : ترجع إلى الله بإثم قتلي ، وإثمك الذي من أجله لم يتقبل قربانك .

(١) (ب و ء) : بَاءَ يَبُوءُ رَجَعَ وَبَاءَ بِحَقِّهِ اعْتَرَفَ بِهِ وَبَاءَ بِذَنْبِهِ ثَقُلَ بِهِ وَالبَاءُ بِالْمَدِّ النِّكَاحُ وَالتَّرْوُجُ وَقَدْ تَطَلَّقَ الْبَاءُ عَلَى الْجَمَاعِ نَفْسِهِ وَيُقَالُ أَيْضًا الْبَاهَةُ وَرَأَى الْعَاهَةَ وَالْبَاهُ بِالْأَلْفِ مَعَ الْهَاءِ وَابْنُ قُتَيْبَةَ يَجْعَلُ هَذِهِ الْأَخِيرَةَ تَضْجِيفًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلْ حَكَاهَا الْأَزْهَرِيُّ عَنْ ابْنِ الْأَثَرِيِّ وَيَعْضُهُمْ يَقُولُ : الْهَاءُ مُبْدَلَةٌ مِنَ الْهَمْزَةِ يُقَالُ فَلَانٌ حَرِيصٌ عَلَى الْبَاءَةِ وَالْبَاءِ وَالْبَاهِ بِالْهَاءِ وَالْقَصْرِ أَيْ عَلَى النِّكَاحِ قَالَ يَغْنِي ابْنُ الْأَثَرِيِّ الْبَاهُ الْوَاحِدَةُ وَالْبَاءُ الْجَمْعُ ثُمَّ حَكَاهَا عَنْ ابْنِ الْأَعْرَابِيِّ أَيْضًا وَيُقَالُ إِنَّ الْبَاءَةَ هُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي تَبُوءُ إِلَيْهِ الْإِبِلُ ثُمَّ جُعِلَ عِبَارَةً عَنْ الْمَنْزِلِ ثُمَّ كُنِيَ بِهِ عَنْ الْجَمَاعِ إِمَّا لِأَنَّهُ لَا يَكُونُ إِلَّا فِي الْبَاءَةِ غَالِيًا أَوْ لِأَنَّ الرَّجُلَ يَتَبُوءُ مِنْ أَهْلِهِ أَيْ يَسْكُنُ كَمَا يَتَبُوءُ مِنْ دَارِهِ وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ﴿ مَنْ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ ﴾ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ وَالتَّقْدِيرُ مَنْ وَجَدَ مَوْنَ النِّكَاحِ فَلْيَتَرَوُجْ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَيْ مَنْ لَمْ يَحِذْ أَهْبَةً فَعَلَيْهِ الصُّومُ . [المصباح المنير : الباء مع الواو] .

ويجوز أن يكون المعنى في هذا ، وفي قوله : ﴿فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ﴾ [سورة البقرة آية : ٩٠] واحدا وسمي الحصول في القيامة جوعا إلى الله تعالى ، وحقيقة ذلك الرجوع في الخلقة ، لأنهم يخلقون في القيامة بعد الفناء .

الثالث : التبوء من النزول . قال تعالى : ﴿مُبَوَّأ صِدْقٍ﴾ [سورة يونس آية : ٩٣] ، وقال : ﴿يَتَّبِعُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾ [سورة يوسف آية : ٥٦] ، في "الحشر" : ﴿تَبَوَّءُوا الدَّارَ﴾ [سورة الحشر آية : ٩] ، قالوا : معناه أوطنوا ، وهذا قريب من الأول

البصر^(١)

أصله من الوضوح . ومنه : أبصرته لمحا باصرا ، أي : بصرا واضحا ، وقيل : نظرا صائبا بتحدق . ومن ثم سمي ضرب من الحجارة أبيض رخو بصرة ، لما في البياض من الوضوح . وبه سميت البصرة .

والبصرة : العلم " لأن الأشياء تتبين بها وتصح وجوها عند العالم . وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٢] أي : مشرقه واضحة . وقيل : معناه : مبصرا ، أي : مضيتا .

(١) [بصر] : البَصْرُ : العَيْنُ - مُدَكَّرٌ - . وَتَقَادُّ فِي الْقَلْبِ . وَالْبَصَارَةُ : مَصْدَرُ الْبَصِيرِ ، أَبْصَرَ يُبْصِرُ ، وَأَبْصَرْتُ الشَّيْءَ ، وَبَصُرْتُ بِهِ وَبَصُرْتُ . وَأَبْصَرَ الطَّرِيقَ وَالصُّبْحَ وَالنَّهَارَ : إِذَا أَبْصَرْتَهُ . وَتَبَصَّرْتَهُ : أَيِ رَمَقْتَهُ .

وَأَسْتَبَصَّرَ فِي أَمْرِهِ وَدِينِهِ : إِذَا كَانَ ذَا بَصِيرَةٍ وَتَحْقِيقٍ مِنْ أَمْرِهِ . وَاجْعَلْنِي بِصِيرَةً عَلَيْهِمْ : أَيِ شَهِيداً . وَرَأَى لِمَحَا بِاصِراً : أَيِ أَمْرًا مُفْزِعاً . وَإِذَا فَتَحَ الْجَزْءُ عَيْنَهُ قُلْتُ : بَصَرَ تَبْصِيراً . وَيُقَالُ لِلْفِرَاسَةِ الصَّادِقَةِ : ذَاتُ الْبَصَائِرِ وَذَاتُ الْبَصِيرَةِ . وَالْبُصْرُ : الْقَطَنُ . وَالْقَشْرُ أَيْضاً . وَالتَّبَصُّرُ : الْعَيْنُ تَنْفُسُهَا فِي قَوْلِ أَبِي زَيْدٍ :

كَالْجَمْرَتَيْنِ التَّبَصُّرُ

ويقولون : تَلَقَّيْتُهُ بَيْنَ سَمْعِ الْأَرْضِ وَبَصَرِهَا : أَيِ بَارِضٍ خَلَاءَ مَا بَهَا أَحَدٌ . وَيُسَمُّونَ اللَّحْمَ : الْبَاصُورَ ، أَيِ أَنَّهُ جَيِّدٌ لِلْبَصْرِ يَزِيدُ فِيهِ . وَالْمُبْصَرُ : الَّذِي يُوشِي بِحِفْظِ الشَّارِ . وَالْبَصِيرَةُ : الدَّرْعُ . وَبَصَائِرُ الدِّمِّ : طَرَائِقُهَا عَلَى الْجَسَدِ . وَالْبَصِيرَةُ : مَا بَيْنَ شَقِي الْبَابِ ، وَجَمْعُهَا بَصَائِرُ . وَهِيَ الْعِبْرَةُ - أَيْضاً - فِي قَوْلِهِ :

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ *** مَنْ مِنَ الْقُرُونِ لَنَا بَصَائِرُ

وهي الفِرَاسَةُ أَيْضاً .

وَالْبُصْرُ : غِلَظُ الشَّيْءِ ؛ كَبُصْرِ الْجَبَلِ وَالسَّمَاءِ . وَهُوَ جِلْدٌ كُلُّ شَيْءٍ ، وَجَمْعُهُ أَبْصَارٌ . وَيُقَالُ : إِنَّهُ لَغَلِيظُ الْبُصْرِ : أَيِ جِلْدِ الْوَجْهِ . وَهُوَ مَفْعُوزُ الْبُصْرِ وَالْبُصْرِ .

وَالْبُصْرُ : أَنْ يَضْمَ أَدِيمٌ إِلَى أُدِيمَيْنِ يُخَاطَانِ ، يُقَالُ : بَصُرْتُ الْأُدِيمَيْنِ أَبْصُرُهُمَا .

وَبَصَرَهُ بِالسَّيْفِ : قَطَعَهُ .

وَالْبَصْرَةُ : أَرْضٌ حِجَارَتُهَا جَصٌ ، وَهِيَ الْبَصْرَةُ وَالْبَصْرَةُ أَيْضاً ، وَجَمْعُهَا بَصَارٌ . فَإِذَا حَذَفْتَ الْمَاءَ قُلْتُ : بَصُرَ - بِالْكَسْرِ - ؛ وَبُصِرَ : لُغَةٌ فِيهِ . وَأَرْضُ بَنِي فُلَانٍ بَصْرَةٌ : إِذَا كَانَتْ طَيِّبَةً خَرَاءَ . وَالْمَبْصَرَاتُ : الْأَرْضُونَ ذَاتُ الْبَصْرَةِ . وَأَرْضُ بَصْرَةٍ : فِيهَا حِجَارَةٌ يَبْصُرُ . وَبَصُرْتُ وَأَبْصَرْتُ : أَتَيْتُ الْبَصْرَةَ . وَالْبَصْرَتَانِ : الْكُوفَةُ وَالْبَصْرَةُ . وَالْبَاصُورُ : رَحْلٌ دُونَ الْقِطْعِ ؛ وَهِيَ عَيْنَانِ تُقَابِلُ شَبِيهَةً بِأَقْتَابِ الْبُخْتِ .

وَالْبَاصِرُ : قَتَبٌ صَغِيرٌ ، وَيُجْمَعُ بَوَاصِرَ . [المحيط في اللغة : بصر] .

وقيل إذا صار الناس يبصرون فيه ، فهو مبصر ، كقولك : رجل مخبث ، إذا كان أهله خبيثاء ، ورجل مضعف : دوابه ضعاف ، والنهار مبصر : أهله بصراء . ومبصر فيه أجود . وهو كقولهم : أحمق الرجل ، إذا جاء بأولاد حمقى ، وأصرم النخل ، إذا أذن بالصرام وألبن الرجل صار ذا لبن .

ويجوز أن يكون أصل الكلمة من الصلابة وبصر الشيء : حيث يغلظ ، تقول : هذا بصر الجبل والحائط ، وبصر السماء ؛ لأنه أقرب ما يبصر منها وهو أغلظها في رأى العين . وبصائر الدم : طرائقه على الجسد .

والبصر في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : البصر بالقلب ، قال الله : ﴿ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ [سورة يونس آية : ٤٣] يعني : عمى القلب وبصر القلب .

ونحوه قوله : ﴿ وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ ﴾ [سورة غافر آية : ٥٨] ، يعني : المؤمن الذي يعلم والكافر الذي لا يعلم ، ويجوز أن يكون بصر العين وعمها ، ويكون المراد التنبيه على المنفعة بالإيمان ، لأنه مشبه بالبصر ، والمضرة بالكفر ، لأنه مشبه بالعمى .

الثاني : بصر العين ، قال : ﴿ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ [سورة الإنسان آية : ٢] . وقال : ﴿ فَالْقُوَّةَ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا ﴾ [سورة يوسف آية : ٩٠] .

الثالث : البصر بالحجة ، وهو راجع إلى الوجه الأول ، قال تعالى : ﴿ لَمْ حَسْرَتْنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴾ [سورة طه آية : ١٢٥] . جاء في التفسير أنه أراد : لم جعلتني أعمى عن الحجة ، وكنت في الدنيا بصيرا بها ، ويجوز أن يكون من بصر العين ، وأن الله يحشره أعمى العين ليجعل له نكالا لمن خلفه .

الباء

هي للإصاق الشيء بالشيء وخلطه به ، فإذا قلت : مررت بزيد ، فقد أضفت المرور إلى زيد ، وألصقته به . وجائز أن يكون معه استعانة كقوله : كتب بالقلم .

وتزاد في خبر المنفي توكيدا وتثيتا ، كقولك : ليس زيد بقائم . وجاءت زيادة في قولك : حسبك بزيد . هذا قول الفراء ومن يقول بقوله .

وعندنا أنها دخلت على معنى قولك : اكتف بزيد ، لأن معنى قولك : حسبك هذا ، أي : اكتف به ، وأحسبني الشيء : كفاني . وستكلم في ذلك .

قالوا : وهو في القرآن على الوجهين :

الإلصاق ، والزيادة في قول الفراء .

وعلى تقدير الإلصاق كقوله تعالى : ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴾ [سورة الفلق آية : ١] ، كأنك ألصقت الاستعانة به ، وقوله : ﴿ وَيَا آخِرَةَ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤] ، كأن إيقافهم التصق بالآخرة . ومثله كثير .

وأما الزيادة على قول من يقول بذلك ، فقوله : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ [سورة النساء آية : ٧٩] ، وقوله تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ ﴾ [سورة الحج آية : ٢٥] ، قال : المعنى : ومن يريد فيه إلحادا ، وقوله : ﴿ تَنَبَّأَ بِالذَّهْنِ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٢٠] معناه : تنبأ بالذهن .

والصحيح أن ذلك لمعان ، وليس بزيادة . فأما قوله : ﴿ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ فمعناه : اكتف بالله شهيدا ، وكذلك : حسبك بزيد ، أي : اكتف بزيد ؛ لأن حسبك بمعنى يكفيك فالباء تدخل في هذا على التقدير . وقوله : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ ﴾ فإنما تحمل هذا على مصدره ، والمراد : من كانت إرادته واقعة بالإلحاد ، فدخلت الباء للمصدر . وكذلك : ﴿ تَنَبَّأَ بِالذَّهْنِ ﴾ معناه : تنبأ نبتهها بالذهن ، وقوله : ﴿ وَأَمِرْتُ لَأَنْ أَكُونَ ﴾ [سورة الزمر آية : ١٢] أي : وقع الأمر لأن أكون .

وقال سيويه : بحسبك زيد . ومعنا - على ما ذكرنا - أي : اكتف بزید ، ويجوز أن يكون
معنى قوله تعالى : ﴿ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ﴾ : إنما تنبت ما يكون منه الدهن ، وهو ثمرها ،
والتقدير : تنبت ثمرها بالدهن ، أي : ومعه الدهن .

ومعنى الباء هناك كمعناه في قولك : أذهبته ، إذا حملته على أن يذهب به . ويجوز أن
يجعل أنبت هاهنا بمعنى نبت على ما يقوله أهل اللغة ، كما قال زهير :

حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ الْبَقْلُ

و أنبت ونبت عندنا لغتان فصيحتان .

البأس^(١)

أصله : الشدة . وفي القرآن : عذابا بئيسا ، أي : شديدا .

وأكثر ما جاء عن العرب : البأس في الحرب ، والبؤس : الشدة في المعيشة . وكذلك البأساء .

وفي القرآن : ﴿ مَسْتُهُمُ الْبَاسَاءُ وَالضَّرَاءُ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢١٤] ذكرهما للتوكيد ، وهما واحد ، كما قال : العدل والإحسان . هذا قول .

وأجود منه أن يقال : البأساء : الشدة في الحرب ، والضراء : الشدة في المعيشة ، والعدل : الإنصاف في الحكم والإحسان في ذلك ، وفي غيره من الأفعال الحسنة .

وقوله تعالى : ﴿ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [سورة هود آية : ٣٦] ، وسورة يوسف آية : ٦٩] أي : لا تغتم . والابتئاس : حزن في استكانة .

والبأس في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : العذاب ، قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بُاسَنَا ﴾ [سورة المؤمن آية : ٨٤] أي : عذابنا ، وقال : ﴿ فَلَمَّا أَحْسَوْا بُاسَنَا ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٢] وقال : ﴿ فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ ﴾ [سورة غافر آية : ٢٩]

الثاني : الحرب ، قال الله في البقرة : ﴿ وَحِينَ الْبَأْسِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٧] يعني : الحرب .

(١) [بأس] : البأس : الحَرْبُ ، رَجُلٌ بَيْئَسٌ ؛ قد بَوَّسَ بَاسَةً : وهو الشُّجَاعُ . والبَاسَاءُ : اسمٌ للحَرْبِ ، والمَشَقَّةُ ، والفَقْرُ . [المحيط في اللغة : بأس] .

الفرق بين البأس والخوف : أن البأس يجري على العدة من السلاح وغيرها ونحوه قوله تعالى " وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد " ويستعمل في موضع الخوف مجازا فيقال لا بأس عليك ولا بأس في هذا الفعل أي لا كراهة فيه [الفروق اللغوية : ٨٩/١] .

الثالث : السطوة والنكاية ، قال تعالى : ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة النساء آية : ٨٤] . وقوله : ﴿نَحْنُ أَوْلُو قُوَّةٍ وَأُولُو بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [سورة النمل آية : ٣٣] أي : أولو سطوة ونكاية في العدو .

البطلان^(١)

أصله من الذهاب . وسمي الباطل باطلا ؛ لأنه لا ثبات له مع الحق ، على حسب قوله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٨١] . ورجل بطل : شجاع ، لأنه إذا قاوم قرنا لم يقم له القرن . والبطل والباطل سواء . وهذا الحرف وما يتشعب منه في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الكذب ، قال : ﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ ﴾ [سورة فصلت آية : ٤٢] يعني : الكذب ، إذا لم يكن قبله كتاب يشهد بتكذيبه ، ولا يجيء بعده كتاب يكذبه . ويجوز أن يكون معناه : إن الله يحفظه من أن ينقض ، فيأتيه الباطل من بين يديه ، أو يزداد فيه فيأتيه الباطل من خلفه . وعلى هذا تأويل قوله تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٩] .

الثاني : الإحباط ، قال : ﴿ لَا تُبْطِلُوا صِدْقَاتِكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٤] [أي : لا تحبطوها] بالمن والأذى وقال : ﴿ لَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ٣٣]

والثالث : خلاف الحق ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٨١] وقيل : يعني : به هاهنا الشرك . فإذا جعلته خلاف الحق كان أعم . والمراد على القول الأول أن الإسلام قد جاء فهلك الكفر وذهب . والزهوق والزهق : الهلاك ، : ﴿ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٨١] أي : من شأن الباطل إذا جاء الحق أن يذهب ويبطل ولا يثبت ، وذلك من شأنه في ما تقدم ، فكان هنا يفيد ما قلناه .

(١) [بطل] : بَطَلَ الشيءَ يُبْطِلُ بَطْلًا ، أي : ذهب باطلاً .

والباطل : نقيض الحق ، قال التابغة :

لعمري ، وما عَمَّرِي عَلَى بَيِّنٍ . . . لَقَدْ نَطَقْتُ بَطْلًا عَلَى الْأَقَارِعِ

وَأَبْطَلْتُهُ : جعلته باطلاً . وَأَبْطَلْتُ : جئت بكذبٍ ، وادَّعَيْتُ غَيْرَ الْحَقِّ .

وَالْبَطْلُ : فِعْلُ الْبَطَالَةِ ، وَهُوَ اتِّبَاعُ اللَّهْزِ وَالْجَهَالَةِ . [العين : بطل] .

الرابع : ما يعبد من دون الله ، قال تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٥٢] . وقال : ﴿ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة النحل آية : ٧٢] وسماه باطلا ، لأنه لا حجة لأهله يشبّون عبادتهم إياه بها .

والخامس : الظلم ، قال : ﴿ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْخُلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٨] أي : بالظلم . وبطلان الشيء : ذهابه ، فسمي الظلم باطلا ، لأن الله حكم فيه بأن يبطل ولا يثبت .

والمعنى على ما قال الحسن : هو أن يكون للرجل على صاحبه حق فإذا طالبه دعاه إلى الحاكم ، فيحلف له ، ويبطل حقه ، والحاكم يحكم على الظاهر . وأصل الإدلاء : إلقاء الدلو في البئر . ويقال : أدليت الدلو ، إذ أنزلتها في البئر ، وفي القرآن : ﴿ فَأَذَلَّتْ دَلْوَهُ ﴾ [سورة يوسف آية : ١٩] ثم صار كل إلقاء إدلاء ، يقال : أدلى فلان حجته ، إذا أرسلها على صحة ، ودلوت الدلو ، إذا أخرجتها من البئر ، ومنه دلى فلان إلى فلان ، إذا توسل به ، قال الشاعر :

فَقَدْ جَعَلَتْ إِذَا مَا حَاجَبَهُ عَرَضَتْ بِيَابِ دَارِكَ أَذْلُوهَا بِأَقْسَامِ

البر^(١)

أصله : السعة . ومنه : البر ، خلاف البحر . ثم استعمل في الزيادة ، فقيل : أبر فلان على فلان ، إذا زاد عليه . والجواد المبر : السابق لكل ما سبقه ، كأنه اتسع لما يتسع له غيره .

وقيل : رجل بار وبر . وفعل بمعنى فاعل معروف . مثل رجل سمح ، ويوم قر . ونحوه : رجل ندب ، أي : متدب للأمر . ثم استعمل في القبول ، فقيل : بر حجتك ، أي : قبل ، وصدقت وبررت تأكيد للصدق .

وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الصلة ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُوا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٤] يعني أن تصلوا القرابة . وقيل : معنى : ﴿ أَنْ تَبَرُوا ﴾ أن لا تبروا . وقيل : لا يجوز أن يكون حذف لا وإثباتها سواء في شيء في الكلام .

وإنما المعنى أنه نهاهم عن كثرة الإيثار ، وعن الجراءة على الله ، ليكونوا بررة أتقياء ، والمعنى : لأن تبروا . وكانوا ربما حلفوا ألا يبروا أقرباءهم ، ولا يتكلموا في صلح لأمر معرض لهم . فالذي تشتمل عليه الآية أمران :

أحدهما : النهي عن أن يجعل يمينه مانعة من البر والتقوى والإصلاح بين الناس ، فإذا طلب منه ذلك قال : قد حلفت ، والذي ينبغي في هذا أن يفعل ما حلف عليه ، ويكفر عن يمينه .

(١) [بر] : البرُّ : خِلافُ الْبَحْرِ . وإِنَّهُ لَمُبَجَّرٌ مُبَرٌّ . وَأَبَرَّ وَأَبَحَرَ : رَكِبَ الْبَرَّ وَالْبَحَرَ . وَالْبَرَّةُ : الصَّخْرَاءُ . وَخَرَجْتُ بَرًّا : وهو ضدُّ الْكِنِّ .

وَيَقُولُونَ : " مَنْ أَصْلَحَ جَوَانِيهِ أَصْلَحَ اللَّهُ بَرَانِيهِ " أي مَنْ أَصْلَحَ سِرِّيَّتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ .

وَالْبَرُّ : الْبَارُ بِذَوِي قَرَابَتِهِ ، وَقَوْمٌ بَرَّةٌ وَأَبْرَارٌ ، وَالْمُضَدُّ : الْبِرُّ .

وَصَدَقَتْ وَبَرَزَتْ ، وَبَرَّتْ يَمِينُهُ ، وَأَبَرَّهَا اللَّهُ : أي أَمَضَّهَا عَلَى الصَّدَقِ . وَبَرَّ حَجَّتْ فَهُوَ مَبْرُورٌ . وهو يَبَرُّ رَبَّهُ : أي يُطِيعُهُ .

وَالْبَرُّ : الْحَقُّ ؛ فِي قَوْلِهِ : عَلَيْهِنَّ شُعْتُ عَامِدُونَ لِرَبِّهِمْ

وَبَرَّةٌ : اسْمٌ لِلْبَرِّ مَعْرِفَةٌ . [المحيط في اللغة : ٤٢٨ / ٢] .

و ثانيهما : كثرة الأيمان ، وهو ضرب من الجرأة على الله ، وابتذال لاسمه في كل حق وباطل ، وتقول : هذا الشيء عرضتي ، إذا كنت لا تزال معرض له ، وهو عرضة للناس ، إذا كانوا لا يزانون يقعون فيه ، والناقة عرضة أسفار ؛ إذا كان صاحبها لا يزال يسافر عليها ، وقال حسان :

هُمْ الْأَنْظَارُ عُرْضَتُهَا اللَّفَاءُ

وقال الله في الممتحنة : ﴿ أَنْ تَبَرُّوهُمْ ﴾ [سورة الممتحنة آية : ٨] .

الثاني : بمعنى الطاعة ؛ قال الله : ﴿ وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [سورة المائدة آية : ٢] ، أي : على طاعة الله ، ومثله : ﴿ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [سورة المجادلة آية : ٩] ، أي : بالطاعة دون المعصية ، وقال : ﴿ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ ﴾ [سورة مريم آية : ٣٢] ، أي : مطيعا لها ، وقال : ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾ [سورة عبس آية : ١٦] ، أي : مطيعون ، وقال : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ ﴾ [سورة المطففين آية : ١٨] ، أي : المطيعين ، كذا جاء في التفسير ، وهو وجه ، ولو جعلت ذلك بمعنى الصلة واللفظ .

الثالث : بمعنى الثواب ، قال الله : ﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٩٢] ، يعني : الثواب .

الرابع : التقوى ، قال : ﴿ لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٧] ، يعني : التقوى ، وأراد توكيد ما احتج به على سفهاء أهل الكتاب في إنكارهم على المسلمين توجههم إلى الكعبة بعد توجههم إلى بيت المقدس ، فقال : ليس البر كله في التوجه إلى المشرق والمغرب في الصلاة : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٧] ، أي : البربر من آمن بالله ، وهو التقوى ، هكذا جاء في التفسير .

وليس ببعيد أن يكون البر هاهنا بمعنى الطاعة ، ويسمى الطاعة برا في قولهم : هذا من أعمال البر ، أي : مما يطاع الله به ، وحذف لبر الثاني لبيان المعنى ، كما قال الشاعر :

كَيْفَ تُحَالِلُ مَنْ أَصْبَحَتْ خِلَالَتُهُ كَأَبِي مَرْجَبٍ

أي كخلال أبي مرجب .

وهكذا في قوله : ﴿ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ اتَّقَى ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، أي : ولكن البر بر من اتقى .

وأول الآية : ﴿ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، وهو مثل ضربه الله للمشركين في تأخيرهم أشهر الحرم فأخبر الله أن ذلك عكس البر ، كما أن من أتى البيت من ظهوره ؛ فقد عكس أمر الدخول .

وقيل : إن قوما من قريش وثقيف وخزاعة وطائفة من عامر بن صعصعة ؛ كانوا إذا حرموا لا يأقطنون الأقط ، ولا يأكلون السمن ، ولا يدخلون البيوت من أبوابها ؛ ولكن من ظهورها وأدبارها ، وظهورها : سطوحها ، فسموا حماه ، والأحمى : المتشدد في دينه ، فأخبر الله أن ذلك ليس من البر ، وأن البر بر من اتقى معاصي الله .

البرهان^(١)

قال علي بن عيسى رحمه الله - : البرهانان : شاهد صدق في نفسه وشهادته .

والبرهان : حق في نفسه وشهادته .

والبرهان : بيان صدق يظهر به صحة أمر .

والبرهان : ما ثبت المعنى في النفس على ثقة به ، وذلك بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما فصل الحق من الباطل ، وميز الصحيح من الفاسد بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما أوجب الثقة وأزال التهمة بالبيان الذي فيه .

والبرهان : ما أوصل النفس إلى إدراك الحق بالبيان الذي فيه ؛ فكأن البرهان آلة بها يتم إدراك النفس للحق .

وقيل : جاء البرهان بمعنى الدليل والدلالة .

والفرق بين الدلالة والبرهان أن الدلالة : ما أحضر المعنى النفس ، والبرهان : ما ثبت المعنى في النفس بالبيان الذي فيه ؛ فكأن الدلالة آلة الإحضار ، والبرهان آلة لتثبيت المعنى في النفس

(١) قال الجرجاني : البرهان : هو القياس المؤلف من اليقينيات ، سواء كانت ابتداءً ، وهي الضروريات أو بواسطة ، وهي النظريات . والحد الأوسط فيه لا بد أن يكون علةً لنسبة الأكبر إلى الأصغر ، فإن كان مع ذلك علةً لوجود تلك النسبة في الخارج أيضاً ، فهو برهان لمي ، كقولنا : هذا متعفن الأخلاط ، وكل متعفن الأخلاط محموم ، فهذا محموم ، فتعفن الأخلاط ، كما أنه علة لثبوت الحمى في الذهن ، كذلك علة لثبوت الحمى في الخارج ، وإن لم يكن كذلك كان لا يكون علة للنسبة إلا في الذهن ، فهو برهان إنمي ، كقولنا : هذا محموم ، متعفن الأخلاط ، فهذا متعفن الأخلاط ، فالحمى ، وإن كانت علةً لثبوت تعفن الأخلاط في الذهن ، إلا أنها ليست علة له في الخارج ، بل الأمر بالعكس .

وقد يقال على الاستدلال من العلة إلى المعلول : برهان لمي ، ومن المعلول إلى العلة : برهان إنمي .
البرهان التطبيقي : هو أن تفرض من المعلول الأخير إلى غير النهاية جملةً ، ومما قبله ، بواحد مثلاً ، إلى غير النهاية ، جملة أخرى ، ثم تطبق الجملتين ، بأن تجعل الأولى من الجملة الأولى بإزاء الأول من الجملة الثانية ، والثاني بالثاني ، وهلم جراً ، فإن كان بإزاء كل واحد من الأولى واحد من الثانية ، كان الناقص كالزائد ، وهو محال ، وإن لم يكن فقد يوجد في الأولى ما لا يوجد في إزائه شيء في الثانية ، فتقطع الثانية وتنتهي ، ويلزم منه تنهاى الأولى ، لأنها لا تزيد على الثانية بقدر متناهٍ ، والزائد على المتناهي بقدر متناهٍ يكون متناهياً بالضرورة . . [التعريفات : البرهان] .

على جهة الثقة به ، وكل برهان ففيه معنى الدلالة ، وليس كل دلالة فيها معنى البرهان ، ألا ترى أن الاسم دلالة على معناه ؛ وليس ببرهان على معناه ، وكذلك هداية الطريق دلالة عليه وليس ببرهان عليه ، وسمعت من يقول إنه فارس معرب ، ولا أعرف ما صحة ذلك .

ويجوز أن يكون أصله من البرهة ، وهي القطعة من الدهر ، كأن البرهان قطعة من القول ، أو هو قطع بين الحق والباطل وفصل ، كما أن البرهة فصل بين الزمانين ، والنون فيه زائدة ، كما زيدت في "السلطان" ؛ وهو من السليط .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : الحجة ، قال الله تعالى : ﴿ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١١١] ، أي : حجتكم بأن معه آلهة ، وفي النمل : ﴿ أَلَيْسَ لَنَا بِمَلَكٍ مَعَهُ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة النمل آية : ٦٤] .

الثاني : الآية ، قال الله تعالى : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ مِنْ رَبِّكَ ﴾ [سورة القصص آية : ٣٢] ، أي : آيتان ، وقال : ﴿ لَوْ لَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٤] ، يعني آية من آيات ربه .

البعل^(١)

أصله من القيام بالأمر ، ومن ثم قيل للنخلة التي تستغني بماء السماء عن سقي العيون : بعل . وقد استبعل النخل : صار بعلا .

وهو في القرآن على وجهين :

أحدهما : الزوج^(٢) ، قال : ﴿ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا ﴾ [سورة هود آية : ٧٢] ، والزوجة : بعله ، ولا يقال : هو بعلاها حتى يدخل بها ، وهو زوجها على كل حال . وكذلك القول

(١) [بعل] : البَعْلُ : الزَوْجُ . يقال : بَعْلٌ يَبْعُلُ بَعْلًا وَبُعُولَةٌ فَهُوَ بَعْلٌ مُسْتَبْعِلٌ ، وامرأة مُسْتَبْعِلَةٌ ، إذا كانت تحظى عند زوجها ، والرجل يتعرّس لامرأته يطلب الخطوة عندها . والمرأة تبعل لزوجها إذا كانت مطيعة له .

والبَعْلُ : أرض مرتفعة لا يُصيّبها مطر إلا مرة في السنة . قال سلامة بن جندل :

إذا ما علّونا ظهر بعل عريضة *** نخال علينا قيص بيض مفلّح

ويقال : البَعْلُ من الأرض التي لا يبلّغها الماء إن سقى إليها لارتفاعها .

ورجل بعل ، وقد بعل بعل بعلًا إذا كان يصير عند الحرب كالمجهوث من الفرق والدّهش . قال أعشى همدان :

فجاءه في فرسانه ورجاله *** وناهض لم يبعل ولم يتهب

وامرأة بعلّة : لا تحسن لبس الثياب .

والبَعْلُ من النخل : ما شرب بعروقه من غير سقي ساء ولا غيرها . قال عبد الله بن زواحة :

هنالك لا أبالي سقي نخل *** ولا بعل وإن عظم الإناء

الإناء : الثمرة . والبَعْلُ : الذكر من النخل ، والناس يستمنونه : الفحل . قال النابغة :

من الواردات الماء بالقاع تستقي *** بأذناها قبل استقاء الحناجر

أراد بأذناها : العروق .

والبَعْلُ : صنم كان لقوم إلياس . قال الله عز وجل : أتدعون بعلًا .

والتباعل والتباعلة والبعل : ملاعبة الرجل أهله ، تقول : باعلاها مباعلة ، وفي الحديث : أيام شرب وبعال . [العين : بعل] .

(٢) الفرق بين البعل والزواج : أن الرجل لا يكون بعلا للمرأة حتى يدخل بها وذلك أن البعل النكاح والملاعبة ومنه قوله عليه السلام " أيام أكل وشرب وبعال " وقال الشاعر :

وكم من حصان ذات بعل تركتها *** إذا الليل أذجى لم تجد من تباعله

وأصل الكلمة القيام بالامر ومنه يقال للنخل إذا شرب بعروقه ولم يحتج إلى سقي بعل كأنه يقوم بمصالح نفسه . [الفروق اللغوية : ١/ ١٠٤] .

فيها ، والشاهد قولهم : باعلها ، أي : جامعها ، وفي الحديث : "أيام أكل وشرب وبعال" (١) ،
أي : جامع .

والآخر : بمعنى الرب ، قال : ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا ﴾ [سورة الصافات آية : ١٢٥] ، أي :
ربا غير الله .

(١) أخرجه مسلم من حديث نيشة بن عبد الله وكعب بن مالك (١١٤٤) ، من غير كلمة " بعال " ،
وأخرجه الترمذي من حديث عقبة بن عامر (٧٧٣) ، وأخرجه أبو داود من حديث عقبة (٢٤١٩) ،
وأخرجه الدارقطني بلفظه في السنن من حديث عبد الله بن حذافة (٢٣٨٢) ، وإسحاق بن راهويه في مسنده
من حديث أم عمرو بن سليم (٢٤٢٠) .

بل

أصلها في العربية : الإضراب عن الأول ، وإثبات الثاني ، تقول : لقيت زيدا بلى عمرا . فتركت الأول ، وأخذت تذكر شيئا آخر ، غلطت في الأول ، أو بدا لك فيه ، فتدركت كلامك بـ "بل" فجعلت الأمر للثاني ، وأخرجت الأول مما دخل فيه الثاني .

ثم جاء في القرآن لغير الغلط والاستدراك والبداء ، ولكن لترك قصة إلى أخرى ، كأنه قال : دع هذا مع تمام فائدته إلى فائدة أخرى ، ومثل هذا يكون منا أيضا ، يقول أحدنا : جاءني الحاجب بل الأمير ، أي : دع محيي الحاجب مع أفدتك به ، فالأمير هذا أمره .

وينقسم في القرآن على وجهين :

أحدهما : قوله تعالى : ﴿ بَلْ قَالُوا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٥] ، كأنه قال : دع ما تقدم ذكره من أمرهم ، وخذ في أنهم قالوا : إن القرآن أضغاث أحلام ، وأضغاث الأحلام : مختلطاتها التي لا تأويل لها ، ثم حكى عنهم فقال تعالى : ﴿ بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٥] ، والمراد أنه اختلط عليهم أمرهم ، فكذبوا أنفسهم ، وخرجوا من شيء إلى شيء ، وهذا على سبيل الإضراب عن الأول وإثبات الثاني .

ومثل الوجه الأول قوله : ﴿ بَلْ إِدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ ﴾^(١) [سورة النمل آية : ٦٦] ، فـ : ﴿ إِدْرَاكَ ﴾ لفظ ماض ومعناه الاستقبال ، أي : بل يتكامل علمهم في الآخرة إذا حصلوا فيها ، ويوقنون أن ما وعدوا منها في الدنيا حق .

(١) قال الطبري : قوله : ﴿ بَلْ إِدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء أهل المدينة سوى أبي جعفر وعامة قراء أهل الكوفة : ﴿ بَلْ إِدْرَاكَ ﴾ بكسر اللام من "بل" وتشديد الدال من "ادراك" ، بمعنى : بل تدارك علمهم أي تتابع علمهم بالآخرة هل هي كائنة أم لا ثم أدغمت التاء في الدال كما قيل : (أَتَأَقْلَمُ إِلَى الْأَرْضِ) .

وقرأته عامة قراء أهل مكة : ﴿ بَلْ أَدْرَكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾ بسكون الدال وفتح الألف ، بمعنى هل أدرك علمهم علم الآخرة . وكان أبو عمرو بن العلاء يُنكر فيما ذكر عنه قراءة من قرأ : ﴿ بَلْ أَدْرَكَ ﴾ ويقول : إن "بل" إيجاب والاستفهام في هذا الموضع إنكار . ومعنى الكلام : إذا قرئ كذلك "بَلْ أَدْرَكَ" لم يكن ذلك لم يدرك علمهم في الآخرة ، وبلاستفهام قرأ ذلك ابن محيصن على الوجه الذي ذكرت أن أبا عمرو أنكره . وبنحو الذي ذكرت عن المكين أنهم قرءوه ، ذكر عن مجاهد أنه قرأه ، غير أنه كان يقرأ في موضع بل : أم .

وأصل : ﴿ادَارَكَ﴾ : تدارك كأنه قال : قد يدرك بعض علمهم بعضا في الآخرة حتى يتكامل ، ثم قال : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، وهذا إخبار عن الدنيا ، كأنه قال : دع ما تقدم ذكره من تكامل علمهم في الآخرة بأن ما وعدوا منها حق مع ما أفدتك بذلك ، وخذ في أنهم في الدنيا شاكون في البعث ، ثم قال : ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] أي : دع ما تقدم من ذكر شكهم ، وخذ في أنهم عمون عنه ، أي : جاهلون ، والشاك في الشيء بمنزلة الجاهل به ، وقوله : ﴿بَلْ هُمْ مِنْهَا عَمُونَ﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، تأكيد لقوله : ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا﴾ [سورة النمل آية : ٦٦] ، وهذا كقولك : فلان جاهل بكذا ، بل هو أعمى عنه ، تريد تأكيد ما وصفته به من الجهل .

وأما "بلى" فليس من "بل" في شيء ، و"بلى" لا يكون إلا جوابا لما كان فيه حرف جحد ، كقوله تعالى : ﴿الَّذِينَ يَبْرِكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧٢] ، وقوله : ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٣٠] ، الزمر : ٧١] ، ثم قال في الجواب : ﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٧٢] ، وهو مخالف لنعم لأن نعم لا يكون إلا جوابا للاستفهام بلا جحد ؛ كقوله تعالى : ﴿فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ﴾ [سورة الأعراف آية : ٤٤] ، وكذلك جواب الخبر ، إذا قال : فعلت ذلك ، قلت : نعم لعمري قد فعلته .

وقال أبو جعفر : وأولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب على قراءة من قرأ "بَلْ أَدْرَكَ" القول الذي ذكرناه عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، وهو أن معناه : إذا قرئ كذلك (وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ) بل أدرك علمهم نفس وقت ذلك في الآخرة حين يبعثون ، فلا ينفعهم علمهم به حيثئذ ، فأما في الدنيا فإنهم منها في شك ، بل هم منها عمون .

وإنما قلت : هذا القول أولى الأقوال في تأويل ذلك بالصواب ، على القراءة التي ذكرت ؛ لأن ذلك أظهر معانيه . وإذا كان ذلك معناه ، كان في الكلام محذوف قد استغني بدلالة ما ظهر منه عنه ، وذلك أن معنى الكلام : وما يشعرون أيان يُبعثون ، بل يشعرون ذلك في الآخرة ، فالكلام إذا كان ذلك معناه ، وما يشعرون أيان يبعثون ، بل أدرك علمهم بذلك في الآخرة ، بل هم في الدنيا في شك منها . وأما على قراءة من قرأه (بَلْ أَدَارَكَ) بكسر اللام وتشديد الدال ، فالقول الذي ذكرناه عن مجاهد ، وهو أن يكون معنى بل : أم ، والعرب تضع أم موضع بل ، وموضع بل : أم ، إذا كان في أول الكلام استفهام . [جامع البيان : ٤٨٨/١٩ - ٤٨٩] .

١٤٠ _____ في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله باء

وقال القراء : وإنما امتنعوا أن يقولوا في جواب الجحود نعم لأنه إذا قال الرجل لصاحبه : أمالك علي شيء ؛ فلو قال الآخر : نعم ، كان كأنه صدقه ، كأنه قال : نعم ليس لي عليك شيء ، فإذا قال : بلى ؛ فإنها هو رد لكلام صاحبه ، أي : بلى لي عليك شيء . فلذلك اختلف نعم وبلى .

الباب الثالث

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله تاء

التأويل^(١)

أصل التأويل من الأول ، وهو : الرجوع ، يقال : آل الشيء ؛ إذا رجع ، وأول الكلام تأويلاً ، إذا رده إلى الوجه الذي يعرف منه معناه ، وقوله : ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، أي : يأتي ما يؤول إليه أمرهم في البعث ، وقوله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، أي : ما يرجع إليه معناه ، وقيل : ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، أي : بالبعث ، وليس بالوجه ؛ لأنه ليس للبعث هاهنا ذكر .

والتأويل في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ [سورة آل عمران آية : ٧] ، قال أبو علي رضي الله عنه يعني تفسير المتشابه به كله على حقائقه ، وذلك أن في القرآن أموراً مجملة ، مثل أمر الساعة وأمر صغائر الذنوب التي شرط غفرانها باجتناب الكبائر ، واستدل على هذا بقوله تعالى : ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، فجعل الموعود الذي وعدهم إياه في القرآن تأويلاً للقرآن .

(١) قال الجرجاني : التأويل في الأصل : الترجيع . وفي الشرع : صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى مجتمعه ، إذا كان المحتمل الذي يراه موافقاً للكتاب والسنة ، مثل قوله تعالى : " يخرج الحي من الميت " إن أراد به إخراج الطير من البيضة كان تفسيراً ، وإن أراد به إخراج المؤمن من الكافر ، أو العالم من الجاهل ، كان تأويلاً .

وقال أيضاً في موضع آخر : والفرق بين التأويل والبيان ، أن التأويل ما يذكر في كلام لا يفهم منه معنى محصل في أول وهلة ، والبيان ما يذكر فيها يفهم ذلك لنوع خفاء بالنسبة إلى البعض . [التعريفات : التأويل ، وبيان التفسير] .

وجاء في التفسير أن التأويل هاهنا منتهى مدة ملك أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أن اليهود حسبوا ليعلموا ذلك ، فأعلمهم الله أنه لا يعرف ذلك بالحساب ، وإنما يعرف من قبل الله تعالى .

والتأويل والتفسير واحد ، لأن معنى التأويل يعود إلى التفسير ، ويفرق بينهما من وجه ذكرناه في "كتاب الفروق" وهو أن التفسير هو الإخبار عن أفراد أحاد الجملة ، والتأويل : الإخبار بمعنى الكلام ، وقيل : التفسير أفراد ما انتظمه ظاهر التنزيل ، والتأويل : الإخبار عن غرض المتكلم بكلامه .

والثاني : عاقبة الأمر وما يؤول إليه ، وهو قوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٥٣] ، يذكر قوما أوعدوا بالعذاب ، فتطلعوا عاقبة ما أوعدوا به رادين له ، فقال : هل ينظرون إلا تأويل ذلك المصير وتلك العاقبة ، أي : مرجعه ومآله .

وقوله : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ ﴾ [سورة يونس آية : ٣٩] ، أي : لم تأتهم عاقبة ما وعدهم في القرآن أنه كائن في الآخرة من الوعيد ، ولم يعن أنه لم يأتهم العلم وتفسيره ، لأن جميع ما في القرآن مفهوم المعنى ، ولو كان فيه شيء لا يفهم معناه لم يكن لإنزاله وجه .

ومثل ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [سورة النساء آية : ٥٩] ، الإسراء : ٣٥ ، أي : عاقبة .

والثالث : تعبير الرؤيا ، قال : ﴿ يُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [سورة يوسف آية : ٦] ، يعني : تعبير الرؤيا . وقال : ﴿ تَبَيَّنَا بِتَأْوِيلِهِ ﴾ [سورة يوسف آية : ٣٦] ، وقال : ﴿ أَنبِئُكُمْ بِتَأْوِيلِهِ ﴾ [سورة يوسف آية : ٤٥] ، وقال : ﴿ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠١] ، يعني : بجميع ذلك تعبير الرؤيا ، وسميت الرؤيا أحاديث ؛ لأن منها ما يصح ، ومنها ما لا يصح ، مثل الأحاديث التي يتحدث بها صدقا وكذبا . فأما رؤيا الأنبياء عليهم السلام خاصة فيقين .

الرابع : التحقيق ، قال : ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠٠] ، جاء في التفسير أنه أراد : تحقيق رؤياي ، وهو حسن ، ويجوز أن يكون معناه : تفسير رؤيا و : ﴿يَا أَبَتِ﴾ بالكسر على حذف ياء الإضافة ، ويجوز بالفتح على حذف الألف المنقلبة عن ياء الإضافة ، وأجاز الفراء الضم ، ولم يجزه الزجاج ، إلا أن التاء عوض عن ياء الإضافة ، وقال علي بن عيسى : هو جائز ، لأن العوض لا يمنع من الحذف .

الخامس : قوله : ﴿لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ [سورة يوسف آية : ٣٧] ، جاء في التفسير أنه أراد بألوانه قبل أن يأتيكما ، والمراد بتسميته بألوانه وصفاته ؛ كأنه يفسره لهما ، فلهذا سماه تأويلا ، وسمي تفسير الشيء تأويلا ، لأنه مأل لبيان معناه ، و : ﴿نَبَأُكُمَا﴾ [سورة يوسف آية : ٣٧] ، أخبرتكما ، والنبا : الخبر العظيم ، لا يكون إلا كذلك .

وخرج لنا بعد وجه آخر ، وهو قوله : ﴿وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [سورة النساء آية : ٥٩] ، الإسراء : ٣٥] ، قال مجاهد : أي : جزاء قلنا : وذلك أن الجزاء هو الشيء الذي ألوا إليه .

تولى

يقال : ولي الشيء يليه ، إذا قرب منه ، وداري يلي دارك ، وولاية الأعمال ، من ذلك ، وكذلك : الولي ، وهو : المطر الذي يلي الوسمي ، والوسمي أول مطر يجيء ، والولي : الذي يليه ، ومنه : الولي ، خلاف العدد ، لأنه يقرب منك ، ثم قيل : ولي عنه ، وتولى عنه ، إذا أعرض وبعد .

والتولي في القرآن على ستة أوجه :

الأول : الانصراف ، قال : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ ﴾ [سورة القصص آية : ٢٤] ، دل على أنه كان في الشمس فانصرف إلى الظل ، ومثله : ﴿ ثُمَّ تَوَلَّى عَنْهُمْ ﴾ [سورة النمل آية : ٢٨] ، أي : انصرف ، ومثله : ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ ﴾ [سورة التوبة آية : ٩٢] .

والثاني : بمعنى الامتناع ، قال : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَمَ أَنَّهُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٩] ، معناه : فإن امتنعوا من الإيمان بك والرضا بحكمك ، وقوله : ﴿ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٤٩] ، أي : لما امتنعوا من ذلك أراد الله عقوبتهم ، فعجل بعضها لهم في الدنيا ، والإصابة بالذنوب : الإصابة بعقوبة الذنوب ، كما قال : ﴿ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾ [سورة هود آية : ٨] ، أي : حاق بهم جزاؤه ، وقوله : ﴿ حَتَّى يَبَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا ﴾ [سورة النساء آية : ٨٩] ، أي : فإن امتنعوا من الإيمان والهجرة ، وكان هؤلاء قوم من المنافقين زعموا أنهم احتوتوا المدينة واستأذنوا النبي صلى الله عليه وآله في الخروج منها إلى البدو ، فأذن لهم ، فخرجوا ولحقوا بالمشركين ، فأمر الله أن يؤخذوا ويقتلوا حيث وجدوا ، لأنهم كفار ، إلا أن يرجعوا إلى المدينة .

والثالث : الإعراض ، قال الله : ﴿ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾ [سورة النساء آية : ٨٠] ، وقال : ﴿ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ ﴾ [سورة يونس آية : ٧٢] ، وقال : ﴿ فَتَوَلَّى عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ ﴾ [سورة الذاريات آية : ٥٤] ، كل هذا بمعنى الإعراض على ما قالوا وهو الأصل ، ويكون الإتيان الأوليان من هذا الوجه بمعنى الامتناع .

والرابع : قالوا : الهزيمة ، قال تعالى : ﴿ فَلَا تُؤَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُؤَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبْرُهُ ﴾ [سورة الأنفال آية : ١٥-١٦] ، يعني : الهزيمة عنهم ، ومصدر هذا التولية ، وليس بالتولي ، نهى الله تعالى المؤمنين أن يولوا الكفار أدبارهم في القتال إلا أن ينحرف أحدهم من موضع لا يمكنه فيه الضرب والطعن إلى موضع يمكنه فيه ذلك ، أو أن يضيق عليه فليلتجئ إلى جماعة من المسلمين ، فينضافوا معه على مدافعة العدو ، ومن يولي عن العدو على غير هذين الوجهين فقد باء بغضب من الله ، أي : استحق الغضب من الله مقابلة بقبیح فعله ، وهو من البواء في القتل ، وهو أن يقتل بالرجل كفوه .

قال أبو بكر الرازي رحمه الله : " وهذا الحكم عندنا ثابت ما لم يبلغ عدد جيش المسلمين اثني عشر ألفا ، فإذا بلغ ذلك فليس لهم أن يهزموا عن مثلهم إلا متحرفين لقتال " ، والحجة حديث ابن عباس عنه عليه السلام " خير الأصحاب أربعة ، وخير السرايا أربعة مائة ، وخير الجيوش أربعة آلاف ، ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة " (١) ، وسأل رجل مالكا ، فقال : أيسعنا قتال من خرج من أحكام الله وحكم بغيرها ، فقال مالك : إن كان معك اثنا عشر ألفا مثلك لم يسعك التخلف ، وإلا فأنت في سعة من ذلك .

وقال بعضهم : هذه الآية في أهل بدر ؛ وليس الفرار من الزحف كبيرة ، وهذا غلط ، لأن النفي عام ، وليس لأحد تخصيصه ، ولا يكون المفضل إلا على العموم ، وقيل : هذا الوعيد لازم لمن فر عن الزحف حبا للحياة ، فأما من لم يجد بدا من الفرار فهو في سعة .
والزحف : السير الثقيل ، وبه يوصف العساكر ، لأنها إذا دنت من العدو ، سارت على تعبته ، وسير الجماعة المعبأة رويدا .

الخامس : بمعنى ولاية الأمر ، قال : ﴿ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة النور آية : ١١] ، بالكسر ، أي : تولى الإثم فيه ، كأنه صار صاحب الإثم فيه ، وقرئ كبره ، أي : معظمه ، وكبر الشيء : معظمه ، وكذلك كبره : لغتان ، وقيل كبر : مصدر الكبير من الأمور ، وكبر : مصدر الكبير السن ، مثل : الكبير ، والكبر : الكبير أيضا .

(١) أخرجه أحمد في مسنده من حديث ابن عباس (٢٧١٣) ، والدارمي (٢٤٣٨) ، وأبو يعلى في مسنده (٢٧١٤) ، والبيهقي في السنن الكبرى ج ٩ / ١٥٦ .

والسادس : بمعنى الولاية ، خلاف العداوة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّهِمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ٥١] ، وقوله : ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة الممتحنة آية : ١٣] ، يأمرهم بعداوتهم أن لا يناصحوهم .

التقى^(١)

أصل التقى : أن تجعل بينك وبين من تخافه حاجزا ، قال النابغة :

سَقَطَ النَّصِيفُ وَلَمْ تُرْدِ إِسْقَاطَهُ فَتَنَّاوَلْتَهُ وَاتَّقَتْنَا بِالْيَدِ

ثم كثر حتى قيل : توقيته ، إذا هبت الإقدام عليه ، ويقال : تقاه يتقيه ، واتقاه يتقيه وتوقاه يتوقاه ، والمتقي في أسماء الدين : هو الذي يؤدي الفرائض ، ويحْتَنِبُ المحارم ، ويجعل ذلك بينه وبين النار جنة ، ولا يستحقه مطلقا إلا المستحق للثواب ، ويجري على غيره مقيدا ، وقال الشاعر يصف سيوفا :

جَلَاها الصَّبِيلُونَ فَأَخْلَصُوا جَعافًا كُلُّهَا يُتَّقَى بِأَثَرِ

والأثر : والأثر ماء السيف وفرنده ، كأنها تجعل ذلك بينها وبين من يريد عيها ، والإقدام عليها حاجزا ، وذلك أنه إذا رأى أثرها لم يعبها ، أو ترك الإقدام على أصحابها . وهو في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : بمعنى الخشية ، قال الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ ﴾ [سورة النساء آية : ١ ، الحج : ١ ، لقمان : ٣٣] ، أي : اخشوا عقابه ، واجعلوا الإيمان بينكم وبينه ، وقال : ﴿ إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٠٦] ، ومثله كثير .

الثاني : بمعنى العبادة ، قال الله تعالى : ﴿ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٦٥] ، أي : أفلا تعبدون ، وقال : ﴿ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٢] ، هكذا جاء في التفسير ، ويكون ذلك أيضا بمعنى الخشية ؛ لأنه إذا قال :

(١) (ت ق ي) : رَجُلٌ تَقِيُّ أَيُّ رَبِّكِي وَفَوْمٌ أَتَقِيَاءُ وَتَقِيَّ يَتَّقِي مِنْ بَابِ تَعَبَّ تَقَاءَ وَالتَّقَى جَمْعُهَا فِي تَقْدِيرِ رُطْبَةٍ وَرُطْبٍ وَاتَّقَاهُ اتَّقَاءٌ وَالْإِسْمُ التَّقْوَى وَأَصْلُ التَّاءِ وَأَوَّلُ كَيْفَتِهِمْ قَلْبُوا . [المصباح المنير : التاء مع القاف]

والفرق بين التقى والمتقى والمؤمن : أن الصفة بالتقي أمدح من الصفة بالمتقي لأنه عدل عن الصفة الجارية على الفعل للمبالغة والمتقى أمدح من المؤمن لأن المؤمن يطلق بظاهر الحال والمتقى لا يطلق إلا بعد الخبرة وهذا من جهة الشريعة والأول من جهة دلالة اللغة ، والإيمان نقيض الكفر والفسق جميعا لأنه لا يجوز أن يكون الفعل إيمانا فسقا كما لا يجوز أن يكون إيمانا كفرا إلا أن يقابل النقيض في اللفظ بين الإيمان والكفر أظهر . [الفروق اللغوية : ١/ ١٣٧] .

أنا ربكم ، فقد أخبر أنه القادر عليهم ، وإذا كان كذلك فينبغي أن يخشى عقابه ، ولا يعصى ، ويرغب في ثوابه ، فيعبد ويطاع .

الثالث : الإيمان . قال تعالى : ﴿ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ﴾ [سورة نوح آية : ٣] ، أي : أن توحدوه ، ودليل ذلك قوله : ﴿ وَإِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة النساء آية : ١٣١] ، ووضعه الكفر بإزاء التقوى دليل على أن المراد بالتقوى : الإيمان .

والرابع : الإخلاص ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴾ [سورة الحج آية : ٣٢] .

والخامس : الانتهاء إلى المأمور به ، وترك تجاوزه ، قال : ﴿ وَأَتُوا الْبَيْتَ مِنْ أَبْوَابِهَا وَاتَّقُوا اللَّهَ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٨٩] ، أي : انتهوا إلى أمره في ذلك ، ولا تتجاوزوه . وكل هذه الوجوه متقاربة ، يجوز قيام بعضها مقام بعض .

التمني^(١)

يقال : تمنى الرجل الشيء ، إذا قدر في نفسه بلوغه ، ومنه : منى الله لك كذا ، أي : قدره ، وقال الشاعر :

ما تمنى لك الأماني

ومنيا من فلان بكذا ، أي : ابتلينا ، ولا يقال ذلك إلا في المكروه .

وسميت المنية منية ، لأنها مقدرة ، وقيل للمني مني ، لأن الولد مقدر منه ، والتمني : قول الرجل : يا ليتني كنت كذا .

والتمني في القرآن على وجهين :

(١) قال الجرجاني : التمني : طلب حصول الشيء سواء كان ممكناً أو ممتنعاً . [التعريفات : ٢١/١] .
الفرق بين التمني والارادة : أن التمني معنى في النفس يقع عند فوت فعل كان للمتمني في وقوعه نفع أو في زواله ضرر مستقبلاً كان ذلك الفعل أو ماضياً ، والارادة لا تتعلق إلا بالمستقبل ، ويجوز أن يتعلق التمني بما لا يصح تعلق الارادة به أصلاً وهو أن يتمنى الانسان أن الله لم يخلقه وأنه لم يفعل ما فعل أمس ولا يصح أن يريد ذلك ، وقال أبو علي رحمه الله : التمني هو قول القائل ليت الامر كذا فجعله قولاً وقال في موضع آخر التمني هو هذا القول وإضمار معناه في القلب ، وإلى هذا ذهب أبو بكر بن الاخشاد ، والتمني أيضاً التلاوة قال الله تعالى " إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته " .

وقال ابن الانباري : التمني التقدير قال ومنه قوله تعالى " من نطفة إذا تمنى " ، وتمنى كذب وروي أن بعضهم قال للشعبي : أهذا مما رويته أو مما تمنيته أي كذبت في روايته ، وأما التمني في قوله تعالى " فتمنوا الموت إن كنتم صادقين " فلا يكون إلا قولاً وهو أن يقول أحدهم ليت مات ، ومتى قال الانسان ليت الآن كذا فهو عند أهل اللسان متمن غير اعتبارهم لضميره ويستحيل أن يتحداهم

بأن يتمنوا ذلك بقلوبهم مع علم الجميع بأن التحدي بالضمير لا يعجز أحداً ولا يدل على صحة مقاله ولا فسادها لأن المتحدي بذلك يمكنه أن يقول تمنيت بقلبي فلا يمكن خصمه إقامة الدليل على كذبه ، ولو إنصرف ذلك إلى تمنى القلب دون العبارة باللسان لقالوا قد تمنينا ذلك بقلوبنا فكانوا مساوين له فيه وسقط بذلك دلالة على كذبهم وعلى صحة ثبوته فلما لم يقولوا ذلك علم أن التحدي وقع بالتمني لفظاً .

الفرق بين الشهوة والتمني : قيل التمني : معنى في القلب وليس هو من قبيل الشهوة ، ولا من قبيل الارادة ، لأن الارادة لا تتعلق إلا بما يصح حدوثه . والشهوة لا تتعلق إلا بما مضى . والارادة والتمني قد يتعلقان بالماضي .

وقيل : الفرق بين التمني والارادة : أن الارادة من أفعال القلوب ، والتمني قول القائل : ليت كان كذا ولبت لم يكن ، ويؤيده أن أهل اللغة ذكروا التمني في أقسام الكلام . [الفروق اللغوية : ١٤٢/١ ، ٣٠٦]

الأول : هذا القول ، وهو قوله تعالى : ﴿ فَتَمْنُوا الْوَيْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [سورة الجمعة آية : ٦] ، وذلك أن اليهود قالوا : نحن أبناء الله وأحباؤه ، فقال الله لهم : إن كنتم كذلك فتمنوا الموت لتموتوا ، فتصيروا إلى الثواب عاجلا ، ثم أخبر أنهم لا يتمنونه أبدا بما قدمت أيديهم من الذنوب ، فكان هذا خبر غيب دالا على صدق الدعوة ، فلم يكن فيهم أحد يقول : إني تمنيت ولم أمت ، وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير .

والثاني : القراءة ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلَقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ﴾ [سورة الحج آية : ٥٢] ، يقال : تمنى الرجل إذا قرأ ، قال الشاعر :
تَمَنَّى كِتَابَ اللَّهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرَهَا لَا فِي جِهَامِ الْمَقَادِرِ

والرسول والنبى واحد ، وإنما أراد التوكيد فكرره كما تقول : أحب كل مؤمن ومسلم ، والمؤمن والمسلم سواء ، وعلى هذا فإن بين المؤمن والمسلم فرقا في العربية ، وكذلك بين الرسول والنبى ، وأما في أسماء الدين فكل ذلك سواء ، وكان النبى صلى الله عليه وآله إذا قرأ القرآن غلط الغلط الذي يجوز مثله على القارئ ، وكان الله ينبهه على الصواب ، فيرجع إليه ، فعاب ذلك عليه أعداؤه ، وليس فيه عيب ؛ لأن البشر لا يخلو من السهو والغلط ، وجعل الله تنبيهه إياه على الغلط نسخا له ، وورده إلى الصواب إحكاما لآياته .

وأما ما روي أنه صلى الله عليه وآله قرأ : أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، تلك الغرائق العلى ، منها الشفاعة ترحمى ، ثم سجد ، وسجد المشركون ، وقالوا : قد رجع إلى دينكم ، فإن ذلك كذب ، لأن القارئ لا يغلط بمثل هذا ، ولا يجوز أن يقول النبى صلى الله عليه وآله تعمدا ، لأنه كفر ، ولا يقع الكفر من الأنبياء .

وأخرى فإنه لا خلاف بين الرواة أنه صلى الله عليه وآله ، كان لا يمكنه الصلاة عند الكعبة ظاهرا ؛ لما كان المشركون يتألمونه به من المكروه ، فكان يصلي عندها ليلا حين لا يطلع عليه أحد منهم ، فكيف سجدوا لقراءته ، وهذه حاله عندهم ، حتى كأنهم كانوا على ميعاد منه ؟ ! .

التوفي

أصل الوفاء : التمام وشيء واف : تام ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٤٠] ، أي : قوموا بأوامري على التمام أعطكم جزاء أعمالكم على التمام .

وتوفيت حقي ، واستوفيته ، إذا أخذته بتمامه ، ومعنى توفي الله الأنفس : قبضها عند تمام آجالها ، وقد وفيت الرجل حقه ، وأوفيت له ، إذا تمت عهده ، وخلافه : الغدر ، وهو أن تترك الوفاء به ، وأصل الغدر : الترك ، يقال : غادر الشيء ، وأغدره ، إذا تركه .

والتوفي في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الإنامة ، قال الله تعالى : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٠] كأنه يقبض العقل والذهن الذي تميز به الأشياء .

الثاني : قوله تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾ [سورة المائدة آية : ١١٧] وروي عن الحسن : أنه قال : التوفي هاهنا : رفعه إلى السماء .

ومثله قوله : ﴿ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٥٥] أي : آخذك من بين بني إسرائيل ، ورافعك إلى السماء حيث لا ينفذ إلا حكمي ، ولا يريد أن الله في السماء ، وشبه رفعه إلى السماء بالموت ؛ لأنه يفقد عند الرفع كي يفقد عند الموت ، وقيل : الرفع هنا رفع المنزلة .

الثالث : قبض الروح ، قال الله تعالى : ﴿ فَإِذَا نُرِيتَكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَتَوَفَّيَنَّكَ ﴾ [سورة غافر آية : ٧٧] ، وقال : ﴿ يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ﴾ [سورة السجدة آية : ١١] ، وقال : ﴿ الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ﴾ [سورة النحل آية : ٢٨ ، ٣٢] يعني : أنهم يقبضون أرواحهم .

(١) (و ف ي) : وَفِّيتُ بِالْعَهْدِ وَالْوَعْدِ أَفِي بِهِ وَفَاءً وَالْفَاعِلُ وَفِيَّ وَالْجَمْعُ أَوْفِيَاءُ مِثْلُ صَدِيقِي وَأَصْدِقَاءَ وَأَوْفِيَتْ بِهِ إِيْفَاءً وَقَدْ جَمَعَهَا الشَّاعِرُ فَقَالَ أَمَا ابْنُ طَوْقٍ فَقَدْ أَوْفَى بِذِمَّتِهِ كَمَا وَفَى بِقِلَاصِ النُّجْمِ حَادِيهَا .
وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَوْفَى نَذَرَهُ أَحْسَنَ الْإِيْفَاءِ فَجَعَلَ الرُّبَاعِيَّ يَتَعَدَّى بِنَفْسِهِ وَقَالَ الْفَارَابِيُّ أَيْضًا أَوْفِيَتْهُ حَقَّهُ وَوَفِّيَتْهُ إِيَّاهُ بِالتَّخْفِيلِ وَأَوْفَى بِمَا قَالَ وَوَفَى بِمَعْنَى وَأَوْفَى عَلَى الشَّيْءِ أَشْرَفَ عَلَيْهِ . [المصباح المنير : الراو مع الفاء]

التسبيح^(١)

أصله : التنزيه من السوء على جهة التعظيم .

ولا يجوز أن يسبح غير الله ؛ لأنه صار علما في الدين على أعلى مراتب التعظيم ، وذلك لا يستحقه إلا الله الذي لا يعجزه شيء .

(١) السين والباء والحاء أصلان: أحدهما جنس من العبادة، والآخر جنس من السعي. فالأول السُّبُحَة، وهي الصَّلَاة، ويختص بذلك ما كان نفلاً غير فرض. يقول الفقهاء: يجمع المسافر بين الصَّلَاتين ولا يُسَبِّح بينهما، أي لا يتنفل بينهما بصلاة. ومن الباب التَّسْبِيح، وهو تنزيه الله جل ثناؤه من كل سوء. والتَّزْيِيه: التبديد. والعرب تقول: سبحان من كذا، أي ما أبعدّه. قال الأعشى:

أقول لما جاءني فخرو *** سبحان من علقمة الفاجر
وقال قوم : تأويله عجباً له إذا يفخر . وهذا قريب من ذاك لأنه تبعيد له من الفخر . وفي صفات الله جل وعز :
سُبُّوح .

واشتقاقه من الذي ذكرناه أنه تنزه من كل شيء لا ينبغي له . والسُّبُحات الذي جاء في الحديث : "جلال الله جل ثناؤه وعظمته" .

والأصل الآخر السَّبْح والسَّباحة: العوم في الماء . والسَّابح من الخيل : الحسن مدّ اليدين في الجري . قال :

فوليت عنه يرتمي بك سابح *** وقد قابلت أذنيه منك الأخادع

يقول : إنك كنت تلتفت تخاف الطعن، فصار أخذعك بحذاء أذن فريمك .

والتَّسْبِيحُ التَّقْدِيسُ والتَّزْيِيهُ يُقَالُ سَبَّحَ اللَّهُ أَي تَزَهَّتَ عَمَّا يَقُولُ الْجَاهِلُونَ وَيَكُونُ بِمَعْنَى الذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ .

يُقَالُ فَلَانٌ يُسَبِّحُ اللَّهَ أَي يَذْكُرُهُ بِأَسْمَائِهِ نَحْوُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَهُوَ يُسَبِّحُ أَي يُصَلِّي السُّبْحَةَ فَرِيضَةً كَانَتْ أَوْ نَافِلَةً وَيُسَبِّحُ عَلَى رَاحِلَتِهِ أَي يُصَلِّي النَّافِلَةَ وَسُبْحَةُ الضُّحَى .

وَمِنْهُ ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ أَي مِنَ الْمُصَلِّينَ وَسُمِّيَتِ الصَّلَاةُ ذِكْرًا لِأَسْمَائِهَا عَلَيْهِ .

وَمِنْهُ ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ أَي اذْكُرُوا اللَّهَ .

وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّخْوِيدِ نَحْوُ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا ﴾ وَسُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ أَي الْحَمْدُ لِلَّهِ .

وَيَكُونُ بِمَعْنَى التَّعَجُّبِ وَالتَّعْظِيمِ لِمَا اشْتَمَلَ الْكَلَامُ عَلَيْهِ نَحْوُ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَمْرُ بِعَبْدِهِ لَيْلًا ﴾ إِذْ فِيهِ مَعْنَى التَّعَجُّبِ مِنَ الْفِعْلِ الَّذِي خَصَّ عَبْدَهُ بِهِ وَمَعْنَى التَّعْظِيمِ بِكَمَالِ قُدْرَتِهِ .

وَقِيلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ (أَي لَوْلَا تُسَبِّحُونَ قِيلَ كَانَ اسْمُهُمْ سُبْحَانَ اللَّهِ .

وَقِيلَ إِنَّ شَاءَ اللَّهُ لِأَنَّهُ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى . ينظر معجم مقاييس اللغة لابن فارس ، والمصباح المنير (س ب ح) .

وسبحان الله : تنزيه له مما لا يليق به ، ونصبه على مذهب المصدر ؛ كأنك قلت : تسبيحا له .

وسبحان : معرفة وعلم خاص ؛ فإن نونه شاعر فللضرورة ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴾ [سورة آية المزمل : ٧] أي : فراغا كبيرا للنوم ، وقد أوجب الله على العباد أن يسبحوه ويقدموه ، وفي ذلك أوضح الدلالة على أنه لا يجوز إضافة الفواحش إليه .
والتسبيح في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الصلاة ، قال الله تعالى : ﴿ قَسْبَحَانَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ [سورة الروم ، الأنبياء : ١٧ ، ٢٢] ، والسبحة : صلاة التطوع ، وقوله : ﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [سورة الصافات آية : ١٤٣] أي : المصلين .

(١) قال الشوكاني في فتح القدير : والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، أي : فإذا علمتم ذلك فسبحوا الله ، أي نزوه عما لا يليق به في وقت الصباح والمساء وفي العشي ، وفي وقت الظهيرة . وقيل : المراد بالتسبيح هنا الصلوات الخمس . فقله : ﴿ حِينَ تُمْسُونَ ﴾ : صلاة المغرب والعشاء ، وقوله : ﴿ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ : صلاة الفجر ، وقوله : ﴿ وَعَشِيًا ﴾ : صلاة العصر ، وقوله : ﴿ وَحِينَ تَظْهَرُونَ ﴾ : صلاة الظهر ، وكذا قال الضحاك وسعيد بن جبير وغيرهما . قال الواحدي : قال المفسرون : إن معنى ﴿ فسبحان الله ﴾ : فصلوا الله . قال النحاس : أهل التفسير على أن هذه الآية في الصلوات قال : وسمعت محمد بن يزيد يقول : حقيقته عندي : فسبحوا الله في الصلوات ؛ لأن التسبيح يكون في الصلاة . وجملة : ﴿ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ معترضة منوطة للإرشاد إلى الحمد ، والإيدان بمشروعية الجمع بينه وبين التسبيح كما في قوله سبحانه : ﴿ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ ﴾ [الحجر : ٩٨] وقوله : ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ ﴾ [البقرة : ٣٠] وقيل : معنى ﴿ وله الحمد ﴾ أي الاختصاص له بالصلاة التي يقرأ فيها الحمد ، والأول أولى . وقرأ عكرمة : « حيناً تمشون » ، والمعنى : حيناً تمشون فيه ، وحيناً تصبحون فيه . والعشي : من صلاة المغرب إلى العتمة . قاله الجوهري ، وقال قوم : هو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر ، ومنه قول الشاعر :
غدونا غدوة سحرا بليل ... عشيا بعد ما انتصف النهار

وقوله : ﴿ عَشِيًا ﴾ معطوف على حين ﴿ وفي السماوات ﴾ متعلق بنفس الحمد ، أي الحمد له يكون في السماوات والأرض ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ كالإنسان من النطفة والطير من البيضة ﴿ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ﴾ كالنطفة والبيضة من الحيوان . وقد سبق بيان هذا في سورة آل عمران . وقيل : ووجه تعلق هذه الآية بالتي قبلها أن الإنسان عند الصباح يخرج من شبه الموت وهو النوم إلى شبه الوجود وهو اليقظة ، وعند العشاء يخرج من اليقظة إلى النوم ﴿ وَنُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ﴾ أي يحييها بالنبات بعد موتها باليابس ، وهو

الثاني : ظهور أثر الصنعة والخلق ، وهو قوله : ﴿ تَسْبِيحٌ لَهُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤٤] يعني : ما ظهر فيها من آثار الصنع الدال على التوحيد .

والثالث : الاستثناء ، وهو قوله : ﴿ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴾ [سورة القلم آية : ٢٨] أي : تستثنون ، وهو قول : إن شاء الله ، وإنما قيل للاستثناء : تسبيح ؛ لأنه تعظيم ، كما أن قول " سبحان الله " تعظيم له ، وكانوا قالوا : قال : ﴿ لَيْصِرُ مُنْهَاضٍ مُصْبِحِينَ ﴾ [سورة القلم آية : ١٧] ، ولم يقولوا : إن شاء الله ، وفسر أيضا على ظاهره ؛ ف قيل : لولا تسبحون الله وتقديسونه وتعطون حقوق المساكين .

شبيه بإخراج الحي من الميت ﴿ وَكَذَلِكَ نُخْرِجُكُمْ ﴾ أي ومثل ذلك الإخراج نخرجون من قبوركم . قرأ الجمهور : ﴿ تخرجون ﴾ على البناء للمفعول . وقرأ حزة والكسائي على البناء للفاعل ، فأسند الخروج إليهم كقوله : ﴿ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ ﴾ [المعارج : ٤٣] ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ﴾ أي من آياته الباهرة الدالة على البعث أن خلقكم ، أي خلق أباكم آدم من تراب ، وخلقكم في ضمن خلقه ؛ لأن القرع مستمد من الأصل وماخوذ منه ، وقد مضى تفسير هذا في الأنعام ، و " أن " في موضع رفع بالابتداء ، و ﴿ مِنْ آيَاتِهِ ﴾ خبره ﴿ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشُرُونَ ﴾ " إذا " هي الفجائية ، أي ثم فجأتم بعد ذلك وقت كونكم بشرًا تنشرون في الأرض .

الباب الرابع

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله ثاء

الثواء^(١)

الثواء : الإقامة ، يقال : ثوى بالمكان ، وأثوى : لغتان فصيحتان ، قال الحارث بن حلزة :

أَذَكَّتْنَا بَيْنَهَا أَسَاءُ رَبِّ ثَاوِي مُلِّ مِنْهُ الثَّوَاءُ

ويتصرف هذا الحرف في القرآن على أوجه :

الأول : ﴿ وَمَا كُنْتَ ثَاوِيًا فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ﴾ [سورة القصص آية : ٤٥] أي : لم تكن مقبلاً فيهم ، فتعلم من أخبارهم ما تخبر به ، وإنما هو وحي ، وإن كان " مدين " عربياً فاستقامة من قولهم : مدن بالمكان إذا أقام به ، والياء فيه زائدة ، والذي أظن : أنه أعجمي الأصل .

الثاني : المثوى بمعنى المأوى ، قال تعالى : ﴿ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴾ [سورة محمد آية : ١٩] ، وقوله : ﴿ فَالْنازِئُ مَثْوَى هُمْ ﴾ [سورة فصلت آية : ٢٤] وهو قريب من الأول ؛ بل هو فيه بعينه لأن المثوى : مفعول من ثوى ، وقيل للمترن والمسكن : مثوى ؛ لأن صاحبه يقيم فيه .

(١) الثَّوَاءُ : طَوَّلُ الإِقَامَةِ ، ثَوَى يَثْوِي . وَالْمَقْبُورُ يُقَالُ : ثَوَى .

والمَثْوَى : الْمَوْضِعُ . وَانْزَلَنِي فَأَثْوَانِي ثَوَاءً حَسَنًا . وَالثَّيَّةُ : الثَّوَاءُ بِمَنْزِلَةِ الطَّيَّةِ ، وَكَذَلِكَ الثَّوَايَةُ . وَأَكْرَمِي مَثْوَاهُ : أَي مَقَامَهُ . وَرَبُّ الْبَيْتِ : أَبُو مَثْوَايَ ، وَأُمْتُ مَثْوَايَ : لِلزَّيَّةِ . وَالثَّوِيَّةُ : امْرَأَةُ الرَّجُلِ الَّتِي يَثْوِي إِلَيْهَا .

وَالثَّوِيَّةُ : الْبَيْتُ فِي جَوْفِ الْبَيْتِ . وَقِيلَ : الْبَيْتُ الْمُهَيَّأ لِلضَّيْفِ . وَقِيلَ : الضَّيْفُ نَفْسُهُ . وَالثَّوِيَّةُ : مَوْضِعٌ إِلَى جَانِبِ الْكُوفَةِ .

وَنَائِيَةُ الْجَزْزِيرِ : مَنْحَرُهَا . وَقِيلَ : هُوَ الْبَيْتُ الَّذِي يُوَلَّدُ فِيهِ الْغَنَمُ وَيُجْمَعُ فِيهِ الْبَهْمُ . وَقِيلَ : الْمَحَلَّةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا مَتَاعُ السَّفَرِ وَالصَّيَادُونَ يَأْوُونَهَا . وَقِيلَ : الْمَثْوَى الْحَيْثُ ، وَمِنْهُ نَائِيَةُ الضَّبْعِ ، وَيَقُولُونَ : قَبَحَ اللَّهُ نَائِيَتَكَ .

[المحيط في اللغة : ٢ / ٤٢٥]

الثالث : المتزلة ، قال : ﴿ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٣] أي : أعلى منزلتني ، ولو أوردنا هذين الحرفين في باب الميم جاز ، وأم المثوى : المرأة التي ينزل بها وبأهلها الضيف ، وأبو المثوى : الرجل ، وتقول : من أم مثواك الليلة ، ومن أبو مثواك ؟ .

الباب الخامس

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جيم

الجبار

أصل الكلمة : الإصلاح ، جبر العظم^(١) ؛ إذا أصلحه وجبر هو ، ثم استعمل في الامتناع ، ف قيل : نخلة جبارة ؛ إذا امتنعت ففادت الأيدي ، وهو راجع إلى الأصل ؛ لأنها إذا فادت اليد صلحت ثمرتها ولم تشعث ، والجبيرة : الدملاج ، وكذلك الجبارة ؛ لأنه يصلح ويسوى ، والجبارة أيضا ، والجمع : الجبائر : الخشب الذي يشد على العضو المكسور ، وأجبرت الرجل على الأمر ؛ إذا أكرهته عليه ؛ لأنك تريد بإجبارك إياه إصلاحه ، وإصلاح نفسك - جبار يرجع إلى ذلك .

والجبار^(٢) في أسماء الله - عز وجل - بمعنى أنه لا ينال بالأذى ، وبمعنى الكبرياء والعظمة ، وقال واصل بن عطاء : الجبار في صفات الله تعالى بمعنى أنه يجبر فاقة العبد . وهو في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : القهار ، قال الله تعالى : ﴿ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ ﴾ [سورة الحشر آية : ٢٣] يعني : القهار لخلقها بما أراد ، وقال : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ [سورة ق آية : ٤٥] أي : بمسلط تقهرهم على الإيمان ؛ إنما أنت مذكر ، ويجوز أن يكون معناه : إنك لست بمتكبر تياه ، كما قال : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَّ خُلِقْتَ عَظِيمٌ ﴾ [سورة القلم آية : ٤] .

(١) (ج ب ر) : جَبَرْتُ الْعَظَمَ جَبْرًا مِنْ بَابِ قَتَلَ أَصْلَحْتُهُ فَجَبَرْتُ هُوَ جَبَرًا أَيْضًا وَجُبُورًا صَلَحَ يُسْتَعْمَلُ لَازِمًا وَمُتَعَدِّيًّا وَجَبَرْتُ النَّيِّمَ أَعْطَيْتُهُ وَجَبَرْتُ الْيَدَ وَضَعْتُ عَلَيْهَا الْجَبِيرَةَ وَالْجَبِيرَةُ عِظَامٌ تُوَضَّعُ عَلَى الْمَوْضِعِ الْعَلِيلِ مِنَ الْجَسَدِ يَنْجَبِرُ بِهَا وَالْجَبَارَةُ بِالْكَسْرِ مِثْلُهُ وَالْجَمْعُ الْجَبَائِرُ . [المصباح المنير : الجيم مع الباء]

(٢) أخبرنا أبو نصر بن قتادة ، أنا أبو منصور النضروي ، ثنا أحمد بن نجدة ، ثنا سعيد بن منصور ، ثنا أبو معشر ، عن محمد بن كعب ، قال : « إنما يسمى الجبار لأنه يجبر الخلق على ما أراد » [الأسماء والصفات لليهقي : الحديث رقم (٤٧)]

الثاني : المتغلب الجابر ، قال الله : ﴿ وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ ﴾ [سورة الشعراء آية : ١٣٠] أي : متغلبين جبارين ، وقال : ﴿ إِنْ تُرِيدُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ جَبَارًا فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة القصص آية : ١٩] وقال بعض أهل التفسير : المراد بالجبار في هذه المواضع : القتال ، والبطش : الأخذ بالغلبة والشدة .

الثالث : المتكبر قال : ﴿ وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَارًا شَقِيًّا ﴾ [سورة مريم آية : ٣٢] جاء في التفسير أنه عنى المتكبر عن عبادة ربه .

والرابع : العظيم الخلق القوي ، قال الله عز وجل : ﴿ إِنْ فِيهَا قَوْمًا جَبَارِينَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٢] جاء في التفسير : إنه عنى العظام الأجساد الطوال الأقوياء ، زعموا أنه لا يقاومونهم ، وقيل : إنه أراد الممتنعين الغلابين العتاة ، وهذا أصح ؛ لقوله : ﴿ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٣] كأنهم قالوا : إن فيها قوما من عادتهم غلب أعدائهم ، فقليل لهم : اذهبوا إليهم فإنكم تغلبونهم ، وأعمل إن في القوم وجعل الجبارين من صفتهم ؛ لأن فيها ليس باسم .

قال : ومثله : ﴿ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُتَكَبِّرٍ جَبَارٍ ﴾ [سورة غافر آية : ٣٥] ، والجبار هاهنا والمتكبر سواء ، وإنما كرر للتوكيد ، ولا يجوز أن يقال أنه يعني : بـ "الجبار" هاهنا : القتال والغلاب ؛ لأن القتل والغلبة لا يضافان إلى القلب ويضاف إليه الكبر ، ويجوز أن تكون هذه الوجوه كلها بمعنى واحد وهو التكبر ، وإنما أوردتها على ما جاء في التفسير .

الجعل^(١)

يقال : جعلت بمعنى أنشأت ولا يتجاوز مفعولا ، ومنه : جعل الله الناس ، وجعل الأرض ، وجعلت أيضا بمنزلة نقلت ، كقولك : جعلت الطين آجرا ، وجعلت الفضة خائفا ، وجعلت بمنزلة ظننت ، تقول : اجعل الأمين خادما وكلمه ؛ أي : ظنه خادما ، وجعلت بمنزلة سميت ، قال : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٩] ، ويقال أيضا : جعلت القرية عن يميني .

والفرق بين الجعل والفعل ؛ أن جعل الشيء يكون بإحداث غيره فيه ، كجعلك الطين خزفا ، وفعل الشيء إحداثه لا غير .

وقال بعضهم : جد الجعل الفعل ولا بد لكل جعل من تعلق بمجعول ومفعول ، أما نفس الشيء الواقع عليه ظاهر اللفظ ؛ كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ ﴾ [سورة الملك ، النحل ، السجدة : ٢٣ ، ٧٨ ، ٩] أي : خلقهما ، وأما اسمه ووصفه ، كقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنِثَاءً ﴾ أي : جعلوا اسمهم اسم الإناث ووصفهم ، وفعلوا ذلك ، وأما حكمه ؛ كقوله تعالى : ﴿ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ﴾ [سورة التوبة آية : ١٩] أي : جعلتم حكم هذا كحكم هذا ، وكقولك : جعل الله هذا حلالا وهذا حراما ؛ أي : جعل حكمه حكم ذلك ، وأما علته لها كان المجعول على صفته ؛ كقولك : جعلت المتحرك متحركا ؛ أي : فعلت العلة .

(١) [جعل] : جَعَلَ : بمعنى صَنَعَ ؛ إلا أنه أعم ، يُقال : جَعَلَ يَفْعَلُ كَذَا ، ولا يُقال صَنَعَ ولا يَجْعَلُ . والجِعَالَةُ والجُعِيلَةُ : واحد . وقد جَعَلْتُ له الجُعْلَ . وهو يُجَاعِلُهُ : أي يَرْشُوهُ . وأَجَعَلْتُ لِفُلَانٍ إِنْجَعَالًا : من الجُعْلِ . والجِعَالُ والجِعَالَةُ : ما يُنْزَلُ به القَدْرُ من خِزْفَةٍ أو غَيْرِهَا ، وقد أَجَعَلْتُهَا : أَنْزَلْتُهَا بِهِ . وجِعَالُ الْفَهْمِيِّ : شَاعِر . وَكَلْبَةٌ تُجْعَلُ : أَرَادَتْ السَّفَادَ . وماءٌ جُعِلٌ وَتُجْعِلُ : مَاتَتْ فِيهِ الْجِعْلَانُ ، والوَاحِدُ جُعْلٌ : وهي دَابَّةٌ . وَرَجُلٌ جُعْلٌ : لَجُوجٌ . وقد يُقال ذلك لسَوَادِهِ تَشْبِيهًا بِالدَّابَةِ . وفي مَثَلٍ : " سَمُوكَ بِهِ جَعْلُهُ " : أي لَزَقَ بِهِ مَنْ يَكْرَهُهُ . والجُعْلُ - واحدهُ جَعْلَةٌ - : النَخْلُ الْقَصِيرَةُ الصَّغَارُ . [المحيط في اللغة : جعل]

وأما قوله : ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٧٣] فمعناه سميناهم بذلك ، ومثله : جعلت فلانا لصا ، وقوله تعالى : ﴿ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا ﴾ [سورة الفرقان آية : الأنعام : ٣١ ، ١١٢] أي : وصفناهم بهذا الوصف بعد أن عادوا الأنبياء ، وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً ﴾ [سورة الحديد آية : ٢٧] أراد الخبر بما في قلوبهم من ذلك ووصفه ؛ فالمجعل هو الخبر ويكون بمعنى اللطف ، وقوله : ﴿ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ﴾ [سورة يوسف آية : ١٠٠] أي : خلقها ، ويجوز أن يكون مكن يوسف عليه السلام فظهر صدق رؤياه ؛ فالمجعل نفس الرؤيا في الأول وفي الثاني للدلالة على صحته .

وقوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا ﴾ [سورة القصص آية : ٤] أي : فرقا ، والجعل راجع إلى ما به كانوا فرقا ؛ وهو الفعل الذي فرق بينهم ، وقوله تعالى : ﴿ وَنَجْعَلُ لَكُمْ سُلْطَانًا ﴾ [سورة القصص آية : ٣٥] أي : حجة ؛ وهو قلب الفصاحة .

وقوله تعالى : ﴿ جَعَلَ فِتْنَةً النَّاسَ كَعَذَابِ اللَّهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ١٠] هؤلاء قوم آمنوا فلحقهم أذى من الكفار وهزوا فكفروا ، وكان يجب أن يدعوا الكفر خوفا من عذاب الله وتركوا الإيمان خوفا من عذاب الناس ؛ فأبدلوا حكم عذاب الناس حكم عذاب الله ؛ فالحكم هو المجعل ، وقال : ﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ [سورة الأنبياء آية : ٩١] فالمجعل فعل ما صارت به آية ، وقال : ﴿ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٩] أي عبرة ، وفعل ما صار به المسيح عبرة هو المجعل .

وقوله تعالى : ﴿ وَنَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلُهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ [سورة القصص آية : ٥] فأمره بالافتداء بهم هو المجعل ، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبِّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [سورة هود آية : ١١٨] أي : بالإجماع .

والجعل بعد ذلك في القرآن على ستة أوجه فيما ذكره بعض المفسرين :

الأول : التسمية ؛ قال : ﴿ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا بَعَثْنَا فِيهِمُ آلِهَةً ثُمَّ كَفَرُوا بِهَا وَجَعَلْنَاهُمْ قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٧] ، وقال : ﴿ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً ﴾ [سورة المائدة آية : ١٧] أي : سميناهم قاسية .

الثاني : بمعنى التخلية ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٥] أي : يخلي بينه وبين ما يخرج به صدره من الكفر ؛ لأن مع الإيمان ثلج الصدور ، وليس ذلك مع الكفر .

وأما الطبع والختم واللعن والأكنة والوقر والعمى والصمم والبكم والرجس ونحو ذلك فإنه ذم وليس بمن ذكره إلا بعد ذكر المعصية ولزمهم هذه الأسماء جزاء لذنوبهم ، ويجوز أن يكون تسميته إياهم بهذه الأسماء على جهة التمثيل ؛ لأننا نعلم أنه ليس على بصر الكافر غشاوة .

الثالث : منع الإلطاف ؛ قال الله تعالى : ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٤٥] أي : تمنعه أطفافنا فيعرض عن القرآن ولا ينتفع به ؛ فكأننا جعلنا بينه وبينه حجابا ، ولو علم أن أطفافه تنفعه ما منعه إياها ولكنها لا تنفعه فهو بمنزلة من لا أطفاف له ولو كان الطبع والختم وما بسبيلهما منعا لهم عن الإيمان لما قال : ﴿ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾ [سورة الزمر آية : ٥٤] .

الرابع : بمعنى الوصف ؛ قال : ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] و : ﴿ الْجِنِّ ﴾ هاهنا الملائكة سمووا بذلك لاستارهم عن الأبصار ، وأصل الجن والجنة ، والجنة والجنون الستر ، أي : وصفوا الملائكة بأنهم شركاء الله ، ونحوه قول الرجل لمن يصفه باللصوصية : جعلتني لصا ، أي : وصفتني بذلك ، ونحوه قوله : ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا ﴾ [سورة الزخرف آية : ١٥] ، قال بعض أهل اللغة : الجزء هاهنا بمعنى الإناث ، يقال : أجزئت المرأة إذا ولدت أنثى ، وأنشد :

إِنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يَوْمًا فَلَا عَجَبَ وَقَدْ تَجَزَّيْتُ الْحُرَّةُ الْمَذْكَارُ أَحْيَانًا

ويجوز أن يكون الجن في قوله تعالى : ﴿ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] . الجن المعروف .

وكان بعض العرب يذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، فرد الله ذلك بهذا القول وشرح ذلك جرى في كتابنا في التفسير .

الخامس : الخلق ، قال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا ﴾ [سورة الزخرف آية : ٣] ، أي : خلقناه كذلك ، وأحدثناه ومثله : ﴿ جَعَلُ الْأَرْضِ قَرَارًا ﴾ [سورة النمل آية : ٦١] ، أي : خلقها صلبة يمكن الاستقرار عليها ، ومثله : ﴿ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٥٠] ، أي : خلقه من غير ذكر ، فصار عبرة وعلامة .

السادس : الحكم ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا اللَّهَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا ﴾^(١) [سورة الأنعام آية : ١٣٦] ، أي : حكموا بذلك .

والمراد أنهم حكموا بأن الله نصيبا في زروعهم ومواشيهم وأصنامهم نصيبا فيها ، وسأهم شركائهم ؛ لأنهم جعلوا بعض أموالهم لها ، ثم كانوا يصرفون مما جعلوه لله إلى أوثانهم فينفقونه عليها ولا يصرفون ما جعلوه لأوثانهم إلى ما يتقربون به إلى الله ، وقيل الأنعام هاهنا البحيرة والسائبة .

فأما قوله : ﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾ [سورة الفرقان آية : ٣١] ، فمعناه أنه جعل نبيه عدوا له ؛ لأنه فرض عليه محاربتهم ومناصبتهم ، فإذا جعل النبي عدوا لهم ، فقد جعلهم عدوا له ، وليس معنى ذلك أنه أمره بعداوته وأرادها منهم أو خلقها فيهم لأنه لو فعل ذلك لم يذمهم عليه ، وقوله : ﴿ وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٤] ، أي : لا تجعلوا القسم بالله عرضة لإيمانكم فتكثرُوا الحلف ، وكذلك :

(١) قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : وجعل هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام لربهم (مما ذرأ) خالقهم ، يعني : مما خلق من الحرث والأنعام . يقال منه : "ذرأ الله الخلق يذرؤهم ذرءا ، وذرؤا" ، إذا خلَقهم .
"نصيبا" ، يعني قسما وجزءا .

ثم اختلف أهل التأويل في صفة النصيب الذي جعلوا الله ، والذي جعلوه لشركائهم من الأوثان والشيطان . فقال بعضهم : كان ذلك جزءا من خروثهم وأنعامهم يُفَرِّزُونَهُ لهذا ، وجزءا آخر لهذا . وقال آخرون : "النصيب" الذي كانوا يجعلونه لله فكان يصل منه إلى شركائهم : أنهم كانوا لا يأكلون ما ذبحوا لله حتى يسموا الآلهة ، وكانوا ما ذبحوه للآلهة يأكلونه ولا يسمون الله عليه . [جامع البيان : ١٣٤/١٢]

﴿وَقَدْ جَعَلْتُمْ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا﴾ [سورة النحل آية : ٩١] ، أي : ضمتموه ثوابكم على
الوفاء بإيمانكم فلا تنقضوها .

الجناح^(١)

أصله الميل ، ومنه قيل : جنحت السفينة ، أي : مالت ، وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦١] ، وسمي الإثم جناحا ، لأنه ميل إلى هوى النفس ، وجنح الليل حين يميل ، وقيل : حين تميل الشمس للمغرب ، ومنه جناح الطائر ، لأنها في جانبه ما يلين عن سواء جنبك .

والجناح في القرآن على وجهين :

الأول : الإثم ، قال الله : ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣٥] ، أي : لا إثم عليكم في التعريض للمرأة المعتدة ترغبون في نكاحها ، إذا خرجت من العدة ، فأما التصريح بذلك ، فهو إثم .

الثاني : الضرر ، هو قوله تعالى : ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُوهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : إذا تباعتم بالنقد فلا ضرر عليكم في ترك الكتاب والإشهاد ، فإن قيل أن قوله : لا جناح عليكم في ترك ذلك في الحاضر ، دليل على أن عليه جناح في تركه في النساء ، قلنا : أراد بالجناح الضرر على ما ذكرنا ، ولم يرد الإثم ، ولو أراد الإثم لكان قوله : ﴿ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٣] ، رخصة في تركه .

(١) (ج ن ح) : (جَنَحَ) جُنُوحًا مَالَ وَاجْتَنَحَ مِثْلُهُ وَفِي التَّزْيِيلِ ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا ﴾ (وفي حديث) عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَجَاءَ شَيْخٌ كَبِيرٌ قَدْ (اجْتَنَحَ) بَدَنَهُ أَيْ مَالَ إِلَى الْأَرْضِ مُعْتَمِدًا يَكْفِيهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ مِنْ ضَعْفِهِ (وَعَنْ) أَبِي هُرَيْرَةَ ﴿ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَمَرَ بِالتَّجْنُحِ فِي الصَّلَاةِ فَشَكَا نَاسٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الضَّعْفَ فَأَمَرَهُمْ أَنْ يَسْتَعِينُوا بِالرُّكْبِ ﴾ قِيلَ التَّجْنُحُ وَالْإِجْتِنَاحُ هُوَ أَنْ يَعْتَمِدَ عَلَى رَأْسِهِ فِي السُّجُودِ مُجَافًا لِلذَّرَاعِيهِ غَيْرَ مُقْتَرِبًا إِلَيْهَا . [المغرب : الجيم مع النون]

الجهاد^(١)

الجهاد اسم إسلامي لم يعرف في الجاهلية ، وهو قتال المشركين خاصة^(٢) .

وأصله من الجهد ، وهو است فراغ الطاقة في الأمر ، وهو جهد وجهد لغتان ، ويقال : الجهد الطاقة نفسها ، وبلغ الرجل جهده ومجهوده ، إذا بلغ أقصى قوته .
والأرض الجهاد اليابسة لأن الرجل لا يحفرها إلا إذا بلغ مجهوده ، والمجهود والجهد سواء ، مثل : العقل والمعقول .

وجاهدت العدو إذا استفرغت قوتك في دفعه ، والمفاعلة تكون من اثنين إلا في حرف جاءت نواذر منها طالبت الحاجة ، وحاولت الشيء ، وسافرت في الأرض .
والجهاد في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الجهاد بالقول ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا ﴾ [سورة الفرقان آية : ٥٢] ، وهذه الآية مكية نزلت قبل الأمر بالكتاب .

وهذا دليل على أنه أراد بها الجهاد بالقول ، فيها دلالة على أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يلزم على حسب الطاقة ، يقول : ﴿ فَلَا تُطِيعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ [سورة الفرقان آية : ٥٢] ، أي : ترك طاعتك لهم فيما يريدونه من مقاربتك إياهم جهادا كبيرا .

والجهاد هو بذل المجهود في الشيء ، وترك التقصير فيه ، : ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ [سورة الفرقان آية : ٥٢] ، أي : بالقرآن الذي افتتح به أول السورة ، والأول أجود .

(١) (ج هـ د) : (جَهْدُهُ) حَمَلُهُ قَوْقَ طَاقِيهِ مِنْ بَابِ مَنَعَ (وَمِنْهُ) قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْمَوْذِنِ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ وَقَوْلُ سَعْدِ أَوْ رَجُلٍ يُجَاهِدُ أَنْ يَحْتَمِلَ سِلَاحَهُ مِنَ الضَّعْفِ عَلَى حَذْفِ الْمَفْعُولِ وَتَقْدِيرُهُ يُجَاهِدُ نَفْسَهُ أَيْ يَكْلِفُهَا مَشَقَّةَ فِي حَمْلِ السِّلَاحِ وَأَجْهَدَ لُغَةً قَلِيلَةً وَالْجُهْدُ وَالْجُهُودُ الْمَشَقَّةُ وَرَجُلٌ مَجْهُودٌ ذُو جَهْدٍ وَاجْتَهَدَ رَأْيُهُ وَالْجِهَادُ مَضَدُّ جَاهَدْتُ الْعَدُوَّ إِذَا قَابَلْتَهُ فِي حَمْلِ الْجُهْدِ أَوْ بَدَلَ كُلِّ مِنْكُمَا جُهْدُهُ أَيْ طَاقَتُهُ فِي دَفْعِ صَاحِبِهِ ثُمَّ غَلَبَ فِي الْإِسْلَامِ عَلَى قِتَالِ الْكُفَّارِ وَنَحْوِهِ . [المغرب : الجسيم مع الهاء]

(٢) قال الجرجاني : الجهاد : هو الدعاء إلى الدين الحق . [التعريفات : ١ / ٢٦]

الثاني : الجهاد بالسلاح ، قال الله تعالى : ﴿ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ ﴾ [سورة التحريم : آية ٩] ، وقال : ﴿ لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [سورة النساء آية : ٩٥] ، ثم قال : ﴿ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ ﴾ [سورة النساء آية : ٩٥] كذا قال مقاتل .

وهو غلط ؛ لأن المنافق لا يقاتل ولا يقتل ، لأنه إذا أظهر الإسلام حقن دمه ، وإنما المراد أن جاهد الكفار بالسلاح والمنافقين بالغلظة عليهم والتنكير لهم ، وقيل : جاهدكم بإقامة الحدود عليهم ، وكانوا هم الذين تصيبونها في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما كانوا عليه في الجاهلية .

الثالث : الاجتهاد في العمل ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦] ، أي : من يعمل الخير مجتهدا فإنما يعمل لنفسه ، وقال : ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٩] ، أي : عملوا لنا : ﴿ لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ﴾ [سورة العنكبوت آية : ٦٩] ، أي : يزيدهم إطفافا ويزدادون معها من الطاعة فتعلوا درجاتهم ، وقال : ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ﴾ [سورة الحج آية : ٧٨] ، أي : اعملوا لله حق العمل ، هكذا فسر هذه الآيات ويجوز أن تكون بمعنى جهاد المشركين .

الجدال^(١)

أصله من الجدل ، وهو الفتل ، يقال : جدلت الحبل جدلا إذا فتلته ، وهو مجدول ، وأصل الكلمة من القوة ، ثم سميت الأرض جداله لقوتها ، وسمي الجدال جدالا لأنك تقوم به حق القيام ، لتقوي مذهبك ، كما أن الحبل يجدل القول ، والأجلد الصقر ، وسمي بذلك لقوته ، ويجوز أن يقال : الجدال هو أن تقتل الخصم عن مذهبه بحجة أو شبهة أو شغب ، ويفتلك عن مذهبك بمثل ذلك .

والجدال في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الخصومة ، قال : ﴿ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ ﴾ [سورة الرعد آية : ١٣] ، أي : يخاصمون ، وقال : ﴿ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ ﴾ [سورة غافر آية : ٥] .

الثاني : السؤال ، قال الله : ﴿ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴾ [سورة هود آية : ٧٤] ، أي : تسأل رسلنا ويستثبت أمر ما يعذب به قوم لوط ، وقال أبو علي : جادلهم بما استحقوا عذاب الاستئصال ، وهل ذلك واقع بهم لا محالة ، أم هم إخافة ليقبلوا إلى الطاعة ، وهذا يقوي ما تقدم من أنه سؤال .

الثالث : المناظرة على إثبات الحق وإبطال الباطل ، قال تعالى : ﴿ يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَكُتِرَتْ جِدَالُنَا ﴾ [سورة هود آية : ٣٢] ، وفي هذا دليل على أن الجدال لإقامة الحجة حسن ، وأنه يقوم به الحجة ولولا ذلك لم يجادل نوح عليه السلام .

وقد يكون المناظران محقين بأن يكون كل واحد منهما يناظر ليعرف الحق ، ولا يكونان متجادلين إلا وأحدهما مبطل أو كلاهما ؛ لأن الجدال هو قتل الخصم عن مذهبه ، وقتل الحق عن الحق باطل ، قال الله تعالى : ﴿ مَا صَرَبُوا لَكَ إِلَّا جَدَلًا ﴾ [سورة الزخرف آية : ٥٨] ،

(١) (ج د ل) : جِدَلَ الرَّجُلُ جَدَلًا فَهُوَ جَدِلٌ مِنْ بَابِ تَعِبَ إِذَا اشْتَدَّتْ خُصُومَتُهُ وَجَادَلَ مُجَادَلَةً وَجَدَلًا إِذَا خَاصَمَ بِمَا يَشْغُلُ عَنْ ظَهْوَرِ الْحَقِّ وَوُضُوحِ الصَّوَابِ هَذَا أَصْلُهُ ثُمَّ اسْتُعْمِلَ عَلَى لِسَانِ حَلَّةِ الشَّرْعِ فِي مُقَابَلَةِ الْأَدِلَّةِ لِيُظْهِرَ أَرْجَحِيَّتَهَا وَهُوَ مُحْمُودٌ إِنْ كَانَ لِلْوُقُوفِ عَلَى الْحَقِّ وَالْأَقْدَمُومِ وَيُقَالُ أَوَّلَ مَنْ دَوَّنَ الْجَدَلَ أَبُو عَلِيٍّ الطَّبْرِيُّ . [المصباح المنير : الجيم مع الدال]

وقد عاب الله تعالى من جادل في آياته بقوله : ﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ﴾ [سورة غافر آية : ٣٥] ، لأن الجدل بها هو الصحيح ، والجدال فيها رد ودفع .

الرابع : المراء ، قال الله : ﴿وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾ [سورة البقرة آية : ١٩٧] ، فنهى عن المراء الواقع بين المترافقين في طريق الحج ، لأن لا يؤديها ذلك إن فعلاه إلى قول ما لا ينبغي تعظيها لأمر الحج .

وقيل معناه : أن الحج قد تبين وجوهه فلا ينسى ولا يشك فيه ، ونحوه : ﴿مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ [سورة غافر آية : ٤] أي : لا يباري ، والمراء أن تستخرج ما عند خصمك بالمناظرة ، وأصله من المري ، وهو استخراج اللبن من الضرع .

الجن^(١)

أصله الستر ، ومنه الجنة وهي البستان الذي تشتبك فيه الشجر ، حتى يستر من يدخله .
والجنة السلاح ، لأنها تستر عورة صاحبه عن قرنه ، يقال : أعور الفارس إذا انكشف
منه موضع للضرب أو الطعن .

والمجنون المستور على عقله ، وقد جن وأجنه الله ، ولا يقال جنه ، ومثله أجده الله وهو
مجدود ، وقد جد ولا يقال : جده الله وليس مجدود من أحد ، لأن ذلك نقص للأصل ، وإنها
هو على معنى أن ذلك فيه ، وكذلك أجنة الله ، وهو مجنون ، أي : فيه جنون وليس مجنون من
أجن .

والولد ما دام في بطن أمه جنين ، والجمع أجنة ، لأنه مستور ، وفي القرآن : ﴿ وَإِذْ أَنْتُمْ
أَجْنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ [سورة النجم آية : ٣٢] .

والجان يقع على واحد من الجن ، والجن مثل الإنس يقع على الجمع .
والجن في القرآن على وجهين :

(١) [جن] : الجن : جماعة وَلَدِ الْجَانِّ ، وجمعهم الْجِنَّةُ وَالْجِنَانُ ، سُمُّوا بِهِ لَا سِتْجَانَهُمْ مِنَ النَّاسِ فَلَا يُرَوْنَ .
والجان أبو الجن خُلِقَ مِنْ نَارٍ ثُمَّ خُلِقَ نَسْلُهُ .
والجان : حية بيضاء ، قال الله عز وجل " تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلِي مُدِيرٌ " .
والمَجَنَّةُ : الجنون ، وَجَنَّ الرَّجُلُ ، وَأَجَنَّهُ اللَّهُ فَهُوَ يَجُنُّونَ وَهُمْ يَجَانِنُونَ .
ويقال به جَنَّةٌ وَجَنُونٌ وَجَنَّةٌ ، قال :

من الدارميين الذين دماؤهم *** شفاء من الداء المَجَنَّةِ والحبل

وأرض مَجَنَّةٌ : كثيرة الجن .

والجنان : رُوحُ الْقَلْبِ ، يقال : ما يَسْتَفِرُّ جَنَانُهُ مِنَ الْفَرَعِ .

وَأَجَنَّتِ الْحَامِلُ الْجَنِينَ أَيِ الْوَلَدِ فِي بَطْنِهَا ، وَجَعَهُ أَجَنَةً .

وقد جَنَّ الْوَلَدُ يَجُنُّ فِيهِ جَنًّا ، قال : حتى إذا ما جَنَّ فِي مَاءِ الرَّجَمِ وَيُقَالُ : أَجَنَّةُ اللَّيْلِ وَجَنٌّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ إِذَا
أَظْلَمَ حَتَّى يَسْتَرَهُ بِظُلُمَتِهِ .

واستجن فلان إذا استتر بشيء . [العين : الجيم مع النون]

الأول : الملائكة ، قال الله تعالى : ﴿ وَجَعَلُوا اللَّهَ شُرَكَاءَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٠٠] ، يعني : الملائكة ، وذلك أنهم كانوا عبدوها ، وسأهم جنا ؛ لأنهم مستورون عن الأبصار .

وذكر بعض المفسرين أنهم الجن ، وليسوا بملائكة ، وكانت العرب تعبد الجن ، وتذهب إلى أن سروات الجن بنات الله ، وفي الخبر أنه لما هدمت العزى خرجت منها جنية منفشة شعرها تدعوا بالويل فحمل خالد بن الوليد عليها فقتلها .

الثاني : الجن المعروف من غير خلاف ، قال الله : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [سورة الذاريات آية : ٥٦] ويجوز أن تدخل الملائكة في ذلك ، وقوله : ﴿ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ ﴾ [سورة الأحقاف آية : ٢٩]

الباب السادس

فيما جاء من الوجوه والنظائر في أوله حاء

الحسنة^(١)

أصل الكلمة القبول ، والحسن ما تقبله النفس إذا رأته ، والحسنة الخصلة التي تقبلها النفس .

والإحسان ما تشتهي النفس وتقبله ، ونقيضه الإساءة ، وهي التي تكرهها وتردها ، ويقال : حسن الشيء ، وهو حسن على غير الأصل ، وإنما الأصل حسين كما يقال : قبيح وهو قبيح ، ويجوز أن يقال : حسن أحسن من حسن ، ولا يقال : صدق أصدق من صدق ، ولأن الحسن فاعل ، والفاعل يصح فيه أفعل ، والصدق مصدر ولا يصح في المصادر ذلك ولو لم يكن حسن أحسن من حسن لم يكن للمبالغ في قولهم : ما أحسن زيدا فائدة ، ويقولون هذه الخصلة الحسنى ، والمرأة الحسنة .

ولا يقال في التذكير أحسن ، ولا يجوز أن يوصف الله بالحسن ؛ لأن الحسن حال في الحسن ألا تراه يقبح بعد أن كان حسنا ، ولا يجوز أن يكون الله محلا للأشياء ، ولا يجوز أن يقال بأن الله حسن في العقل أيضا ؛ لأنه لا يتصور للعقول فيحسن فيها كالحكمة والصلاح الحسن في العقول لتصوره لها .

والحسنة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : النصرة والغنيمة ، قال الله تعالى : ﴿ إِن تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ [سورة آل عمران آية ١٢٠] يعني : ما كانت لهم من الدولة يوم بدر ، وكذلك المعنى في هذه الآية من

(١) حَسَنُ الشَّيْءِ فَهُوَ حَسَنٌ . وَالْحَسَنُ : الموضع الحسن في البدن ، وجمعه حَمَاسَنٌ . وامرأة حَسَنَاءُ ، وَرَجُلٌ حُسْنَانٌ ، وَقَدْ يَجِيءُ فُعَالٌ نَعْتًا ، رَجُلٌ كَرَامٌ ، قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَزَ - : " مَكْرَأُ كِبَارًا " .
وَالْحُسْنَانُ : الْحَسَنُ جَدًّا ، وَلَا يُقَالُ : رَجُلٌ أَحْسَنٌ . وَجَارِيَةٌ حُسْنَاءُ .
وَالْمَحَاسِنُ مِنَ الْأَعْمَالِ ضِدُّ الْمَسَاوِي ، قَالَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - : " لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ " أَيِ الْجَنَّةِ وَهِيَ ضِدُّ السُّوءِ . [العين : حسن]

سورة النساء وبراءة ، وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِيبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٢٠] يعني : القتل والهزيمة ؛ هكذا جاء في التفسير .

ويموز عندنا أن يدخل في الحسنة هاهنا جميع ما ينالهم من المحبوب ، وفي السيئة جميع ما يصيبهم من المكروه .

الثاني : العمل الصالح ، قال الله تعالى : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٠] ، وقوله : ﴿ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا ﴾ [سورة النمل آية : ٨٩] والسيئة التي في هاتين الآيتين بمعنى المعصية ، وقرئ : ﴿ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٠] ، بالإضافة أي : عشر حسنات أمثالها وقرئ : ﴿ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ على أن أمثالها من صفة العشر .

فإن قيل : كيف قال : ﴿ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٦٠] والمثل مذكر ؟ قلنا : لأنه مضاف إلى مؤنث ، وهي في المعنى أيضا حسنة أو درجة فأنت على المعنى ، وأراد بذكر العشر التكثير ولم يرد عشر بعينها ، كما تقول : إن كلمتي واحدة كلمتك عشرا ؛ وكذلك قوله : ﴿ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً ﴾ [سورة التوبة آية : ٨٠] أراد التكثير ، ولم يرد عددا بعينه ، ألا ترى أنه لو زاد على السبعين لم يغفر الله لهم أيضا .

الثالث : الخصب والسعة ، قال الله تعالى : ﴿ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ ﴾ [سورة النساء آية : ٧٨] ، يقول إن أصابهم خير وسعة وخصب نسبوه إلى الله تعالى ، وإن أصابهم ضيق وقحط نسبوه إليك ، وقالوا : إنما نالنا ذلك من شؤمك ، ومثله قوله : ﴿ ثُمَّ بَدَلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ ﴾ [سورة الأعراف آية : ٩٥] ، أي : بدل الضيق بالسعة ، ومثله : ﴿ وَبَلَّوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٦٨] ، أي : اخترناهم بالضيق والسعة والبلوى .

والاختبار والتجربة سواء ، وحقيقة معناه فعل ما يحدث معه العلم بالبلو المختبر ، ولا يجوز ذلك على الله ، لأنه عالم بنفسه .

وإنما المراد أنه يكلف عباده ويأمرهم وينهاهم ، لأن الابتلاء والامتحان هو الأمر والنهي ، فسمى الله تكليفه وأمره عباده ابتلاء من هذا الوجه على سبيل التوسع .

ولا يجوز أن يقال أنه مجرد عباده ، وإن كان الابتلاء والتجريد بمعنى واحد ، وذلك أن استعمال الابتلاء في الله مجاز ، والمجاز لا يقاس عليه ، وإنما يقاس على الحقائق ، ولولا أن أهل اللغة استعملوا الابتلاء في الله لم يميز استعماله فيه والعلة التي في الابتلاء ليست في التجربة وهي الاستعمال

ولو جاز القياس على المجاز لجاز أن تقول : سل الحمار وسل الشاة ، وأنت تريد صاحبها ، كما جاء : ﴿ وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ ﴾ [سورة يوسف آية : ٨٢] أي : أهلها ، وفي امتناع ذلك دليل على ما قلنا .

الرابع : العافية والسلامة ، قال الله تعالى : ﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ ﴾ [سورة الرعد آية : ٦] ، يعني : أنهم يريدون تقديم العذاب لهم في الدنيا على ما هم فيه من العافية فيها ، وقوله : ﴿ فَأَمْطِرَ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٣٢] .

الخامس : العفو والمعروف من القول ، قال : ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾ [سورة الرعد آية : ٢٢] ، أي : يدفعون القول القبيح المؤذي بالقول الحسن مرة وبالعفو أخرى ، والمعنى أنهم يتغافلون عنه فينقطع ، وكأنهم دفعوه ، ولو أجابوا عنه زيد فيه .

وقيل : معناه أنهم يدفعون بما يعملون من الحسنات ما تقدم لهم من السيئات ، قاله الزجاج ، وهو غلط لأن ما تقدم لا يدفع ، وإنما يقال ذلك في المستقبل ، وقال تعالى : ﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [سورة فصلت آية : ٣٤] ، أمره بالصفح والتغافل .

والمعنى لا تستوي الحسنة والسيئة ، ولا دخلت تأكيدا ، و : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ ، أي : ادفع السيئة ، وما يلحق بها تقدم أن حد الحسن الفعل الذي يدعوا إليه العقل ، وحد القبيح الفعل الذي يزجر عنه العقل ، والإحسان الدفع الحسن ، والإساءة الضرر القبيح .

وكل فعل مقصود لا يخلوا من أن يكون حسنا أو قبيحا ، وتدخل في الحسنة الفرائض
والتوافل ، ولا يدخل فيها المباح ؛ لأن الحسنة مرغوب فيها ولا يجوز أن يرغب في المباح ؛ لأن
ذلك قبيح ، والمباح حسن وليس بحسنة .

الحبل

أصله من الإمساك ، ومنه قيل : الحابول للحبل الذي يصعد به في النخلة ، والحباله شبكة الصائد ، والمحتبل الصائد ، وكذلك الحابل .

وهو في القرآن على وجهين :

الأول : القرآن ، قال الله تعالى : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ ^(١) [سورة آل عمران آية : ١٠٣] ، أي : بكتابه ، وسماه حبلا لما فيه من توكيد الحجج والبيان ، كما يؤكد العهد ، والحبل عند العرب العهد .

الثاني : الأمان ، قال الله تعالى : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ ﴾ ^(٢) [سورة آل عمران آية : ١١٢] ، أي : بأمان ، قال الأعشى :

وَإِذَا تَجَاوَزَهَا حِبَالٌ قَبِيلَةٍ أَخْرَجَتْ
لَذتْ مِنَ الْآخِرَى إِلَيْكَ حِبَالَهَا

(١) قال الشوكاني : قوله : ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا ﴾ الحبل لفظ مشترك ، وأصله في اللغة السبب الذي يتوصل به إلى البغية ، وهو : إما تمثيل ، أو استعارة . أمرهم سبحانه بأن يمتنعوا على التمسك بدين الإسلام ، أو بالقرآن ، ونهاهم عن التفرق الناشئ عن الاختلاف في الدين ، ثم أمرهم بأن يذكروا نعمة الله عليهم ، ويؤمن لهم من هذه النعمة ما يناسب المقام ، وهو أنهم كانوا أعداء مختلفين يقتل بعضهم بعضاً ، وينهب بعضهم بعضاً ، فأصبحوا بسبب هذه النعمة إخواناً وكانوا على شفا حفرة من النار بما كانوا عليه من الكفر ، فأنتقذهم الله من هذه الحفرة بالإسلام . [فتح القدير : ٢٥ / ٢]

(٢) قال الرازي : ﴿ إِلَّا بِحَبْلِ مَنْ اللَّهِ وَحَبْلِ مَنْ النَّاسِ ﴾ [آل عمران : ١١٢] أي بعهد ، وإنما سمي العهد حبلاً لأنه يزيل عنه الخوف من الذهاب إلى أي موضع شاء ، وكان كالحبل الذي من تمسك به زال عنه الخوف ، وقيل : إنه القرآن ، روي عن علي رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أما إنها ستكون فتنة » قيل : فما المخرج منها ؟ قال : « كتاب الله فيه نيا من قبلكم وخبر من بعدكم وحكم ما بينكم وهو حبلى الله المتين » وروي عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « هذا القرآن حبلى الله » وروي عن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « إني تارك فيكم الثقلين ، كتاب الله تتلأ حبلى ممدود من السماء إلى الأرض ، وعترتي أهل بيتي » وقيل : إنه دين الله ، وقيل : هو طاعة الله ، وقيل : هو إخلاص التوبة ، وقيل : الجماعة ، لأنه تعالى ذكر عقيب ذلك قوله ﴿ وَلَا تَفَرَّقُوا ﴾ وهذه الأقوال كلها متقاربة ، والتحقيق ما ذكرنا أنه لما كان النازل في البريعتصم بحبل تحرزاً من السقوط فيها ، وكان كتاب الله وعهده ودينه وطاعته وموافقة لجماعة المؤمنين حرزاً لصاحبه من السقوط في قعر جهنم جعل ذلك حبلاً لله ، وأمرُوا بالاعتصام به . [مفاتيح الغيب : ٣٢٦ / ٤]

ومعنى الآية أن اليهود لا يزالون مقهورين أذلاء إلا أن يأخذوا بحبل الله ، أي : إلا أن يكونوا ذمة للمسلمين ، وعنّى بالناس النبي عليه السلام والمسلمين ، وهذا خبر غيب ، وفيه دلالة على صحة الدعوة ، وقال : ﴿ مِنْ اللَّهِ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١٢] ، أي : من أولياء الله .

ويجوز أن يكون عنى قولك لمن تعاهده إذا فعلت كذا ، فأنت أمين بأمان الله وأمان الرسول .

وقال الفراء : أراد إلا أن يعتصموا بحبل من الله فحذف لبيان المعنى ، وقال الأخفش : هذا مثل قوله تعالى ﴿ لَنْ يَضُرَّكُمْ إِلَّا أَذًى ﴾ [سورة آل عمران آية : ١١١] ، وهو استثناء خارج من أول الكلام ، وهو بمعنى لكن ، وليس بأشد من قوله : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ﴾ [سورة مريم آية : ٦٢] .

الحسنى

قد مضى القول فيها قبل .

وجاءت في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : الخلف من النفقة في سبيل الله ، وهو قوله : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ ^(١) [سورة الليل آية : ٦] ، ومثله قوله : ﴿ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ﴾ [سورة الليل آية : ٩] ، أي : بما يخلفه الله عليه في الآخرة .

الثاني : الخير ، قال الله تعالى : ﴿ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى ﴾ [سورة التوبة آية : ١٠٧] ، أي : الخير وتأتيها على معنى الخصلة والحلة والحال ، وهي تأتيه الأحسن فكأنه سمي الخير خصلة أو حلة ، وقد يقع ذلك على الخير والشر ، يقول هذه خصلة محمودة يعني : الخير ، وهذه خصلة مذمومة ، يعني : الشر .

الثالث : الجنة ، قال الله تعالى : ﴿ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ ﴾ [سورة يونس آية : ٢٦] ، وقال : ﴿ إِنْ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحُسْنَى ﴾ [سورة الأنبياء آية : ١٠١] ، يعني : الجنة كذا قيل ، ويجوز أن يكون المعنى : الذين سبق لهم من الحسنى العدة الحسنة ، وهم المؤمنون لأن الله وعدهم أحسن العدة .

(١) قال الرازي : قوله : ﴿ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى ﴾ فالحسنى فيها وجوه أحدها : أنها قول لا إله إلا الله ، والمعنى : فأما من أعطى واتقى وصدق بالتوحيد والنبوة حصلت له الحسنى ، وذلك لأنه لا ينفع مع الكفر إعطاء مال ولا اتقاء محارم ، وهو كقوله : ﴿ أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ ﴾ [البلد : ١٤] إلى قوله : ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ [البلد : ١٧] وثانيها : أن الحسنى عبارة عما فرضه الله تعالى من العبادات على الأبدان وفي الأموال كأنه قيل : أعطى في سبيل الله واتقى المحارم وصدق بالشرائع ، فعلم أنه تعالى لم يشرعها إلا لما فيها من وجوه الصلاح والحسن وثالثها : أن الحسنى هو الخلف الذي وعده الله في قوله : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ [سبا : ٣٩] والمعنى : أعطى من ماله في طاعة الله مصداقاً بما وعده الله من الخلف الحسن ، وذلك أنه قال : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢٦١] فكان الخلف لما كان زائداً صح إطلاق لفظ الحسنى عليه . [مفاتيح الغيب : ٥٨/١٧]

الرابع : الهداية ، قال الله تعالى : ﴿ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ هُمُ الْحَسَنَى ﴾ [سورة النحل آية : ٦٢] ، أي : يزعمون مع قبح فعلهم أنهم على الهداية ، وجاء في التفسير أن الحسنى هاهنا اليقين .

والمراد تصف ألسنتهم أن لهم الحسنى بدل ، أي : اليقين ، وهم كاذبون في ذلك ، أي : هم في شك أو شبهة وإن بدل من الكذب المعنى ، وتصف ألسنتهم أن لهم الحسنى ، وذلك الكذب لا جرم أن لهم النار رد لقولهم المعنى جرم فعلهم هذا أن لهم النار ، أي : كسب ، والجرم الكسب .

وقال قطرب : أن في موضع رفع ، والمعنى وجب أن لهم النار ، وأنهم مفرطون مقدمون للنار ، وقرئ ﴿ مُفْرَطُونَ ﴾ بفتح الراء مع التشديد ، أي : متروكون كأنهم جعلوا مقدمين إلى العذاب متروكين فيه ، وقرئ ﴿ مُفْرَطُونَ ﴾ بكسر الراء وتشديده أي : فرطوا في الدنيا .

الحسن

على ثلاثة أوجه :

الأول : قوله عز وجل : ﴿ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾^(١) [سورة البقرة آية : ٨٣] ، وهي قراءة أي : حقا كذا قيل ، ويجوز أن يكون المراد أن قولوا لهم قولوا حسنا ، وهو أولى ؛ لأنه على مقتضى اللفظ .

الثاني : بمعنى المحتسب ، وقال تعالى : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قرصًا حسنًا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٤٥] ، أي : محتسبا كذا قيل ، ويجوز أن يقال : أن القرض الحسن هو للبر والصدقة التي لا من فيها ، وسمي ذلك قرضا ؛ لأنه يقرض من المال أي : يقطع منه ، والقرض القطع ، ويجوز أن يكون سماه قرضا ؛ لأنه يرد عليه جزاؤه ، فكأنه رد عليه بعينه كالقرض يرد على المقرض .

الثالث : الجنة ، قال الله : ﴿ أَقْمِنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حسنًا ﴾ [سورة القصص آية : ٦١] ، يعني : الجنة ، ويجوز أن يكون حسنا أي : حسن المسموع .

(١) قال الشوكاني : معنى قوله : ﴿ قُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ أي : قولوا لهم قولاً حسناً ، فهو صفة مصدر محذوف ، وهو : مصدر كبرى . وقرأ حمزة ، والكسائي : «حسناً» بفتح الحاء ، والسين ، وكذلك قرأ زيد بن ثابت ، وابن مسعود . قال الأخفش هما بمعنى واحد ، مثل البخل ، والبخل ، والرشد ، والرشد ، وحكى الأخفش أيضاً : «حسنى» بغير تنوين على فعل . قال النحاس : وهذا لا يجوز في العربية ، لا يقال من هذا شيء إلا بالالف ، واللام نحو الفضلى ، والكبرى ، والحسنى ، وهذا قول سيبويه . وقرأ عيسى ، بن عمر : «حُسْنًا» بضمين ؛ والظاهر أن هذا القول الذي أمرهم الله به لا يختص بنوع معين ، بل كل ما صدق عليه أنه حسن شرعاً كان من جملة ما يصدق عليه هذا الأمر ، وقد قيل : إن ذلك هو : كلمة التوحيد . [فتح القدير : ١/ ١٢٣]

الحكمة^(١)

أصلها المنع ، يقال : أحكمت الرجل عن كذا ، أي : منعت عنه ، وسميت الكلمة الواعظة حكمة ، لأنها تمنع عن التورط في الجهل ، ومن ثم قيل : حكمة الراية ، وقال جرير :

أَبْنِي خَيْفَةً أَحْكُمُوا سُفَهَاكُكُمْ
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَ

وسمي الحكم حكماً ؛ لأنه إذا تم منع عن التخاصم ، وسمي العلم حكمة ؛ لأنه يمنع صاحبه من الموارد القبيحة التي يردّها الجاهل .

وتسمية الله بأنه حكيم على وجهين :

أحدهما : يستحقه لذاته ، وهو أنه عالم .

والآخر : يستحقه لفعله ، وهو أن أفعاله محكمة ، وفعل بمعنى مفعول معروف في اللغة ، يقال : سمع بمعنى مسمع ، قال عمرو بن معدى كرب :

أَمِنْ رِيحَانَةِ الدَّاعِي السَّمِيعِ

ويجيء فعل بمعنى مفعول ، وفي القرآن : ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [سورة الدخان آية : ٤] ، وبصير بمعنى مبصر ، وهذا من الأول .

والحكمة في القرآن على خمسة أوجه :

الأول : الحلال والحرام والسنن والأحكام ، قال الله : ﴿ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٣١] ، فالكتاب القرآن ، والحكمة ما فيه من وجوه التحليل والتحريم ومعرفة الشريعة كلها ، والدليل على صحة ذلك أنه أتى بذلك بعد بيان الأحكام ،

(١) الْحِكْمَةُ : مَرْجِعُهَا إِلَى الْعَدْلِ وَالْعِلْمِ وَالْحِلْمِ . وَيُقَالُ : أَخْكَمْتُهُ التَّجَارِبُ إِذَا كَانَ حَكِيمًا . وَأَخْكَمَ فَلَانٌ عَنِي كَذَا ، أَي : مَنَعَهُ ، قَالَ :

أَلَّمَا يَحْكُمُ الشُّعْرَاءُ عَنِّي

وَأَسْتَحْكِمُ الْأَمْرُ : وَثَقُ . وَاحْتَكَمَ فِي مَالِهِ : إِذَا جَازَ فِيهِ حُكْمُهُ . وَالْأَسْمُ : الْأَحْكَومَةُ وَالْحُكُومَةُ ، قَالَ الْأَعَشَى : وَلَمَثَلُ الَّذِي جَمَعَتْ لَرَبِّهِ الدَّهْرُ يَأْبَى حُكُومَةَ الْمُقْتَالِ أَي لَا تَنْقُذُ حُكُومَةً مِنْ يَحْتَكِمُ عَلَيْكَ مِنَ الْأَعْدَاءِ . وَالْمُقْتَالُ : الْمُفْتَعِلُ مِنَ الْقَوْلِ حَاجَةً مِنْهُ إِلَى الْقَافِيَةِ . [العين : حكم]

وشرح الحلال والحرام ، وسمي ذلك حكمة ؛ لأنه يمنع من الوقوع في المحذور ، ومثله : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٣] .

الثاني : الفهم والعلم ، قال الله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ ﴾ [سورة لقمان آية : ١٢] ، وقال : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ﴾ [سورة مريم آية : ١٢] ، يعني الحكمة ، وهو الفهم والعلم والحكمة والحكم سواء ، وهو مثل العذر والعذرة ، والقل والقللة ، والنحل والنحلة ، وهي العطية والخير والخيرة .

ومثله : ﴿ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨٩] ، يعني : الفهم ، وقال : ﴿ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ [سورة يوسف آية : ٢٢] ، ويجوز أن يكون الحكم هنا القضاء ، أي : جعله قاضيا بين الناس ، وقال : ﴿ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٤٣] ، أي : علمناه الخط ، يقال : كتب كتابا ، والحكمة : ما أجري على لسانه من الكلم الداعية إلى الرشد الزاجرة عن الغي ، وقيل : الحكمة هنا الشرائع .

الثالث : النبوة ، قال : ﴿ وَآتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، يعني : النبوة ، ومثله : ﴿ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْخِطَابِ ﴾ [سورة ص آية : ٢٠] ، يعني : النبوة ، والفصل الذي ينفصل به بين المتخاصمين ، وقيل : فصل الخطاب هو أما بعد وداود أول من قاله ، والأول الوجه . ومثله : ﴿ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٥١] ، أي : النبوة ، أي : أتى الله داود الملك والحكمة بعد قتل جالوت ، فدل على أن ملك جالوت انتقل إلى داود بعد قتله جالوت أو بعد موت طالوت .

الرابع : تفسير القرآن ، قال : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٦٩] ، قالوا : يعني العلم بتفسير القرآن ، ويجوز أن تكون الحكمة القرآن نفسه ، ومصدق ذلك قوله تعالى : ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبِّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] .

وميجوز أن تكون النبوة والشاهد قوله : ﴿ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾ [سورة النساء آية : ٥٤] ، ويجوز أن يكون العلم والأصالة كقوله : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ

الحِكْمَةُ ﴿ [سورة لقمان آية : ١٢] ، وجماع الحكمة ، والحكم الرد إلى الصواب فكل ما رد إلى الصواب حكمة وحكمه التامة من ذل ؛ لأنها ترد إلى القصد .

الخامس : القرآن ، قال : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥] يعني القرآن ونظيره : ﴿ ذَلِكَ بِمَا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] ، ويجوز أن يكون المعنى في قوله : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ ﴾ [سورة النحل آية : ١٢٥] ، القرآن ، وغيره من الكلم المرشدة الزاجرة ، وكل ذلك تسمى حكمة .

الحشر

أصل الحشر الجَمْعُ مع السوق^(١) ، قال الله تعالى : ﴿وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ﴾ [سورة الشعراء آية : ٣٦] ، أي : رجالا يجمعون السحرة إليك ، ويقال : حشرت القوم إذا جمعتهم وسقتهم ، ويجوز أن يكون أصله من الخفة كأن الذي تحشره يخف لك ، ولهذا قيل : إذن حشرة ، أي : حقيقة ، وسهم حشرات خفيف ، وحشرات الأرض صغار دوابها ، وناقاة حشور ملززة الحلق ، وقيل : المتفخخة الجنين العظيمة البطن كأنها من الأضداد .

وفسر الحشر في القرآن على وجهين :

الأول : الجمع ، قال الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ [سورة يونس آية : ٢٨] ، أي : نجمعهم ، قال : ﴿وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [سورة الكهف آية : ٤٧] ، ومثله : ﴿وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾ [سورة التكويد آية : ٥] ، أي : جمعت ، وقوله : ﴿وَحْشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ﴾ [سورة النمل آية : ١٧] ، وقال : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٢] ، ولا يكون هذا بمعنى السوق ، لأنه يقال : ﴿وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة الصافات آية : ٢٢-٢٣] ،

(١) [حشر] : الحَشْرُ : حَشْرُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَالْمَحْشَرُ : الْمَجْمَعُ ، وهو الْمَحْشَرُ أيضاً . وَحَشَرْتُهُمُ السَّنَةَ : صَمَّنْتُهُمُ مِنَ النَّوَاحِي ، وَتَهْلِكُ فِي خِلَالِ ذَلِكَ . وَالْحَشْرَةُ : صِغَارُ دَوَابِّ الْأَرْضِ ، وَالْجَمِيعُ الْحَشَرَاتُ . وَالْحَشَوْرُ مِنَ الدَّوَابِّ : كُلُّ مُلْزَزِ الْخَلْقِ سَلِيدِهِ . وهو أيضاً : الْعَظِيمُ الْجَنِينِ . وَالْحَشْرُ مِنَ الْأَذَانِ وَمَنْ قُدِّدَ رِيشُ السَّهَامِ : مَا لَطَفَ . وَحَشَرْتُ السَّنَانَ فهو مَحْشُورٌ : رَفَقْتُهُ . وَالْحَشْرَةُ : الْقِشْرَةُ تَكُونُ عَلَى حَبِّ السُّبُّلَةِ ، وَمَوْضِعُ ذَلِكَ : الْمَحْشَرَةُ . وقيل : هو مَا بَقِيَ فِي الْأَرْضِ مِنْ نَبَاتٍ بَعْدَ حَصْدِ الزَّرْعِ ، وَيَنْبُتُ أَخْضَرَ . وَوُطِبَ حَشِيرٌ : اجْتَمَعَ عَلَيْهِ الْوَسَخُ . وَحَشِيرٌ فَلَانٌ فِي رَأْسِهِ وَاحْتُشِرَ : كَذَلِكَ . وَعَجُوزٌ حَشَوْرَةٌ : هِيَ الْمُتَطَرِّفَةُ الْبَهِيمَةُ . [المحيط في اللغة : حشر]

(٢) الفرق بين الحشر والجمع : أن الحشر هو الجمع مع السوق ، والشاهد قوله تعالى " وابعث في المدائن حاشرين " أي إبعث من يجمع السحرة ويسوقهم إليك ، ومنه يوم الحشر لأن الخلق يجمعون فيه ويساقون إلى الموقف ، وقال صاحب المفصل : لا يكون الحشر إلا في المكروه ، وليس كما قال لان الله تعالى يقول " يوم نحشر المشقين إلى الرحمن وفدا " . [الفروق اللغوية : ١/ ١٨٨]

يعني : الأصنام ، والأصنام لا تساق ، ولكن يجمع على أنه يقال في الجهاد والأغراض السوق على سبيل المجاز .

الثاني : السوق ، قال الله : ﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمًى وَبُكْمًا وَضُمًّا ﴾ [سورة الإسراء آية : ٩٧] ، أي : نسوقهم ، وقال : الأول الحشر يعني : سوقهم إلى الشام ، وجعله أولا لأن الناس يحشرون إلى الشام يوم القيامة ، أي : يجمعون ويساقون ، وهؤلاء بنو النضير ، أخرجهم الله من ديارهم واعتمها النبي صلى الله عليه وسلم وقيل لأول الحشر ، أي : هو أول ما حشروا : ﴿ وَأَخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٩٥] ، وهذا أصح وأقرب .

الحق^(١)

الحق : العقد على المعنى على ما هو به ، ويدعوا إليه الحكمة ، والحق في الدين ما شهد به الدليل على الثقة فيما طريقه العلم والقوة فيما طريقه غالب الظن .

والحق أعم من الأصلح ، لأن الأصلح حق وإلا دون في الصلاح حق ، ومعنى الحق وقوع الشيء في موقعه .

والصلاح : استقامة الشيء على مقدار ، وأصله من الثبات ، ويقول : تحققت الشيء ، أي : ثبت عندي ، وهذا حقك ؛ لأنه قد ثبت لك ملكه ، والحق من الإبل الذي يثبت للعمل .

والحق خلاف الباطل ؛ لأنه يثبت ، والحق في أسماء الله تعالى بمعنى أنه الدائم الثابت الملك غير زائل السلطان ، وأنا أحق بكذا ، أي : هو أثبت لي ، وفي القرآن : ﴿ أَقْمَنَ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ ﴾ [سورة يونس آية : ٣٥] ، وقال : ﴿ فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ ﴾ [سورة الأنعام آية : ٨١] .

وفسر الحق في القرآن على عشرة أوجه :

(١) [حق] : الحقُّ نقيض الباطل . حقُّ الشيء يُحَقُّ حقًّا أي وَجِبَ وجوباً . وتقول : يُحَقُّ عليك أن تفعل كذا ، وأنتَ حَقِيقٌ على أن تفعله . وَحَقِيقٌ فَعِيلٌ في موضع مفعول .
وقول الله عزَّ وجلَّ - : ﴿ حَقِيقٌ عَلَى أَنْ لَا أَقُولَ ﴾ معناه مُحَقَّقٌ كما تقول : واجب . وكلُّ مفعول رُدُّ إلى فَعِيل فمذكَّره ومؤنثه بغير الهاء ، وتقول للمرأة : أنتِ حَقِيقَةٌ لذلك ، وأنتِ مُحَقَّقَةٌ أن تفضلي ذلك ، قال الأعشى :

لِمُحَقَّقَةٍ أَنْ تَسْتَجِيبِي لِمَوْتِهِ *** وَأَنْ تَعْلَمِي أَنَّ الْمَعَانَ مُوقَفٌ

والحقَّة من الحقِّ كأنها أوجبُّ وأخصُّ . تقول : هذه حَقَّتِي أي حَقِّي .

قال : وَحَقَّةٌ لَيْسَتْ بِقَوْلِ التَّوَهُةِ .

والحقيقة : ما يصيرُ إليه حقُّ الأمر ووجوبه . وبلغتُ حَقِيقَةَ هذا : أي يقين شأنه . وفي الحديث : " لَا يُلْغُ أَحَدُكُمْ حَقِيقَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى لَا يَعِيبَ عَلَى مُسْلِمٍ بَعْيبٌ هُوَ فِيهِ " .

وحقيقة الرجل : ما لَزِمَهُ الدفاعُ عنه من أهل بيته ، والجميع حقائق .

وتقول : أَحَقُّ الرَّجُلُ إِذَا قَالَ حَقًّا وَادَّعَى حَقًّا فَوَجِبَ لَهُ وَحَقَّقَ ، كقولك : صدَّقَ وَقَالَ هذا هو الحق .

[العين : ١/١٢٦]

الأول : يعني : به الله تعالى ، قال : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧١] ، قالوا : معناه لو اتبع الله أهواءهم ، ويجوز أن يكون الحق هاهنا هو الحق في قوله تعالى : ﴿ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، : ﴿ وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧١] ، أي : لو كان التنزيل بما يحبون لفسدت الأمور ، وفسر قوله أيضا : ﴿ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ ﴾ [سورة العصر آية : ٣] ، أي : أن الله واحد ، وهذا بعيد ، والصحيح أن بعضهم يوصي بعضا باستعمال الحق وترك تجاوزه .

الثاني : القرآن ، قال الله : ﴿ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ ﴾ [سورة الزخرف آية : ٢٩-٣٠] ، يعني : القرآن قالوا : هذا سحر ، وإنما سموه سحرا لخفاء مسلكه عندهم ، وقال : ﴿ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ ﴾ [سورة ق آية : ٥] ، وقال : ﴿ فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أُوتِيَ مِثْلَ مَا أُوتِيَ مُوسَى ﴾ [سورة القصص آية : ٤٨] ، أو لم يكتفوا من الدلالة بالقرآن مع عجزهم عنه فطلبوا مثلا آيات موسى فأخبرهم أنهم مع تلك الآيات أيضا كفروا على الحجة في القرآن أبلغ منها في قلب العصا حية ؛ لأن التحدي بالقرآن قد وقع على قوم كان صناعتهم الكلام .

وكان السحر في أيام موسى عليه السلام في القليل من الناس كهو فينا اليوم ، ولأن القرآن يبقى على الأيد ويقف عليه في الأطراف ، من لا يقف على أمر للعصا إلا بالإخبار .

الثالث : الإسلام ، قال الله تعالى : ﴿ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٨١] ، يعني : مجيء الإسلام وذهاب الشرك ، والزهوق الهلاك ، وقال : ﴿ لِيُحِقَّ الْحَقُّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلُ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٨] ، أي : ثبت الإسلام ويزيل الشرك .

الرابع : العدل ، قال الله : ﴿ يَوْمَئِذٍ يُوفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ﴾ [سورة النور آية : ٢٥] ، أي : جزاءهم العدل : ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴾ [سورة النور آية : ٢٥] ، وقربت منه : ﴿ بَلْ جَاءَهُم بِالْحَقِّ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٧٠] ، أي : بالعجز ، ويجوز أن يكون اسلم عنى بالصدق ، ويجوز أن يكون الحق هاهنا خلاف الباطل ؛ لأنه قال : ﴿ وَأَكْثَرُهُم لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴾ [سورة النور آية : ٧٠] ، على حسب ما تقول : الحق مر .

الخامس : الصدق ، قال الله : ﴿وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا﴾ [سورة النساء آية : ١٢٢ ، يونس : ٤ ، لقمان : ٩] أي : صدقنا ، وقال : ﴿قَوْلُهُ الْحَقِّ﴾ [سورة الأنعام آية : ٧٣] ، يعني : الصدق .

السادس : حق بمعنى وجب ، قال الله : ﴿وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [سورة السجدة آية : ١٣] ، أي : وجب ، : ﴿وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ﴾ [سورة غافر آية : ٦] ، يعني : وجبت .

السابع : الحق خلاف الباطل قال الله : ﴿مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [سورة الحجر آية : ٨٥] ، أي : للحق ، يقول : ليعمل فيها بالحق دون الباطل ، وفيه دليل على بطلان قول المجبرة .

الثامن : قوله تعالى : ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ﴾ [سورة الأنعام آية : ٦٢] ، أي : مولاهم على الحقيقة .

التاسع : بمعنى الدين ، قال : ﴿وَلِيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] ، أي : الذي عليه الدين ، وإنما يملئ الذي عليه الحق ؛ لأنه مشهود عليه وإملاؤه إقراره تشهد به عليه ، : ﴿وَلَيَتَّقِ اللَّهَ رَبُّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] أي : ليتق عذاب الله ولا ينقص مما عليه شيئا .

وفي هذا دلالة على أن القول قول المطلوب فيما يقر به ، لأن البخس النقصان ، وقد وعظه الله أن ينقص فدل على أنه إذا بخس ، أو ذكر الزيادة أو نقص الأجل أن القول قوله فيه .

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَلَا يَحِلُّ لَكُنَّ أَنْ يَكْتُمَنَّ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٢٨] ، لما وعظهن الله في الكتمان ، دل على أن القول قولهن في الحمل ، : ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُجِبَلَ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيَهُ بِالْعَدْلِ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨٢] أي : فإن كان ضعيف العقل أو عيا لا يستطيع الإملاء ، أملى وليه ، يعني : ولي الصغير والضعيف العقل .

والمراد بالإملاء الإشهاد على نفسه بما حصل على الصغير ، والضعيف العقل لولايته عليها ؛ لأن الشهادة لا تقع إلا على العاقل ، والشاهد على أنه أراد بالإملاء الإشهاد إجماع الأمة لو أملى غيره الكتاب جاز .

العاشر : بمعنى الحظ ، قال الله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴾ [سورة المعارج آية : ٢٤] ، أي : حظ ، وإنما جعله حقا ؛ لأنهم أوجبوه على أنفسهم ، فصار كالدين .

وأما قوله : ﴿ مَا نُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [سورة الحجر آية : ٨] ، فمعناه أنه لا تنزل الملائكة إلا بوحى أو بأجل ، وكلاهما حق ، : ﴿ وَمَا كَانُوا إِذَا مُنْظَرِينَ ﴾ [سورة الحجر آية : ٨] ، أي : لو نزل الملائكة لم يمهلوا وانقطع التوبة ، فلم يقبلوا ، والفرق بين الإنظار والإمهال أن الإنظار مقرون بمقدار ما يقع فيه النظر ، والإمهال مبهم .

الحساب

أصل الحساب في العربية الكفاية، يقال : أحسبني الشيء ، أي : كفاني ، وحسبي الله ، أي : كافي الله ، وفي القرآن : ﴿عَطَاءٌ حِسَابًا﴾^(١) [سورة النبا آية : ٣٦] ، أي : كافيا ، ﴿حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٢] ، أي : هو العالم لفعلك ، ومجازاتك عليه .

وقيل : الحسب المقتدر ، وقيل : الحسب الكافي ، ومعناه كافي إياك الله ، وقيل : الحسب المحاسب كما يقال للمحافظ الحفيظ ، وللمشارب الشريب ، وفي القرآن : ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ﴾ [سورة الأنفال آية : ٦٤] ، أي : كافيك الله ، وسمي الحساب حسابا لأنك تكتفي به من وكيلك ومعاملتك ، ولا تطلب شيئا بعده .

وهو في القرآن على عدة أوجه :

الأول : الجزاء ، قال الله : ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [سورة الشعراء آية : ١١٣] ، أي : جزاؤهم ، وقال : ﴿إِنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ﴾ [سورة الغاشية آية :

(١) قال الرازي : قوله : ﴿حِسَابًا﴾ فيه وجوه الأول : أن يكون بمعنى كافياً مأخوذ من قولهم : أعطاني ما أحسبني أي ما كفاني ، ومنه قوله : حسبي من سؤالي علمه بحالي ، أي كفاني من سؤالي ، ومنه قوله : فلما حللت به ضمني . . . فأولى جملاً وأعطى حساباً أي أعطى ما كفى والوجه الثاني : أن قوله : حساباً مأخوذ من حسبت الشيء إذا أعدته وقدرته فقوله : ﴿عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ أي بقدر ما وجب له فيها وعده من الإضعاف ، لأنه تعالى قدر الجزاء على ثلاثة أوجه ، وجه منها على عشرة أضعاف ، ووجه على سبعة ضعف ، ووجه على مالا نهاية له ، كما قال : ﴿إِنَّمَا يُؤَقِّ الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر : ١٠] ، الوجه الثالث : وهو قول ابن قتيبة : ﴿عَطَاءٌ حِسَابًا﴾ أي كثيراً وأحسبت فلاناً أي أكثرته له ، قال الشاعر :

وتقفي وليد الحي إن كان جائعاً . . . ونحسبه إن كان ليس بجائع

الوجه الرابع : أنه سبحانه يوصل الثواب الذي هو الجزاء إليهم ويوصل التفضل الذي يكون زائداً على الجزاء إليهم ، ثم قال : ﴿حِسَابًا﴾ ثم يميز الجزاء عن العطاء حال الحساب الوجه الخامس : أنه تعالى لما ذكر في وعيد أهل النار : ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ ذكر في وعد أهل الجنة جزاء عطاء حساباً أي راعيت في ثواب أعمالكم الحساب ، لتلايق في ثواب أعمالكم بخس وتقصان وتقصير ، والله أعلم بمراده .

المسألة الرابعة : قرأ ابن قتيب : ﴿حِسَابًا﴾ بالتحديد على أن الحساب بمعنى المحسب كالدراك بمعنى المدرك ، هكذا ذكره صاحب «الكشاف» . [مفاتيح الغيب : ٣٠٧/١٦]

[٢٦] ، جاء في التفسير أنه أراد بهاتين الآيتين الجزاء ، وكذلك قالوا في قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ١١٧] ، أي : جزاؤه .

والأجود أن يفسر على الوجه المعروف ، فيقال : أراد أن عليك أن تبلغهم ، وعلينا أن نحاسبهم ، وفي هذا تهديد شديد ، وهو أيضا يرجع إلى معنى الجزاء ، لأنه إذا حاسبهم جازاهم .

الثاني : الحساب المعروف ، قال : ﴿ وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ ﴾ [سورة الإسراء آية : ١٢] ، وأراد بالحساب هاهنا عدد الأيام والأعوام ، ومدد الأعمار والآجال والديون ، وغير ذلك مما يجري مجراه .

ولم يعن حساب الأموال وما بسيلها ، وقال : ﴿ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٠٢] ، ومعنى ذلك أنه إذا أراد حسابهم لم يتعذر عليه ، وفي هذا دليل على أنه ليس بجسم ؛ لأن الجسم يتعذر عليه حساب الجماعات الكثيرة في حال واحدة .

وقيل الحساب أن تأخذ ما لك ، وتعطي ما عليك ، والله تعالى قد أحصى الأعمال ؛ فهو يجازي عليها من غير تعذر ولا إطالة .

الثالث : بمعنى الكافي ، قال الله : ﴿ عَطَاءٌ حِسَابًا ﴾ [سورة النبا آية : ٣٦] ، أي : كافيا على ما ذكرنا .

وجه رابع : وهو قوله : ﴿ يُرَزَّقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة غافر آية : ٤٠] ، قال المبرد : المراد أنه يتجاوز بهم جد ما فعلوا ، وعندنا أن هذا موضوعه للكثرة ، يقال : أعطاه بغير حساب ، أي : أعطاه كثيرا ، وذلك أن الحساب للإحاطة والحصر ؛ وكأنه قد أعطاه عطاء لا يحصر كثرة ، ومثله قوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [سورة آل عمران آية : ٣٧] ، ويجوز أن يكون تفضل عليه ، بغير استحقاق ، والتفضل غير محسوب .

الحي من القرب ؛ لأن بعضهم يجيء مع بعض ، وسميت الحية حية ؛ لأنها لا تموت حتى تقتل وإلا فهي حية أبدا تكبر إلى أن تنتهي ثم تبتدئ فتصغر حتى تنتهي ثم تكبر وكذلك أبدا إلى أن يصاب هكذا قالوا ، وأنشدوا :

دَاهِيَةٌ قَدْ صَغُرَتْ مِنَ الْكِبَرِ

والحياة في القرآن على ستة أوجه :

الأول : تميز الصورة ونفخ الروح قال : ﴿ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ﴾ [سورة البقرة آية : ٢٨] ، أي : كنتم نطفة فميز صورتكم ، ونفخ فيكم الروح كذا قيل ، ويجوز عندنا أن يكون أراد أنكم كنتم نطفة أمواتا فجعلكم أحياء .

وليس في الكلام دلالة على أنه أراد تميز الصورة ، وسمي النطف أمواتا ؛ لأن كل ما ينفصل من الإنسان سمي ميتا مثل النطفة والدم وما بسبيلهما ونحوه ، : ﴿ هُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ﴾ [سورة الحج آية : ٦٦] ، وقوله : ﴿ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ ﴾ [سورة الروم آية : ١٩] ، قالوا : معناه يخرج الحيوان من النطفة والطائر من البيضة ، وقيل : يخرج المؤمن من

(١) (ح ي ي) : (حَيٍّ) حَيَاةٌ فَهُوَ حَيٌّ (وَيَوْمَ مُمَيِّ) جَدُّ جَدِّ الْحَسَنِ بْنِ صَالِحٍ بْنِ صَالِحٍ بْنِ مُسْلِمٍ بْنِ حَيٍّ (وَيَتَصَغَّرُهُ) مُمَيِّ حَيٌّ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمَعَاوِرِيُّ (وَيَتَأَنَّبُهُ) عَلَى قَلْبِ الْبَاءِ وَأَوَّاءُ حَيَّوَةٌ بْنُ شُرَيْحٍ (وَأَسْتَحْيَاهُ) تَرَكَّهُ حَيًّا وَمِنَهُ ﴿ وَاسْتَحْيَوْا شُرَحَّهُمْ ﴾ وَحَيَاةُ الشَّمْسِ بَقَاءُ ضَوْوِهَا وَبَيَاضُهَا وَقِيلَ بَقَاءُ حَرِّهَا وَقُوَّتُهَا وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ يَدُلُّ عَلَيْهِ الْعُرْفُ وَقَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ يَصِفُ حِمَارَ وَخَشٍ فَلَمَّا اسْتَبَانَ اللَّيْلُ وَالشَّمْسُ حَيَّةٌ حَيَاةٌ الَّتِي تَقْضِي خُشَانَةً تَنَازَعُ أَلَا تَرَى كَيْفَ شَبَّ حَالَةُ الشَّمْسِ بَعْدَمَا دَنَتْ لِلْمَغِيبِ بِحَالِ نَفْسٍ شَارَفَتْ أَنْ تَمُوتَ فَهِيَ كَأَنَّهَا تَقْضِي دَيْنَ الْحَيَاةِ وَتُوْذِي مَا عِنْدَهَا مِنْ وَدِيعَةِ الرَّمَقِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مُشَافَهَةَ طَلَائِعِ اللَّيْلِ وَمُشَاهَدَةَ أَوَائِلِهِ فَأَيَّنَ هَذِهِ الْحَالَةَ مِنْ بَقَاءِ قُوَّتِهَا وَحَرَازَتِهَا . [المغرب : الحاء مع الياء] .

وقال الجرجاني : الحياة : هي صفة توجب للموصوف بها أن يعلم ويقدر .

والحياة الدنيا : هي ما يشغل العبد عن الآخرة . [التعريفات : ٣١ / ١]

في ما جاء من الوجوه والنظائر في أوله جاء الكافر ، ويجوز أن يكون أراد أنكم كنتم تراباً فجعلكم أحياء ، والجهاد قد تسمى ميتاً على جهة التوسع ؛ لأنه عدم الحس والحركة .

الثاني : محي الحى بمعنى العاقل العارف ، قال الله : ﴿لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [سورة يس آية : ٧٠] ، ونحوه قول الشاعر :

لَقَدْ أَسْمَعْتَ لَوْ تَادَيْتَ حَيًّا وَلَكِنْ لَا حَيَاةَ لِمَنْ تُنَادِي

أي : لو تنادي عاقلاً ، والمراد أنه لا يستعمل عقله ، ولو لم يكن له عقل أصلاً لم يكن مكلفاً .

الثالث : الحى بمعنى المهتدي ، قال الله : ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ﴾ [سورة الأنعام آية : ١٢٢] ، أي : كافراً فهديناه ونحوه قوله تعالى : ﴿وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ﴾ [سورة فاطر آية : ٢٢] ، معناه لا يستوي المؤمن ولا الكافر ، فأخرج ما لا يقع عليه الحاسة إلى ما يقع عليه الحاسة ، كما قال : ﴿أَعْيَاهُمْ كَرَمًا اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [سورة إبراهيم آية : ١٨] ، وما كان يجري هذا المجرى ، وهو أعظم في البيان ؛ لأن العيان فضلاً على ما سواه .

الرابع : الحياة بمعنى البقاء ، قال : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ﴾^(١) [سورة البقرة آية : ١٧٩] ، يعني : أن من يعرف أنه إذا قتل اقتص منه كف عن القتل فبقى .

(١) قال الرازي : اتفق علماء البيان على أن هذه الآية في الإيجاز مع جمع المعاني باللغة باللغة إلى أعلى الدرجات ، وذلك لأن العرب عبروا عن هذا المعنى بألفاظ كثيرة ، كقولهم : قتل البعض إحياء للجميع ، وقول آخرين : أكثروا القتل ليقول القتل ، وأجود الألفاظ المنقولة عنهم في هذا الباب قولهم : القتل أنفى للقتل ، ثم إن لفظ القرآن أفصح من هذا ، وبيان التفاوت من وجوه : أحدها : أن قوله : ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أخصر من الكل ، لأن قوله : ﴿وَلَكُمْ﴾ لا يدخل في هذا الباب ، إذ لا بد في الجميع من تقدير ذلك ، لأن قول القاتل : قتل البعض إحياء للجميع لا بد فيه من تقدير مثله ، وكذلك في قولهم : القتل أنفى للقتل فإذا تأملت علمت أن قوله : ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ أشد اختصاراً من قولهم : القتل أنفى للقتل وثانيها : أن قولهم : القتل أنفى للقتل ظاهرة يقتضي كون الشيء سبباً لانتفاء نفسه وهو محال ، وقوله : ﴿فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ ليس كذلك ، لأن المذكور هو نوع من القتل وهو القصاص ، ثم ما جعله سبباً لمطلق الحياة لأنه ذكر الحياة منكرة ، بل جعله سبباً لنوع من أنواع الحياة وثالثها : أن قولهم القتل أنفى للقتل ، فيه تكرار

والمراد أنه يبقى حيا فحقيقة المعنى أن لكم في القصاص بقاء حياة ونحوه ، : ﴿وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ﴾ [سورة الأعراف آية : ١٤١] ، أي : يستبقونهن فتضاعف المحنة عليكم ببقاء النساء مع فناء الرجال ، واستحياء واستبقائه بمعنى واحد فاستبقائه طلب بقاءه ، واستحياء طلب حياته ، ولا يستبقيه إلا وهو يستحيه ، ولكن لفظ الاستبقاء أكثر في الاستعمال فلأجل هذا فسرنا الاستحياء بالاستبقاء ، أخرجوا الأعمش إلى الأشهر .

الخامس : مثل قال الله : ﴿وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [سورة المائدة آية : ٣٢] ، أي : من استنقذها من الضلال أو أغاثها من المكروه فكأنه أحيا الناس جميعا ، أي : أجره أجر من أحيا الناس جميعا وأجر من يحيي الناس جميعا يتضاعف على قدر ذلك ، ويجوز أن يكون معناه أنه قد أسدى إلى كل واحد منهم يدا ياحيائه أخاه المؤمن ؛ فكأنه أحياهم كما تقول للرجل يسدي إليك يدا قد أحيتني ، وإن كان لا يقدر على ذلك .

السادس : الحياة بعد الموت ، قال : ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى يَإِذْنِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران آية ٤٩] ، وقال : ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ [سورة القيامة آية : ٤٠] .

للفظ القتل وليس قوله : ﴿فِي الْقصاص حَيَاة﴾ كذلك ورابعها : أن قول القائل : القتل أنفى للقتل . لا يفيد إلا الردع عن القتل ، وقوله : ﴿فِي الْقصاص حَيَاة﴾ يفيد الردع عن القتل وعن الجرح وغيرهما فهو أجمع للفوائد وخامسها : أن نفى القتل مطلوب تبعاً من حيث إنه يتضمن حصول الحياة ، وأما الآية فإنها دالة على حصول الحياة وهو مقصود أصلي ، فكان هذا أولى وسادسها : أن القتل ظلماً قتل ، مع أنه لا يكون نافياً للقتل بل هو سبب لزيادة القتل ، إنما النافي لوقوع القتل هو القتل المخصوص وهو انقصاص ، فظاهر قوله باطل ، أما الآية فهي صحيحة ظاهراً وتقديراً ، فظهر التفاوت بين الآية وبين كلام العرب . [مفاتيح الغيب : ٦٩/٣]

حين^(١)

الحين يقع على كل شيء من الأوقات قصير وطويل ، ويكون محدود أو غير محدود ، وأصله من القرب ، ومنه حان الشيء إذا قرب ، والحائن الذي قرب أجله ، والاسم الحين .

والحين في القرآن على أربعة أوجه :

الأول : السنة ، قال : ﴿ تُوْرِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٥] ، أي : كل سنة ، هذا قول بعض الفقهاء ، وإليه ذهب مقاتل .

وذهب الكوفيون إلى أن الحين هنا ستة أشهر ، وهو من أوان الطلع إلى وقت الضرام ، قالوا : فمن حلف لا يكلم فلانا حيناً ، فهو ستة أشهر ، لأنه قد علم أنه لم يرد أقصر الأوقات ومعلوم أنه لم يرد أربعين سنة ؛ لأن من أراد ذلك حلف على التأيد دون التوقيت ثم كان قوله تعالى : ﴿ تُوْرِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ ﴾ [سورة إبراهيم آية : ٢٥] ، لما اختلف السلف فيه كان أقصر الأوقات فيه ستة أشهر أولها أوان الطلع وآخرها وقت الضرام ، وهو أولى من اعتبار السنة ؛ لأن وقت الثمرة لا يمتد سنة ، بل ينقطع حتى لا يكون منه شيء ، وأما الشهران فلا معنى لاعتبارهما إذ قد علم أن الزمان بين ضرام النخل ، وبين ظهور الطلع أكثر من شهرين فلما بطل اعتبار السنة واعتبار الشهرين ثبت اعتبار السنة إلا شهر .

الثاني : متهى الأجال ، قال الله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ [سورة البقرة آية : ٣٦] ، وقال : ﴿ وَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [سورة يونس آية : ٩٨] .

(١) [حين] : الحَيْنُ : الهلاكُ ، حَانَ يَحِينُ ، وَحَيْتَهُ اللهُ فَتَحَيْنَ . والحائنةُ : النَّازِلَةُ ذاتُ الحَيْنِ ، والجميعُ : الحَوَائِنُ . والحَيْنُ : وَقْتُ مِنَ الزَّمَانِ ، حَانَ يَحِينُ حَيْنُونَةً ، وَيَجْمَعُ عَلَى الْأَحْيَانِ ؛ ثُمَّ عَلَى الْأَحْيَانِ ، وَحَيْثَهُ : جَعَلَتْ لَهُ حِينًا . والحَيْنُ : يَوْمُ الْقِيَامَةِ . والتَّحِينُ : أَنْ تَعْمَلَ عَمَلًا فِي حِينٍ وَاحِدٍ . وَحَيْنَ الضُّبْقَانِ وَأَحْيُونَا : أَطْعِمُوا فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مَرَّةً . وَحَيْنِيذُ : تَبَعِيذُ قَوْلِكَ الْآنَ . والتَّحِينُ : أَنْ تَحْلُبَ النَّاقَةَ فِي الْيَوْمِ مَرَّةً . وَتَمَى حِينُهُ نَاقَتِكَ : أَيِ وَقْتُهَا الَّذِي تَحْلُبُ فِيهِ ، وَمِثْلُكَ جَلَابُهَا بِالرُّطْلِ . والحَيْنَةُ - بِالْفَتْحِ - الْوَجْبَةُ . وَبَلَغَ عِيَانُ ذَاكَ : أَيِ جَاءَ حِينُهُ . والحائِنُ : الْأَمْحَقُّ ، وَامْرَأَةُ حَائِنَةٍ [المحيط في اللغة : حين]

الثالث : قال الله : ﴿ فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾ ، [سورة الروم آية : ١٧] ، ثم قال : ﴿ وَحِينَ تَظْهَرُونَ ﴾ [سورة الروم آية : ١٨] ، يعني : ساعة غروب الشمس ، وساعة طلوعها ، وساعة الظهر ، وأراد بالتسبيح هاهنا ، وجوب الصلاة في هذه الأوقات .

الرابع : زمان غير مؤقت ، قال الله : ﴿ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴾ [سورة ص آية : ٨٨] ، وكان المراد به ما كان بيد من الدبرة على الكفار ، فلم يؤقت في وقت الإنزال ، وقوله : ﴿ هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴾ [سورة الإنسان آية : ١] .

الحرج^(١)

أصل الحرج من الضيق ، ومكان حرج ضيق ، والحرجة الشجر الملتف .

وهو في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : الشك ، قال الله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ ﴾ [سورة النساء آية : ٦٥] أي : شكا ، وذلك أن الرجل يضيق بالشك صدرا ، والثلج هو مع العلم واليقين ، ومثله : ﴿ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ ﴾ [سورة الأعراف آية : ١] المخاطبة له والمعنى لأمتة كما قال في موضع آخر ، : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ ﴾ [سورة الإسراء آية : ٣٩] .

وقوله : ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ ﴾ [سورة الزمر آية : ٦٥] ، وليس كل ما خاطب به النبيين والمؤمنين أرادهم به ، ألا ترى إلى قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلِ ﴾ [سورة البقرة آية : ١٧٨] ، والقصاص في العمد فكأنه أثبت لهم الإيثار مع قتل العمد ، وقتل العمد يبطل الإيثار ، وإنما أراد أن يعلمهم الحكم فيمن يستوجب ذلك ، ونحوه قوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْزَنُوا اللَّهَ وَالرُّسُولَ ﴾ [سورة الأنفال آية : ٢٧] ، وقوله : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا ﴾ [سورة آل عمران آية : ١٣٠] .

الثاني : الضيق ، قال تعالى : ﴿ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمُ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ﴾ [سورة الحج آية : ٧٨] ، أي : من ضيق ، وقيل : من ضيق لا يخرج منه ، وذلك أنه يتخلص من الذنب بالتوبة ، فالتوبة مخرج .

(١) (ح رج) : حَرَجَ صَدْرُهُ حَرَجًا مِنْ بَابِ تَعَبَ ضَاقَ وَحَرَجَ الرَّجُلُ أَيْمَ وَصَدْرُ حَرَجٍ ضَيْقٌ وَرَجُلٌ حَرَجٌ أَيْمٌ وَحَرَجَ الْإِنْسَانُ حَرَجًا هَذَا يَمَّا وَرَدَ لَفْظُهُ مُخَالَفًا لِمَعْنَاهُ وَالْمُرَادُ فَعَلَ فَعْلًا جَانِبَ بِهِ الْحَرَجُ كَمَا يُقَالُ تَحَنَّنْتُ إِذَا فَعَلْتُ مَا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْحِنْثِ قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ لِلْعَرَبِ أَنْعَالَ مُخَالَفَ مَعَانِيهَا أَلْفَاظُهَا قَالُوا تَحَرَجَ وَتَحَنَّنْتُ وَتَأَنَّمْتُ وَتَهَجَّدْتُ إِذَا تَرَكَ الْمُجُودَ وَمِنْ هَذَا الْبَابِ مَا وَرَدَ يَلْفِظُ الدُّعَاءَ وَلَا يُرَادُ بِهِ الدُّعَاءُ بَلِ الْحُثُّ وَالتَّخْرِيفُ كَقَوْلِهِ تَرَبَّثْتُ يَدَاكَ وَعَقَرْتُ حَلْقِي وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ . [المصباح المنير : الحاء مع الراء]

تعالى يمنعهم الطاعة التي ينشرح مع أمثالها فلوب المؤمنين جزاء بما قدموا من الذنوب ،
ودليل ذلك قوله في آخر الآية : ﴿كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [سورة
الأنعام آية : ١٢٥] ، فيحلهم الذنب كما تسمع .

الثالث : الإثم ، قال الله : ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَحِلُّونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرْجٌ إِذَا نَصَحُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ﴾ [سورة التوبة آية : ٩١] ، أي : إثم ، وقوله : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾
[سورة النور آية : ٦١] ، وإذا لم يكن عليه مع العمى إثم ، فكيف يكون مع عدم القدرة عليه
الإثم والعقاب .

وقال الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة : أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا
زمناهم وعميانهم في بيوتهم ، ودفعوا إليهم المفاتيح ، وقالوا لهم : أحللنا لكم أن تأكلوا
منها ؛ فكانوا يتخرجون من ذلك فتزل قوله : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ
حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ [سورة النور آية :
٦١] .

وذهب أبو علي رحمه الله إلى أن معنى قوله : ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ﴾ [سورة
النور آية : ٦١] ، أنه ليس عليه ضيق في ترك القتال ، والصحيح الذي قلنا ، والدليل على
ذلك قوله : ﴿وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ﴾ [سورة النور آية : ٦١] ، فتلى ذكر
الأكل بذكر الأكل ، وليس بالوجه أن يتلو ذكر الحرب بذكر الأكل .

حتى

حتى بمعنى الغاية تقارب إلى ، وهي من عوامل الأسماء خاصة ؛ فإذا وقع بعده الفعل أضمرت بينهما أن ، فتكون أن مع الفعل اسما ، كقولك : أسير حتى تمنعني ، ويرتفع بعدها الفعل أيضا ؛ وإن ارتفع فهو خبر لمحدوف ، وذلك قولك : مرض حتى تمر به الطائر فترحمه ، كأنه قال : حتى أنه هذه حالة ، ويكون أيضا بمعنى كم فينصب ، كقولك : أطع الله حتى يدخلك الجنة ، ويرتفع الفعل بعده ، فيقول : سرت حتى أدخلها ؛ أي : كان مني سير فدخل ، أي : أنا في حالة دخول اتصل به سير ونحوه ، فإن المبدئ رحلة فركوب .

ولها في الرفع موضع آخر ، وهو قولك مرض حتى لا يرجونه ، أي : هو الآن كذلك ، ويقع الاسم بعدها مرفوعا ومنصوبا ومجزورا ، تقول : ضربت القوم حتى زيد وقدم القوم حتى المشاة ، وأكلت السمكة حتى رأسها ، وينشد :

أَلْقَى الصَّحِيفَةَ كَيْ يُخَفِّفَ رَحْلَهُ وَالزَّادَ حَتَّى نَعْلَهُ أَلْقَاهَا

نصبوا نعله وخفضوها ورفعوها فمن نصب جعلها بمنزلة الواو على قولك : ضربت زيدا وعمرا كلمته .

ومن رفع فعلى قولك : ضربت زيدا وعمرو كلمته ، ومن خفضها فعلى قولك : غاية بمنزلة ، أي : إلى أن أنتهي إلى نعله .

وكذلك القول في أكلت السمكة حتى رأسها ، ورأسها ، والكلام فيه يطول .
وحتى في القرآن على ثلاثة أوجه :

الأول : بمعنى إلى ، قال تعالى : ﴿ تَمَتُّعُوا حَتَّى حِينٍ ﴾ [سورة الذاريات آية : ٤٣] ، أي : إلى حين ، وقال : ﴿ فَذَرَهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ ﴾ [سورة المؤمنون آية ٥٤] أي : إلى حين ، وقال : ﴿ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ [سورة القدر آية : ٥] .

الثاني : بمعنى فلما ، وذلك إذا وقعت مع إذا ، قال تعالى : ﴿ حَتَّى إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ ﴾ [سورة يوسف آية : ١١٠] ، وقال : ﴿ حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ ﴾ [سورة

الانبياء آية : ٩٦] ، وقال : ﴿ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ ﴾ [سورة المؤمنون آية : ٦٤] ، وقال : ﴿ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا ﴾ [سورة هود آية : ٤٠] .

الثالث : بمعنى إلى أن ، قال تعالى : ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ ﴾ [سورة التوبة آية : ٢٩] ، كذا جاء عن أهل التفسير فينبغي أن يحمل هذه الوجوه على الأصول التي ذكرناها في أول الباب ؛ فيصح .

الحرام^(١)

أصله المنع ، ومنه حرمة عطاءه حرمانا أي : منعه إياه وحريم الرجل ما يجب عليه منعه وكذلك حرمة ، وهو ذو رحم محرم ؛ لأنه منع عن نكاحها بالنهي والشهر الحرام الممنوع فيه عن سفك الدماء ، والبلد الحرام قريب من ذلك .

وجاء في القرآن على وجهين :

الأول : المنع بالنهي ، وهو قوله تعالى : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣] ، وهي ما قد مات من غير تذكية مما شرط علينا التذكية وإباحته ، والدم يعني : المسفوح لأن الكبد والطحال مباحان بالإجماع ، ولحم الخنزير ، وذكر اللحم وأراد جميع أجزائه من شحم وعظم ، وغير ذلك ، لأن اللحم معظمه ، وإذا ذكره فقد دخل فيه غيره ، : ﴿ وَمَا أَهْلَ لِيغَيْرِ اللَّهُ بِهِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٣] ، وهذا يوجب أن ترك التسمية عليه يقتضي تحريمه ؛ لأنه لا فرق بين التسمية عليه وبين تسمية زيد عليه .

الثاني : عدم الإمكان وهو قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّمَا حُرْمَةُ عَلَيْهِمَ أَرْبَعِينَ سَنَةً ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٦] ، ودليل هذا قوله : ﴿ يَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ ﴾ [سورة المائدة آية : ٢٦] ، ونظيره قول الشاعر :

إِنِّي امرؤٌ صَرَعِي عَلَيْكَ حَرَامٌ

يخاطب فرسه أي : لا يمكنك صرعي إني جيد الفروسية .

(١) (ح ر م) : حُرْمُ الشَّيْءِ بِالضَّمِّ حُرْمًا وَحُرْمًا مِثْلُ : عُسْرٌ وَعُسْرٌ امْتَنَعَ فَعَلَهُ وَزَادَ ابْنُ الْقُوطَيْبَةِ حُرْمَةً بِضَمِّ الْحَاءِ وَكَسْرِهَا وَحُرْمَتُ الصَّلَاةِ مِنْ بَابِ قَرَّبَ وَتَعَبَ حَرَامًا وَحُرْمًا امْتَنَعَ فَعَلَهَا أَيْضًا وَحُرْمَتُ الشَّيْءِ تَحْرِيمًا وَيَأْتِي الْمَفْعُولُ سُمِّيَ الشَّهْرُ الْأَوَّلُ مِنَ السَّنَةِ وَأَدْخَلُوا عَلَيْهِ الْأَلْفَ وَاللَّامَ لِمَحَا لِلصَّفَةِ فِي الْأَصْلِ وَجَعَلُوهُ عَلَمًا يَبَيِّنُ مِثْلُ : النَّجْمِ وَالْذَّبْرَانِ وَنَحْوَهُمَا وَلَا يَجُوزُ دُخُولُهُمَا عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ عِنْدَ قَوْمٍ وَعِنْدَ قَوْمٍ يَجُوزُ عَلَى صَفَرٍ وَمِنَوَالٍ وَجَمْعُ الْحَرَمِ مُحَرَّمَاتٍ وَسَمِعَ أَحْرَمْتُهُ بِمَعْنَى حَرَمْتُهُ وَالْمُنْعُ يُسَمَّى حَرَامًا تَسْمِيَةً بِالْمُضَدِّ وَبِهِ سُمِّيَ وَمِنْهُ أَمْ حَرَامٌ وَقَدْ يُقْصَرُ فَيَقَالُ حَرَمٌ مِثْلُ : زَمَانٍ وَزَمَنٍ وَالْحَزْمُ وَزَانٌ جِلْدٌ لَعْنَةٌ فِي الْحَرَامِ أَيْضًا . [المصباح المنير : الحاء مع الراء]